التاريخ الدبلوماسي للمغرب

من أقدم العصور إلى اليوم



المجلد التاسع

عهد العلويين

1

تأليف

عبد الهادي التازي

عضو أكاديمية المملكة المغربية



1408 1988

DIFFERENT GIFTS



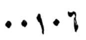
اهداءات متنوعة

DIFFERENT GIFTS

التاريخ الدبلوماسي للمغرب

من أقدم العصور إلى اليوم





المجلد التاسع

عهد العلويين

1

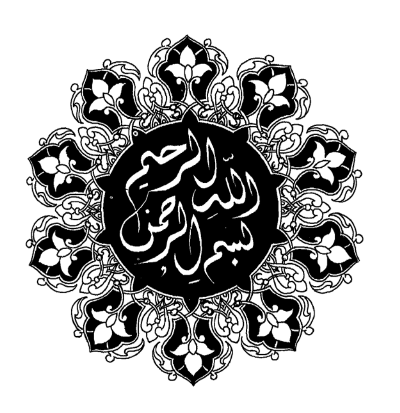
تأليف

عبد الهادي التازي

عضو أكاديمية المملكة المغربية

1988 - 1408

يمثل الرسمُ الموجودُ على الغلاف القائد محمد بن عبد الملك سفير الملك محمد الثالث لدى أمبراطور النمسا جوزيف الثاني وهو مأخوذ عن اللّوحة الأًصلية التي وضعها الرسّام النمساوي الشهير بلوحاته الجميلة لوشينكول (Loschenkohl) على ما وقفت عليه في متحف الدولة بڤيينا (Museum der Stadt) انظر صفحة 222 من هذا المجلد...


بسم الله الرحمن الرحيم

عظمة الميثاق

وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ
إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ

صدق الله العظيم
سورة الأنفال - الآية 72

ملاحق التاريخ الدبلوماسي للمغرب

مع ظهور الدولة العلوية وجدت نفسي أمام رصيد ضخم يتصل بعلاقات المملكة المغربية مع غيرها من الأمم، إن كل دولة في العالم تتوفر على "متاحف" تعتمد مادتها على الوثائق المغربية على عهد الدولة العلوية الشريفة: فيها الخطابات، وفيها الإتفاقيات وفيها التقارير والمذكرات، وفيها الرسوم والصور والخرائط، ومن هنا كنت مطالباً بالتفكير في الاختصار، وحينئذ وقعت أمام حيرة "المعيار" الذي أجعله أساساً للإختيار.. لقد كنت أشعر وأنا أستغني عن فصول هذه المعاهدة أو تلك، أو أتنازل عن هذا التقرير أو ذاك، ولكأنما أترك عزيزاً علي عايشته منذ سنين! وقد حرصت - لكي أكون وفياً بالتزامي. على الإقتصار على ما اعتقدت أنه لا غنى عنه في سياق الحديث، وتركت ما سبقني غيري إلى ذكره وقدرت أن المهتمين سيسهل عليهم أن يرجعوا إلى إحالاتي وإشاراتي مؤملاً أن أتمكن من إصدار "ملاحق" أثبت فيها ما أرى الحاجة ماسة لإستدراكه كما أضمنها ما كنت اضطررت لتأجيله أو اختصاره منذ الصفحات الأولى لهذا التاريخ: (معجم الدبلوماسيين المغاربة والأجانب - ج 1 ص 198 - ملف الأمثال الدبلوماسية ج 2 ص 304) وخاصة من ذلك المواد التي تتعذر العودة إلى مصادرها ومراجعها من تاريخ المرابطين والموحدين ومن أتى بعدهم من بني مرين وبني وطاس والسعديين والعلويين.

علاقات المملكة المغربية بالأمبراطورية العثمانية وبلاد السودان

- محمد الأول وداي الجزائر.
- مناصرة الملوك العلويين للعثمانيين...
- علاقة التوتر بين المغرب وفرنسا بالصلات مع الجيران.
- تردد السفارات بين المغرب وتركيا...
- سفارة اسماعيل أفندي وتقريره عن مهمته.
- استمرار التواصل بعد الملك محمد الثالث...
- استنجاد تركيا بالمغرب ضد احتلال نابليون لمصر.
- صلة المغرب مع الإيالات التابعة للعثمانيين...
- علاقات المغرب ببلاد السودان من خلال الرسائل والتقارير ...
- الحدود المغربية الجنوبية حسب رسالة ملكية.

علاقات المملكة المغربية بالأمبراطورية العثمانية على عهد العلويين

القسم الأول

لقد كان المغرب في مطلع الدولة العلوية سبعة مغارب ! فإلى جانب بقايا السعديين الذين كانوا يتشبثون ببعض الأطراف، نجد الدلائيين يستولون على فاس ونواحيها، بينما كان كرُّوم الحاج يحكم مراكش وجهاتها، وكان أبو حسون صاحب إيليغ يستبد بالسوس، وكان المقدم الخضير غيلان ببلاد الهبط : والرئيس أعراس، يستأثر بنواحي الريف في حين ينساب النفوذ التركي في أطراف الجهات الشرقية للمغرب، هذا إلى احتلال بعض الثغور المغربية سواء من طرف الإسبان أو البرتغال على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي.

وبين هذا وذاك نجد سمعة المغرب الخارجية في انهيارٍ متلاحق، فإن الحالة الداخلية كانت تعكس آثارها على هيبة الدولة، وهكذا اشرأبت أعناق بعض الدّول إلى نيل نصيبها من هذا المغرب الذي كان بالأمس ما كان..

أصبحت كل دولة أجنبية تمد يدها إلى زعيم تزوده بآلات الدمار مبتغية وراء ذلك الحصول منه على امتياز.!!

☆ ☆ ☆

ولقد كان أول اتصال بالعالم الخارجي للدولة العلوية ـ فيما نعلم ـ هو الذي تمّ بين الملك سيدي مَحمد بن الشريف (محمد الأول) وبين ممثل الباب العالي في الجزائر؛ وذلك قبل أن يتصل بشرافة مكّة على ما سنرى...

هذه نسبة مولاي سليمان بن سيدي محمد سلطان المغرب				
مولاي سليمان	ابن مولاي محمد	ابن مولاي عبد الله	ابن مولاي اسماعيل	ابن مولاي الشريف
ابن مولاي علي	ابن مولاي محمد	ابن مولاي علي	ابن مولاي يوسف	بن مولاي علي
ابن مولاي الحسن	ابن مولاي محمد	ابن مولاي الحسن	ابن مولاي القاسم	بن مولاي محمد
ابن مولاي ابي القاسم	ابن مولاي محمد	ابن مولاي الحسن	ابن مولاي عبد الله	ابن مولاي محمد
ابن مولاي عرفات	ابن مولاي الحسن	ابن مولاي ابي بكر	ابن مولاي الحسن	ابن مولاي احمد
ابن مولاي اسماعيل	ابن مولاي القاسم	ابن مولاي محمد	ابن مولاي عبد الله الكامل	ابن مولاي الحسن المثنى
ابن سيدنا الحسن السبط	ابن سيدنا علي بن ابي طالب	وابن سيدتنا فاطمة الزهراء	بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما	
نسب تحسب العلا بجلاله		قلدتها نجومها الجوزاء		

النسب العلوي من إملاء السلطان مولاي سليمان

وهكذا فعلى إثر الحركة التي قام بها مولاي مَحمد بن الشريف نحو المغرب الشرقي من أجل استخلاصه من حكم الترك وإرجاعه لحظيرة العرب، في إثر ذلك بعث أحمد باشا بتاريخ منتصف رجب 1064 = 1654 بسفارة إلى مولاي مَحمد تحمل رسالة من إملاء الكاتب المحجوب الحضري وبإمضاء الباشا وقد

كانت السفارة تتألف من اثنين من علماء الجزائر هما الفقيه عبد الله بن عبد الغفار النفزي والحاج محمد بن عبد العالي الحضري المزغنّاوي واثنين من رجال الديوان الأتراك...[1]

وقد كان مما تضمنته الرسالة إلى «حفيد مولانا علي وسيدتنا البتول، وولد مولانا الشريف بن مولانا علي».

وبعد فقد كاتبناكم من مغنى غنيمة المقيم والظاعن والزائر، رباط الجريد مدينة ثغر الجزائر... وذلك أن الوهاب سبحانه منحكم همة وهيبة الجود والحلم والسماحة واختار لكم عنوان عنايتها في غاب الصون سجلماسة، لكن فاتكم سرّ الرأي والتدبير... فخرقت على الإيالة العثمانية جلباب صونها الجديد...

وقد كان الداي أحمد باشا يعتقد أن تهديداته ستنال من العاهل الشاب بيد أن سيدي محمد عاتب السفراء مرّ العتاب... وأمام اعتذارهم له بأنهم مجرد رسل إليه، أمر بتحرير جواب كان درساً في المقابلة بالمثل، بل إنه في رسالته أثار بعض القضايا التي تكشف عن وجهات نظر المولى محمد إزاء عدد من الأحداث التي عرفتها الساحة المغربية، وبخاصة مؤاخذتَهُ للمنصور السعدي عن تعاميه عن أتراك الجزائر، وبدايته بالحملة على مملكة (كاغو) قبل أن يصفّى بلاد العرب من العناصر التركية !!

لقد كان مما ورد في رسالةِ سيدي محمد بن الشريف - وهي بتاريخ أواخر شعبان 1064 = 15 يوليه 1654 - هذه العبارات :[2]

«... إن آل تلمسان ما أثارَهم إلا جوركم في الأموال والبنين ومكابدتهم للضيم على مر السنين... ولئن غرسني الله - كما أشرتم - لهذه الإيالة قاعدةً وأساساً أول، فعلى الله سبحانه الاعتماد والمعول... وما فاتنا من الكرامات يدركها الأخ أو الابن أو الحفيد..!!

---

1) تاريخ الضُّعَيف الرباطي، تحقيق وتعليق وتقديم محمد العماري، نشر دار المأثورات. الرباط 1406 = 1986 ص 23.

Auguste Cour : L'etablissement des dynasties des chérifs du Maroc, leur rivallité avec les turcs de la régence d'Alger 1509-1530, paris 1904 p. 171-187.

2) تاريخ الضُّعَيف ص 25.

وبعد أن يحمل على أطماع القائد التركي يشير إلى المؤامرة التي دبرها الأتراك ضد العاهل المغربي محمد الشيخ والإجهاز عليه...

لقد كانت الرسالة الشريفة من إنشاء أبي عبد الله محمد بن مبارك بن حفيد الحسني وشهادة الفقيه أبي العباس أحمد التجموعتي، والقاضي أبي نعيم رضوان بن عبد الملك...[3]

وقد بهت أحمد عصمان باشا من صراحة مَحمد الأول وعزيمته ومن هنا تقررت إعادة السفارة ثانية لتحمل رسالة شفوية من أحمد باشا كلها توسّل ورجاء، قالوا له : «نحن جئنا إليك لتعمل معنا شريعة جدّك وتقف عند حدّك...

وهذان فقيهان من علماء الجزائر قد جاءا إليك حتى يسمعا منك ما تقوله ويحكم الله بيننا وبينك ورسوله، فقد تعطلت تجارتنا وأجفلت عن وطننا رعيتنا...

وقد كان من نتائج هذه السفارة تخطيط الحد الذي يفصل بين المملكة المغربية والإيالة التركية بوادي (تافنة)، وقد التزم محمد الأول أن لا يتخطى هذا الوادي إلا فيما يرضي الله ورسوله، وكتب العهد بذلك إلى صاحب الجزائر آنذاك.[4]

☆ ☆ ☆

وفي أعقاب وفاة المولى مَحمد وجلوس أخيه المولى الرشيد على كرسيّ الحكم وجدنا بعثة تركية لدى المولى الرشيد تطلب إليه أن لا يسمح لجيشه بالتوغل في الأراضي التي توجد تحت نفوذهم على أن يقلعوا بدورهم عن كلّ محاولة للتوسع، ورغبة من المولى الرشيد في استقرار الأحوال استجاب لمطب الترك.

---

3) الرسالة محفوظة ضمن مجموع مخطوط بمكتبة الأمير مولاي عبد الله بالرباط وبقسم المخطوطات من المكتبة العامة تحت رقم 4485. راجع مخطوطة الترجمان المعرب عن دول المشرق والمغرب المخطوط بالمكتبة العامة رقم 1275/319 د ص 38 بـ 40 تاريخ الضُّعَيف، تحقيق أحمد العماري ص 26 ـ 27 ابن زيدان : الاتحاف 3، 134.

4) تاريخ الضُّعَيف ص 17.

وضمن ذلك في كتاب منه إلى الوالي التركي بالجزائر، وكان الكتاب يحتوي على رسمٍ للحدود التي تفصل الأراضي المغربية عن الأيالة التركية وهكذا التزم الطرفان بجعل وادي تافنة حداً بين البلدين...[5]

☆ ☆ ☆

وقد تميزت أيام السلطان المولى إسماعيل بطائفةٍ من المناوشات مع جيرانه أتراك الجزائر ظهرت آثارها سواء في الوثائق المغربية أو التركية أو الفرنسية وغيرها كذلك بالرغم من اتّفاقٍ منذ بداية أيام مولاي اسماعيل على إقرار ما تمّ بين أخويه مَحمد والرشيد وبين أتراك الجزائر من جعل وادي تافنة حدّاً بين البلدين...[6]

وقد ازداد حذر المغرب من الأتراك بتلمسان عندما وصلته الأخبار بأن أتراك الجزائر يموّلون تمرّد ابن أخيه الأمير أحمد محرز بجنوب المغرب، وتأكّد لديه وجود «اتّفاق» يهدف إلى كسر شوكة المولى اسماعيل !

ولقد كان العاهل يعتقد أن أمر ابن محرز قد انتهى بعد طرد هذا الأخير من المنطقة سيما بعد عقد هدنة مع أتراك الجزائر إلا أن الأخبار الواردة من سوس سنة 1092 = 1681 أكّدت أن أتراك الجزائر الذين فتحوا ضده واجهة في شرق المغرب... كانوا أيضا وراء تمرد ابن محرز في الجنوب حيث ضبطت بعثات متبادلة ومراسلات منتظمة انتهت إلى عقد حلف سري[7] بين أولئك وبين عناصر التمرد.[8]

وهكذا بعث للسلطان محمد الرابع يخبره بصنيع رجاله مذكراً باتفاقية الهدنة المعقودة بين الطرفين...

ويظهر أن جوّاً من الانفراج أخذ يلوح في الأفق... وهكذا فمن خلال الرسالة الطويلة التي أرسلها محمد بن حدّو سفير السلطان مولاي اسماعيل إلى

---

5) الاستقصاء 7 ـ 60.

6) الاستقصا 7، 59 ـ 60. 197-200 Cour : l'Etablissement...

7) الزّياني : الروضة السليمانية (مخطوط) صفحة 60 (ب) تاريخ الضُّعَيف ص 70 تعليق 721.

8) الاستقصا 7، 64 ـ 65 ـ التازي : قصر البديع بمراكش (بحث قدم للمؤتمر الثامن العربي للآثار المنعقد بمراكش يبراير 1977.

شارل الثاني بتاريخ 11 شعبان 1094 = 5 غشت 1683 نقرأ أن السلطان العثماني ينصف العاهل المغربي مؤكداً له أن «إدالة الجزائر عند أمره ونهيه»، ومعنى هذا أن العلاقات توطدت بين الباب العالي وبين المغرب أكثر من أي وقت مضى...[9]

وقد اغتنم العاهل المغربي فرصة اعتلاء السلطان سليمان الثاني كرسيّ الحكم فبعث برسالةٍ حملها إلى القسطنطينية عبد الملك الأيوبي وذلك لرفع التهنئة وتجديد العهد الأمر الذي دفع بالسلطان سليمان إلى إرسال سفيره الحاج خليل آغا متمنياً أن يستمر تبادل الرسائل ووصول السفراء، وقد عثرت على نص الجواب في اسطامبول : أرشيف الرئاسة (باشْ باكَنلِك أرشيف - Bas Bakanlik Arsivi) مجموعة المراسلات العثمانية (نامه إهُمَايون[10] - Nama i Hümayün).

وقد حررت الرسالة المشار إليها باللغة التركية إلى : فاس حاكمي أولان إسماعيل الحسني... ملكي الفعال ملكي الخصال حارس ثغر الإسلام فارس هيجاء الاقتحام صاحب العز والمجد والسعادة... أدام الله ذاته وأبقاه[11]

---

9) Letters From Barbary 1576-1774, Trans.. By Hopkins p. 25

10) كانت رحلتي الأولى إلى اسطانبول في مايه 1972 تهدف للبحث عن الوثائق المتعلقة بصلاتنا الأولى بالباب العالي منذ 857 = 1453 عندما هنأ المغرب تركيا بفتح القسطنطينية، وبخاصة ابتداء من 961 = 1562 عندما حاول الأتراك الاستيلاء على فاس بواسطة حليفهم أبي حسون الوطاسي، وقد وجدت نفسي أمام بحر خضمّ من الوثائق التي لم ترتب بعد وخاصة منها المتعلقة بالعلاقات مع الدول، وقد تمكنت، مع ذلك، من تصفح المجموعة التي تحمل عنوان مهم (Mühumme) والتي تحمل عنوان (مهمـة دفتري) والتي تحمل إراده (Irade) غير أن حظي من المجموعة الرابعة المعروفة باسم نامه إهمايون Nama i hümayün كان أكثر منه في المجاميع الأولى التي لم أتبين منها إلا قليلاً... وقد اشتملت على وثائق من العهد الاسماعيلي، ونظراً لضيق الوقت وفقد الترجمان كنت أصوّر جميع ما يحمل اسم (فاس) أملاً في تعريبه... وقد سمحت الفرصة بعد سنتين من هذا التاريخ بالتعرف في الأردن، بمناسبة مؤتمر بلاد الشام، على الدكتور خليل ساحلي أوغلو الذي أشكر اليوم مساعدته الثمينة في إعطاء ملخ لهذه الوثائق... كما لا أنسى العون الذي أسداه لي الأساتذة والمسؤلون في اسطانبول مضيفاً إلى كل هؤلاء أولئك الذين ساعدوني أثناء الزيارات اللاحقة للعاصمة التاريخية التركية...

11) سنأتي على النصوص الكاملة لهذه الرسائل في «الملاحق».

والمجد والسعاده حاكم خطهٔ وسيعهٔ فاس اولان المولى الشريف اسمعيل الحسني

ادام الله تعالى ذاته وابقاه صوب سعادتلرينه دراری بدریة اللمعات تحايا

اجابت آیین شاهانه كه گنجينهٔ ضمير سماحت سمير خسروانه دن منصاد رولألئ

متلالئ بيضا ضياء تسليمات موافقت قرين پادشاهانه كه محيط بيكران

خاطر سعادت مآثر ملوكانه دن منبعث درر دار ايش تاج اكرام وزيور افسر توقير

واحترام قلنوب لوازم ودّ ومحبت ومراسم صدق طويت مراعات اولندقدنصكره

مجلاى مجلاى ضمير صفوت اتصاف ومرآت صفانماى خاطر عاطر موشكافانه

متوارى پرده خفا اولميه كه موقع اقبال وخلافت وعظمت ومحط رحال مجد

وعلو وشوكتا ولان سرادق سلطنت وجهانبانى وبارگاه رفيع سپهر اشتباه خسروانه مزه

عمدة اخفاد الرسول السيد عبد الملك الايوبى دام شرف سيادته يديله منبعث

اولان محبت نامهٔ نزهت افزاى دوستانه لرى وهداياى عظامكز وسائل جليله

عزحضور فايض النور خسروانه مزه عرض ومطلعندن مقطعنه وارنجه مشمول

نظر ميمنت اثر خاقانيمز اولوب مضمون سواد مشك آگيننددن روايح مهر ووفاق

ونفحهٔ يگانگى واتفاق استنشاق اولنمغله احكام احكام موالات وتأسيس

اساس صدق ومصافات اولنوب طرف همايون شوكتمقرونمزدن دخى نامهٔ همايون

ملاطفت مشحونمز تحرير واصدار وطرف مخالصت نمالكزه انتساب وانتماسى

اولان افخار الاماجد والاكارم الحاج خليل دام مجده ايله ارسال

رسالة السلطان العثماني إلى العاهل المغربي

ولابدّ أن نشير هنا إلى الجواب الذي بعث به السلطان مولاي إسماعيل إلى السلطان أحمد بن ابراهيم (1691 ـ 1695) ذلك الجواب الذي عثرنا عليه في مخطوطة بالخزانة الحسنية بعنوان كتاب مولانا نصره الله للسلطان أحمد العثماني...[12]

☆ ☆ ☆

وقد حدث أن نشبت على الحدود الجزائرية أزمةٌ يتساءل المرء عن سرّ «تزامنها» مع الموقف المتشدّد الذي كان للسُّلطان مولاي إسماعيل مع الملك لويز الرّابع الذي نعلم سلفاً عن علاقاته الممتازة مع الباب العالي !!

ولعلّ من المهم أن نتصفح رسالةً هامة وخطيرة من الحاج شعبان إلى الوزير بوتشارطران من الجزائر بتاريخ 3 رجب 1103 = 21 مارس 1692 يخبر الوزير الفرنسي بأنه يعدّ السفن ويعبء الجيش لضرب عسكر السلطان اسماعيل ! وأنه بالرغم من أن العاهل المغربي كتب إليه بثلاث رسائل تدعوه للسلام فإن الحاج شعبان ماضٍ في طريقه !!

إنها رسالة غريبة حقّاً تدل على الأيادي الخفية التي تكون أحياناً وراء توتر العلاقات بين أتراك الجزائر والمغرب...[13]

وقد اشتبك الجيشان : جيش اسطانبول مع جيش الأمير مولاي زيدان بن السلطان مولاي اسماعيل فأنزل به الجيش التركي مايمكن أن نتصوره من نقمةٍ وحقد وقد كان هدف الحملة بعيداً. فإنه كان يقصد إلى التقدم نحو قواعد المغرب الأقصى في محاولة لضمّه إلى الإيالات التركية ! ولما شعر المولى زيدان بحجم الجيوش المرسلة على كتائبه أرسل إلى والده يخبره... وهكذا تحرك السلطان المولى اسماعيل في اتجاهين : الاتجاه العسكري والاتجاه الدبلوماسي...

ومن جهةٍ أُخرى بعث سفارة هامّة تتألف من مائة وعشرين فارساً على رأسهم ابنه الأمير مولاي عبد الملك ومن أعضائها مفتي الديار المغربية أبو عبد

---

12) مجموع تحت رقم 12598 (الزيدانية).

13) الاستقصا 7، 79. E. Plantet : correspondance des deys d'Alger, p. 337 Cour, l'Etablissement, p. 380-81

الله محمد بن الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي ووزيره الشهير أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب الغساني المدعو حمّو... وذلك بتاريخ 27 شوال 1103 = 12 يوليه 1692 يقول الضّعيف...

وقد تحدث «دفتر التشريفات التركية» عن هذه الاشتباكات ونعت فيها المغرب والعرب على العموم بأسوإ النعوت !![14]

وبالرغم من الشكوك التي تخيّم على حقيقة مادار في لقاء وجدة فإن الشيء المؤكد هو أن اسماعيل فوّت الفرصة على الأتراك في أن يتقدّموا خطوة واحدة في الأراضي المغربية، وبذلك خيّب أيضاً آمال لويز الرابع عشر الذي كان يؤمل أن تسفر الأحداث عن وضع يمكّنه من إملاء اتفاقيةٍ على المغرب تجعل هذا الأخير يقبل محالفة فرنسا على النحو الذي تريده هي !!

☆ ☆ ☆

ويتوتر الجو من جديد بين فرنسا والمغرب للأسباب ذاتها أوائل سنة 1106 = أواخر 1694، ويتحرك من جديد الحاج شعبان خوجة داي الجزائر الذي كان يجدفي ملك فرنسا قابليةً زائدةً لكل مناوشةٍ تمس المغرب، وهكذا نجد رسالة غريبةً منه بتاريخ 11 محرم 1106 = 1 شتنبر 1694 يقول فيها : إن السلطان المولى اسماعيل يتفق مع محمد باي تونس من أجل مهاجمة الجزائر !! وبهذه المناسبة فإنه يكيل للعاهل المغربي سائر أنواع الشتائم..![15]

ولقد وردت في رسالة داي الجزائر إلى لويز الرابع عشر بهذا التاريخ عبارة تستحق الوقوف عندها[16] حتى نتصور إلى أي درجة تستغل المصالح

---

14) دفتر التشريفات نشره في البداية ألبير دوفولكس (A.devoulx) عام 1852 واهتم به بصفة أشمل الكونت دوكاستري ج 3، سلسلة 2، ص 499 ـ الاتحاف 2، ص 69/68 ـ Hesp 1928

Cour : l'Etablissement... p. 203

15) إن الجزائر وتونس ولو أنهما معا تابعتان لاسطانبول إلا أن العلاقة فيما بين الإيالتين كان يشوبها نوع من الغموض جعل داي الجزائر يعتقد أحياناً أن تونس يجب أن تكون تابعة بينما كان باي تونس يعتبر نفسه مساوياً لداي الجزائر وأنهما معا تابعان للقسطنطينية...!

16) Hantete : Correspon dance des deys d'alger, p. 417

الأجنبية زعماء المنطقة، لقد كان الداي يشعر بدالّته على فرنسا وهو يساعدها على تحقيق أهدافها، ولذلك شبّه الجزائر بأنها لفرنسا كالإجاصة بالنسبة للعطشان !(17)

ومن جهة أخرى فقد رأينا «الباب العالي» يبعث في السنة الموالية 1107 = 1696 سفارةً إلى بلاط المولى اسماعيل الذي كان أرسل بوفادة تهنئةٍ للسلطان مصطفى الثاني بمناسبة تقلّده الحكم...

لقد وصلت السفارة ومعها رسالتان من اسطامبول كانتا ضمن ماعثرتُ عليه في أرشيف اسطامبول : الأُولى ولو أنها لا تحمل تاريخاً إلا أن مضمونها يكشف عن أنها كانت بعد تولي مصطفى الثاني الحكم : وننقل ملخصها هنا بالعربي :

«...لقد ورد علينا كتابكم الذي يعبر عن الودّ والصداقة المتوارثين فيما بين الأُمتين... وانه من حين جلوسنا على العرش ونحن نقوم بأنفسنا على تقرير قواعد الملة خدمةً لمصالح الأُمة ورفعاً لراية الجهاد وحماية للثغور الإسلامية وأننا لن نسمح بقيام المحظورات الشرعية في بلادنا...

أما الرسالة الثانية فتتناول موضوع شكاية الجزائر إلى اسطامبول من مولاي اسماعيل حيث نجد أن الدّاي يوهم الباب العالي أن الوجود التركي بالجزائر مهدّد من طرف المغرب !!

وبهذا نفسر، خطاب السلطان مصطفى الثاني باللّغة العربية وهو ينتدب «الجليل بن الجليل» للصلح مع الجزائر ولكن الخطاب، إضافةً إلى هذا، يحمل بين سطوره معاني التهديد والتحامل(18).

وقد تبعت تلك الرسالة تحرشات جديدة ضد المغرب...

وهذا ما احتج عليه السلطان المولى اسماعيل لدى السلطان مصطفى الذي نراه يغضب فيبعث برسالة مطولة بتاريخ 22 شوال 1110 = أبريل 1699 باللسان التّركي «إن الجزائر ضمن ممالكنا المحروسة المسالك... وإن سكان البلاد وأهلها وحكامها

---

17) Hantete : Correspon dance des deys d'alger, p. 417

18) نظراً لضيق حجم الكتاب فإننا ننشر نصوص هذه المراسلات على حدة في الملاحق على ما أشرنا.

والحرم العتيق والمتمسك من كتاب الله وسنة نبيه بالحبل الوثيق ايده الله
بالملائكة المقربين وابد خلافته الى يوم الدين ووفقه لما فيه صلاح العباد
وربط خيام سلطنته باقوى الاوتاد السلطان ابن السلطان ابن السلطان السلطان
مصطفى ايده الله ونصره وهو حسبه وكفى الى السيد الشريف المستغني
عن التوصيف الجليل ابن الجليل مولاي اسمعيل بعد سلام الانسي وتحياته
المباركة الحسنى فلا يخفاكم انا لا نمتثل لامر الله تعالى العزيز العليم ولجئ
على كل ذي لب سليم وان العاقل من تمسك من تقوى الله بحبل متين القوى وابتغ
اليه الوسيلة في مخالفة ما يدعوا الى الهوى وان ما ينبغي ان يذكر الانسان
صباحا ومساء ويتواصوا وعدوا ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا
وان مخالفة امر الله موجبة للعذاب السرمدي والخذلان الابدي وان من
يتصف بالعبودية ويتحلى بنور الايمان يكون متصفا بما في ضمن قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ولقد قال صلى الله عليه وسلم القلوب
جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فمن الشاكر ان
يخرج عن محبة المجاهدين فيكون قدم في صف الست بربكم قالوا بلى في اتحاد
كلمة المتقين فالواجب التوجه بالقلب واللسان وتتبع مظان اجابة
الدعاء من الزمان والمكان لان السلطان قلب وجميع العالم جسمان فاذا افترق
طائفة من الموحدين عن حزب المجاهدين كانوا من المارقين بشهادة سيد المرسلين

جانب من الخطاب العثماني 1107 = 1196 عن الأصل الذي يوجد في اسطانبول

وجندها منقادة من بعد أجدادنا لنا... وبعد هذا يذكّر بأنه بقرب دار سلطان المغرب ما تزال توجد مليلية والبريجة وسبتة وبادس وهي بيد الكفار...[19] **وأنتم تمدُّون يدكم إلى مدينة بعيدة عن دياركم تقع في جوار تلمسان ألا وهي (وهران)[20] تريدون أن تحوزوها بأعذار واهية على عكس ما تُشير به الآية :** ﴿ياأيها الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار﴾...

ونترك التعليق على أُسلوب الرسالة التركية للذين يهتمون بطبيعة خوادث الحدود، ولكنا مع ذلك نلاحظ أن السلطان المولى اسماعيل يستجيب مرةً أُخرى لمطلب اسطامبول مؤكداً عدم رغبته في إثارة أي مشكل مع جيرانه إلا فيّ حالة تعرض بلاده للخطر... ونعتقد أنه في هذه الأثناء بعث السلطان المولى اسماعيل إلى السلطان العثماني ينوّه بجهاده، وتعليقاً من المولى اسماعيل على قول السلطان مصطفى حول الثغور المغربية التي ما تزال محتلة،[21] يذكّره العاهل المغربي، من جهته، باحتلال وهران وأن وضعية وهران **ليس شيئاً أمام وضعية سبتة : «إن جهاد جيراننا** أهل مزغنة **في دشرة وهران أمر خفيف» !![22]**

وليس من قبيل الصّدفة أن تجئ رسالة السلطان مصطفى للمولى اسماعيل في وقتٍ واحد مع حديث لويز الرابع عشر إلى عبد الله ابن عائشة سفير

---

19) هذا يُذكّر في الرسالة التي بعثها بها محمد بن حدو إلى شارل الثاني بتاريخ 11 شعبان 1094 = 5 غشت 1683...

20) تذكر المصادر المغربية أن السلطان المولى اسماعيل في إطار مضايقته لاسبانيا لكي تتخلى عن الثغور المغربية المحتلة كان يقصدها أيضا في وهران في محاولةٍ لتحرير المدينة التي كانت اسبانيا تتخذ منها قاعدة للتقوي على المغرب الأمر الذي يفسره نداء الشاعر المغربي البوعناني مفتي فاس للعاهل المغربي :

وهرانٌ تنادي كلّ يوم ... متى يأتي الأمير متى يزور ؟

التازي : الثغور المغربية المحتلة... مجلة البحث العلمي، يناير - يونيه 1976 ص 15.

21) من المعلوم أن المهدية حررت 1092 وأن طنجة حررت سنة 1095 - ثم حررت العرائش 1100 ثم أصيلا...

22) متنوعات محمد الفاسي صدر بمناسبة مرور عشرات سنوات على تأسيس جامعة محمد الخامس 1957 - 1967 ص 64 - 65.

1957 - 1967 ص 64 - 65.

المولى اسماعيل لدى البلاط الفرنسي، عن الصّلات التي تربط فرنسا بتركيا وعن عداوة هاتين للنمسا معيداً الكرة إلى مفاتحة المغرب لضمّه للحلف الفرنسي التركي للدخول في حرب ضدّ أنصار الأمبراطور النمساوي في اسبانيا..![23]

ومن الطريف أن نسمع ـ مرة أُخرى في هذه الأثناء ـ عن ادّعاء جزائري لتواطؤ جديد بين المغرب وتونس لضرب الجزائر حيث يهاجمها من شرقها مراد باي تونس وهو اتفاق لا تعرفه لا المصادر التونسية[24] كما ولا تعرفه المصادر المغربية... ويتجدد الصدام أواخر عام 1112 = أوائل عام 1701 حيث نجد رسالةً من القنصل الفرنسي مانيي (Manier) بسلا[25] مرفوعة إلى الوزير الفرنسي يتحدث عن اشتباكٍ مغربي جزائري...

كما نجد رسالة الجزائر إلى نفس الوزير الفرنسي بتاريخ 20 مايه 1701 تخبر بتغلب الدّاي مصطفى على جيش السلطان اسماعيل في وادي الجديروة من فروع شلف بتاريخ 20 ذي القعدة 1112 = 28 أبريل 1701...

وإذا كانت الوثائق تحدثت عن فشل جيش المغرب هذه المرة فإنها تحدثت عن انتصار اسماعيل على الأتراك في حملةٍ مضادة لاحقة حيث نجد القنصل الفرنسي في تطوان (Pierre Estelle) يكتب إلى وزير الخارجية الفرنسي بتاريخ 29 يونيه 1701 يخبره بأن حاكم المدينة أعطى أمرا بإقامة الأفراح وإظهار معالم الزينة بمناسبة انتصار الجيش المغربي على الجيش التركي...

☆ ☆ ☆

وتعبيراً من السلطان المولى اسماعيل عن فرحته الكبرى بتحرير وهران أواخر 1120 = 16 أبريل 1708. وجّه سفارةً خاصة إلى السلطان أحمد الثالث في هذه السنة بقصد حمل التّهاني بالانتصار على المحتلين الإسبان...

☆ ☆ ☆

---

23) S.I.H.M. T/6 p. 163/164

24) أبن أبي الضياف 2، 76.

25) Cour : L'Etablissement... p. 206 Manier de la Closerie (jean Baptiste) Facteur de jean Jourdan à Salé

وبانتشار أخبار الضربات الموجعة التي كانت تلحقها جيوش الأمبراطور النمساوي وحلفائه بآل عثمان يسجل السلطان المولى إسماعيل موقفا من أشرف المواقف ذلك أنه يتناسى احتكاكاته مع الأتراك ليعرض مساعدته لهم في مقارعتهم للنمسا... بل ولينسى تشدده مع الملك لويز الرابع عشر في سبيل مناصرة العثمانيين.

وهكذا حررت رسائل أخرى لكلّ من سلطان تركيا أحمد الثالث ولويز الرابع عشر بتاريخ 14 جمادى الأولى 1122 = 22 يوليه 1709 يعرض عليهما مساعدته العسكرية لحرب النمساويين ولا يفوته بهذه المناسبة أن يذكر لملك فرنسا مجدّداً أنه يقدّره نظراً لكونه يحالف تركيا التي تقوم بحماية الحرمين الشريفين...

☆ ☆ ☆

وفي الوقت الذي تصدّى فيه الجيش المغربي لوقف حركة الداي ضد المغرب، قام السلطان المولى اسماعيل بإرسال سفارة إلى السلطان أحمد الثالث تحمل رسالة إليه في الموضوع جاعلةً إياه على علم مما يقوم به ولاته...

وإذا كنا نجهل تاريخ الرسالة الإسماعيلية التي توجد في خزانة أكسفورد فإن الجواب عنها من طرف تركيا يحمل تاريخ «آخر جمادى الأخيرة عام سبعة وثلاثين وإحدى عشرة» = 1725 بدار السلطنة العلية قسطنطينية...

وقد كان مما ورد في هذا الخطاب :

اعلم أيها السيد الوليّ أنا قبل أن يصل إلينا كتابكم الأسمى وخطابكم الأنمى كنا لا نعرف ما هم عليه أهل الجزائر ولا أنهى إلينا فعلهم أحد كما أنهيتموه لنا ولا عرفنا ما صار عندهم ولاماهم عليه، وبالجملة أهل الجزائر ما هم على شيء لكونهم أخلاط الناس فيهم الأصلي وفيهم البرّاني وفيهم من لاخلاق له ولم تكن عمارتها بذوي الأحساب والأنساب، كل هذا لايخفانا قبل، نعرفه ونتحققه منهم، وقد بلغنا أنهم خرجوا من البلاد بمحلتهم وأرادوا الشرّ معك وإنا لانرضى منهم ذلك، وهذه الذخائر

والأموال والخزائن التي خبّرتنا بها قطعا خبّرنا بها غيرك والآن إن شاء الله نردّ لهم البال ونشتغل بهم ولا نتركهم في حيّز الإهمال. وتلك الخرجة التي خرجوا لبلادك نطلب من كمال فعلك وحسبك أن تسمح لهم لوجهنا وإن عادوا يراجعونك ولو بكلمة. نمحي جرّتهم.!!

☆ ☆ ☆

وبالرغم من الظروف العصيبة التي أعقبت وفاة السلطان المولى اسماعيل بسبب التنافس على الحكم بين بنيه فقد استمرت صلات المغرب باسطامبول... وخاصة بين السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل والسلطان محمود الأول...

وهكذا سجلت سنة 1143 = 1731 حركة هامة قام بها السلطان المولى عبد الله في إطار علاقته بالعثمانيين والمشرق : تلك إرسال سفارة خاصة من لدنه لتقديم التّهاني بجلوس السلطان محمود الأول على عرش أجداده، وكانت برئاسة الحاج أحمد البخاري...

وقد عثرتُ في اسطامبول على ترجمةٍ الرسالة المغربية إلى اللغة التركية وهي مؤرخة في شهر رجب 1143 يقول فيها السلطان المولى عبد الله «إن جنودنا وخيراتنا وافرة... وأنتم حُماة الحرمين الشريفين، أنتم بين الملوك كالتاج على الرأس، واننا لنرجوا من جنابكم حفظ ما كان بين آبائنا وأجدادنا من عهود... وقد أرسلنا كتابنا هذا بصحبة خديمنا الوفي القديم الحاج أحمد بخاري ؟ والرجاء تسهيل عودته بعد أن يستوفي الغرض...

وقد كان انقضاض اسبانيا على وهران مرةّ أخرى من مرسى (أليكّانتي Alicante سنة 1732 = 1144 مناسبة كتب فيها السلطان محمود الأول إلى السلطان المولى عبد الله أواسط سنة 1145 = دجنبر / يناير 1733 يخبره بأن المجاهدين انتكسوا وأنّهم في حاجةٍ إلى مساعدةٍ أُخرى من أهل المغرب...

☆ ☆ ☆

الرسالة المغربية المترجمة إلى التركية بتاريخ شهر رجب 1143

وقد عرفت أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله (محمد الثالث) جسراً ممتداً عبر البحر المتوسط يربط البلاط المغربي بالباب العالي حيث نجد العشرات من السفارات المتبادلة والهدايا المقدمة...

لقد دشن علاقته بالسلطان مصطفى الثالث الذي تولّى الحكم تقريبا في نفس التاريخ التي تولى فيه محمد الثالث، بإرسال بعثة ترأسها شخصيتان بارزتان الأُولى : الحاج الطّاهر بناني الرباطي مفتي الديار المغربية، وأمير ركب الحاج الحاج عبد الله الخياط (الفاسي) الملقب بعديّل، حيث عبّر السفيران المغربيان لسلطان تركيا عن عواطف الودّ التي يكنها العاهل المغربي للباب العالي، وقدما له رسالةَ تهنئةٍ ملكية وطائفة من الهدايا من نفائس المغرب لقيت صدى طيباً لدى السلطان مصطفى الذي قدر المبادرة المغربية وأصحب السفارة بوفادةٍ أخرى من تركيا حملت، فيما حملت، هدية اشتملت على مدافع وآلة حرب وأدوات مراكب وضروب سلاح الأمر الذي ابتهج له السلطان سيدي محمد إيما ابتهاج حيث نراه يُرجع الوفد العثماني مغموراً بشتى ضروب التكريم...

وإذا كانت الوثائق المغربية لم تتحدث عن هذه السفارة بأكثر من هذه الكلمات فقد عثرنا في أرشيف اسطامبول في جملة ماعثرنا عليه، على نص (الخطاب الهُمايوني) الذي بعث به السلطان مطصفى إلى السلطان سيدي محمد جواباً عن سفارة بناني وعديّل، وقد كان الخطاب مرفوقاً بقائمة الهدايا المرفوعة صحبة السفيرين المذكورين. وقد احتوت على أحجار كريمة ومجوهرات رفيعة علاوة على المواد الحربية السالفة الذّكر...

وقد كانت الرسالة مؤرخة في أواخر شعبان 1175 = أواخر مارس 1762.

ويظهر أنه تجدد سنة 1178 = 1765 اختيار الفقيه الطاهر بناني الرباطي للسفارة لدى السلطان مصطفى الثالث ورافقه هذه المرة أديب من أدباء سلا هو الطّاهر بن علي بن عبد السلام السلوي حيث توجها كما تنقله كتب التاريخ المغربي بهديةٍ فيها خيول عتاق وسروج مثقلة بالذهب ومرصعة بالجواهر والياقوت ونفيس الأحجار وفيها سيوف محلاة مرصعة بالياقوت المختلف الألوان وفيها حلى من عمل المغرب وبنود منسوجة بالذهب من عمل فاس

فابتهج السلطان بذلك وكافأ عليه بمركب موسوق من آلة الحرب المحتوية على المدافع والمهارس والبارود مع (إقامة)[26] كثيرة للمراكب القرصالية من كل ما تحتاج إليه...

ولقد كان السلطان محمد الثالث يطمح لإحياء (دار الصنعة) التي كانت تُعنى بإنشاء المراكب على عهد الموحدين والمرينيين بمدينة سلا على ما عرفناه... ويذكر صاحب الاستقصا أن العاهل المغربي قام باستشارات الجهات التركية المختصة، وقد أجابته بأن الأمر يتطلب إنشاء دار على هيئة كذا ومن نعتها كذا وكذا... لكن السلطان استطال الزمن... كما أنه استكثر المصاريف الباهضة التي يكلفها المشروع...

ومن حسن الحظ أن نجد آثار سفارة الحاج عبد الكريم راغون سواء بالأرشيف المغربي والأرشيف التركي، وهكذا فمن ناحيةٍ عثرنا في أرشيف اسطامبول على ترجمة بالتركية لنص الرسالة العربية التي رفعها العاهل المغربي للسلطان التركي بتاريخ 8 ربيع الأول 1180 = 13 غشت 1766 كما وقفنا من جهةٍ أُخرى بالمغرب على نصّ رسالة الاعتماد التي حملها السفير عبد الكريم راغون إلى صدر الدولة العثمانية وأمينها وناصحها وإنسان عينها ومعينها السيد محمد أفندي على ما نذكره في الملاحق...

وقد عثرنا إضافة إلى هذا على جواب السلطان مصطفى الثالث على رسالة محمد الثالث وهو بتاريخ أوائل ذي الحجة 1180 = مايه 1767 وفيه يخاطب العاهل المغربي بأرفع صفة ويحييه بأرق سلام ويقول أنه توصّل بكتابه المعبر عن صدق المحبة وإخلاص الود بواسطة الحاج عبد الكريم راغون وانه انبسط جدا من تصدى المغرب للصلح مع طائفة دوبروونيك...

ولقد كان المبعوث الذي وعدت به مراسلة سابقة ـ على مانظن ـ هو مبارك بن هماد والأمين الحاج عبد الله الشربي الأندلسي التطواني بالرغم من أن الرسالة الموجّهة لهذين السيّدين لا تحمل تاريخا...

26) الإقامة تعني في الاصطلاح المغربي : التّجهيزات وقطع الغيار... الاتحاف الوجيز للدكالي، منشورات الخزانة الصبيحية ـ سلا ص 184.

الحمد لله وحده   وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

تحية الله بأزكى تحياته [illegible] بمواصل هباته [illegible] بركاته
على صدر الدولة العثمانية وأمينها وناصحها وأنيس حضرتها
ومعينها السيد الأشم الأمجد الأنجد الأعظم السيد محمد أفندي أسعد
الله زمانه ووالى كرامته وإعانته [illegible] عليك ورحمة الله تعالى
وبركاته وبعد فاعلم أنا جعلناك وكيلنا ونايبا عنا في جميع
ما [illegible] هنالك [illegible] بجميع ذلك وها نحن وجهنا
خديمنا الحاج عبد الكريم راغون لتلك الناحية والمتولى عليك [illegible]
[illegible] بجميع ما احتاج اليه [illegible] من غير تقصير
[illegible] على أحسن حال [illegible]
[illegible] والتبرك ونحن على [illegible]
[illegible] في 8 ربيع الأول عام 1180

رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى أفندي الصدر الأعظم في الدولة العثمانية، يقدم له فيها السفير عبد الكريم راغون الذي حمله كتاباً يتضمن التعزية للسلطان مصطفى الثالث فيما أصاب الأسطول العثماني من الروس وقد زوده بهدية نفيسة مكافأة له على الهدية التي كان أرسلها مع السفيرين السلاوي وبناني...

وهي بتاريخ 8 ربيع الأول 1180 = 14 غشت 1766.

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الحمد لله وحده

خديمينا القايد مبارك بن هماد وخديمنا
الحاج عبد الله الشربي سلام عليكما
ورحمة الله وبركاته [illegible] بالله بلاد في
[illegible] بروات السلطان العثماني نصره الله [illegible]
فادفعوا للوزير براءته وادفعوا القبطان باشا
براءته وادفعوا للسلطان عبد الحميد براءته
[illegible] المغلقة بالشمع [illegible] وإنما تركبوا
من السفينة التي فيها المال وتوجهوا بالسلامة
وإذا بلغتم المال والبراوات للسلطان العثماني نصره
الله ارجعوا إلى ازمير وانشأوا السير [illegible]
عليكم والسلام [illegible]
[illegible]

أوراق اعتماد السفيرين امبارك بن هماد والحاج عبد الله الشربي المبعوثين من السلطان محمد بن عبد الله إلى السلطان عبد الحميد ومعهما هدية مالية هامة، والرسالة لا تحمل تاريخاً، من أوائل رسائله إلى السلطان عبد الحميد أي حوالي 1190 = (1777م).

ويذكر الزّياني في (الترجمانة) أن المبعوثين المذكورين ذهبا للمرة الأُولى يصحبان ستمائة ألف ريال ركبا بها من طنجة، وهو يذكر بهذه المناسبة أن السلطان سأله ذات يوم عما يمكن أن يعلّق به الناس على إرساله هذا المال للعثمانيين من أجل الجهاد فأجابه الزّياني : إن الناس يقولون : لوصرفته في الجهاد بالمغرب لكان أولى ! فقال السلطان : وأيّ جهاد في غربنا ؟ فأجابه الزّياني : سبتة ومليلية وبادس ونكور ! وهنا تحدث له العاهل عن المصاعب التي كانت تحول دون ذلك وأن العثمانيين هم الآن بصدد ردّ الغزو[27] الموجّه ضدهم، يعني أنّهم يستحقون الإيثار !

الأتراك يستوردون الشاشية من فاس !

في مذكراته عن مدينة فاس كتب الدبلوماسي الفرنسي لوي شينيي من سلا بتاريخ 10 نونبر 1775 16 رمضان 1189 صفحة هامة تصف العاصمة المغربية، وقد لفت النظر في هذا المذكرة إلى أن الفرنسيين عندما يطلقون على الطربوش اسم فاس (FEZ) فإنهم يقلدون في ذلك الأتراك الذين كانوا يعطون اسم فاس للشاشية التي دأبوا على استيرادها من فاس، وبالرغم من أن «التوانسة» حاولوا تقليد أهل فاس إلا أنهم لم يصلوا إلى إتقانهم على نحو ما كان عليه الحال في مصانع فرنسا التي حاولت بدورها أن تنافس مدينة فاس !! والمهم بعد هذا أن نذكّر بأن للشاشية بالمغرب ماضياً يضرب في جذور القدم...

التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 3، ص 164/163

ولكثر اهتمام الباب العالي بشؤون المملكة المغربية نجد أخباراً بتاريخ 24 رجب 1197 عن السفارة المغربية إلى النمسا وكان يرأسها محمد بن عبد المالك حيث تتبعت تركيا باهتمام لائحة الهدايا التي رفعت إلى العاهل المغربي من أمبراطور النّمسا[28]

فعلاً في أعقاب سفارة ابن عبد الملك إلى ڤيينّا وجّه العاهل المغربي (مايه 1197 = جمادى الثانية 1783) سفارةً هامة إلى الباب العالي برئاسة الطاهر فنيش وقد عرفنا من أفرادها عبد العزيز فنيش الذي يظهر أنّه قريب للسفير... وكانت تحمل مساعدات ضخمة وهدايا فخمة للسُّلطان...

27) الترجمانة الكبرى تحقيق عبد الكريم الفيلالي، الرباط 1967 ص 131.

28) لقد شوشت السفارة المغربية بالنّمسا إلى حد كبير على رجال الحكم في اسطامبول.

Ramon Laurido Diaz : Relacion Del'alawi : Sidi Mohammad... en la Seconda Mitad del Sultano 1775-1790, Hesp. Tamouda, 1986 p. 231

ولابُدّ لنا أن نذكر هنا أن السفير فنيش لم يستقبل مباشرةً بعد وصوله على ما جرت به العادة ! وقد عرفنا من خلال التقارير الدبلوماسية الأجنبية أن القادة الأتراك كانوا بحاجة إلى تقديم تفسير لهم عن البواعث التي كانت وراء ذلك «التقرب» المغربي من أمبراطور النّمسا الذي كان على حالة حربٍ مع الأتراك ! «إن سلطان المغرب تصرّف على نحو ما تفرضه مصالح الإسلام...» على حد تعبير السفير المغربي كما تنقله المصادر الأوروبية... والدليل على ذلك أنه أي السفير المغربي لدى النمسا عاد وقد حرر عدداً من الأتراك الذين كانوا يعانون من الأسر هناك..! وبهذه المناسبة أكد المبعوث المغربي عن استعداد بلاده لتقديم المزيد من العون للأتراك في حروبهم مع النّمسا والروسيا...

وقد ذهب السفير فنيش أبعدَ من هذا عندما قال معلّقاً على حلف النمسا والروسيا، لماذا لانتّحد نحن المسلمين في المشرق والمغرب، ولماذا لانضع ثروتنا وأسطولنا تحت قيادة واحدة ؟

وهنا جرى الحديث حول «حجم» المساعدة التي يمكن أن يقدمها العاهل المغربي الذي يتنازل عن كل ما يملكه في سبيل العثمانيين...

وقد واصل فنيش سفره إلى مكة بينما التحق قريبه عبد العزيز بالمغرب ليطلع السلطان على ما تمّ عليه الاتّفاق مع الباب العالي وهو الأمر الذي حرص ملك المغرب على تنفيذه كاملاً...

وقد كان من الوثائق التي وجدناها في أرشيف اسطانبول وثيقة تحمل تاريخ 23 شعبان 1197 = 22 يوليه 1783، وكان بعضها ترجمة للخطاب الملكي الوارد على يد المكي بركّاش... وفيه يجدّد عواطفه نحو أخيه السلطان عبد الحميد ويبعث إليه بناءً على قول الرسول ﷺ «تهادوا تحابوا» سيفاً مجوهراً وخنجراً مرصّعاً بالأحجار الكريمة إلى بقية التّحف...

ويتخلص العاهل من هذا ليطلب مرّةً أُخرى من السلطان العثماني إصدار الأمر ببيع ما طرزت به تلك المصاحف المهداة من والده وإنفاق ثمن ذلك على أشراف مكة من ذرية الحسن والحسين وأن تجلّد المصاحف من جديد لتجعل

رهن القراء والطلبة حتى يتمتعوا بقراءتها ولا تبقى محجوبة عن الناس بسبب ذلك الحلي...

وبهذا الصّدد عثرت على نص الجواب الذي بعثه السلطان عبد الحميد إلى الملك محمد الثالث حول مطلب هذا الأخير...

كان خطاباً طويلاً بديع الأسلوب ولو أن السلطان عبد الحميد لم يتفهّم «الروح السلفية» التي وردت في خطاب سيدي محمد...

وقد قال فيه على الخصوص : وما رأينا إخراج المصاحف المطهرة عن خزينة المدينة المنورة وانتزاع الجواهر وابتياعها خليقاً بخليقتكم الكريمة وحقيقاً بحقيقتكم الفخيمة... فإنها هدية لسلطان الأنبياء... ولا شك أنه حيّ في قبره... فإخراج الهدية. من الخزانة النبوية، وإن لم يكن في نفسه سيئة، ما كان دأب الملوك والأمراء الإسلامية... إن خزينة ﷺ مشحونة بتحف السلاطين والأمراء الماضين وهدايا الخواقين والخلفاء، ولم يقع من أسلافنا إخراج شيء عن خزينة سيد الأنام.... وأما العطايا والإنعام لسكان بيت الله الحرام وقطّان مدينة سيد الأنام لاسيما الشرفاء الفخام... فهو من طرفنا وطرف أسلافنا الهمام في كلّ سنة وعام، شاملٌ وعامٌ بواسطة أُمنائنا ووكلائنا من وزرائنا وسائر الخدام....

وبعد أن يتحدث الخطاب عن مهمة سفراء العاهل المغربي يشير لانعقاد الصلح بين العثمانيين وبين اسبانيا 1783 = 1197 في أعقاب انتصار هذه الأخيرة على الأسطول الإنجليزي في ميُورقة.

وقد زود السفير المغربي بنسخة من ذلك العقد لاطلاع العاهل عليه لأن تعاون الإخوان واجب لأهل الإيمان في كلّ آن لاسيما في آخر الزّمان...

وفي عام 1199 = 1785 توجهت - في أعقاب سقوط القرم (La Crimée) سفارة هامة إلى الباب العالي تتألف من الأمين عبد الكريم العوني وعبد العزيز الصنهاجي ومحمد الزوين الرحماني، ومعهم أربعة مراكب تحمل اثنى عشر ألف قنطار من ملح البارود، وقد حمل السفير العوني معه رسالة العاهل المغربي

الحمد لله الذي شيد بنيان الإسلام على أساس هو نواميس الملة البيضا ورفع قواعد الدين فوق أساطين [illegible] الملوك العظما والصلاة والسلام

على من أزال ظلم الغواية والضلال بنور رسالته من أقطار الغبرا وكشف القناع عن وجه الإعجاز [illegible] من العرب العربا

وعلى آله وعترته وصحبه الطاهرين تلمع وجوههم الأنوار يوم تسود وجوه الأعدا

(وبعد)

نهدي تحفة سلام بفوح أريج المحبة التام من نسيمه وجوهر وداد يتلألأ لوامع الإخلاص من جوانب [illegible]

مفاخر أصالة العدنانية وجال في ميادين بسالة الفطانية نور شجرة الأرومة النبوية باكورة حديقة الجرثومة [illegible]

مالك ممالك الغرب وأطرافها مالك أزمة أكابرها وأشرافها مولانا ومحبنا في الله الجليل الأمير محمد بن المولى [illegible]

ابن المولى إسماعيل صانه الله تعالى من صوارف الحدثان في كل واصل أما بعد فقد وصل إلينا [illegible]

البهية بأيدي سفيركم المكرم من أعز خدام جنابكم المفخم افتخار الأعالي والأعاظم الطاهر بن عبد الحق [illegible]

فقبلنا هديتكم الأسنى بقبول حسن كما هي في الإسلام من السنن بعدما حصل لنا منها حبور وبهجة فإنها لباب [illegible]

[illegible] وتعلقنا نظر الإسعاد والاتحاد وأكحلنا من سواد مداده عين الوداد فوجدناها كتاب [illegible]

ويزهر روض الروع من نسماته تطلع من مطالع معانيها أقمار الإخلاص فتنجلي عنها أعين العيان [illegible]

الاختصاص [illegible] من الخلصان معان بديعات النظام بجمالها ذووا العقل [illegible] في العقود منتظما

تكاد معانيها [illegible] لحسن مباني اللفظ أن تتكلما تأملت في تركيب أشكال خطه رأيت [illegible]

وقد ذكرتم فيه من المصاحف المرصعة باليواقيت واللآلي التي أرسلت وأهديت في زمان أجدادكم العالي ومن أوقاف آبائكم [illegible]

العوالي إلى الروضة المطهرة والتربة المقدسة المنورة التي هي خزينة الأنوار ودفينة الأسرار على صاحبها صلوات الملك [illegible]

الغفار بطريق النذر والهدية طلبا [illegible] رضاء الرحمانية ومثوبات الأخروية منافعها الآن مفقودة [illegible]

وهي المقصودة وبعض الجواهر عليها من الرصائع يحتمل أن يكون الساقط عنها والضائع فلهذا [illegible] في موضع [illegible]

الجواهر والحلي عنها وتباع ويعطى أثمانها للشرفاء الذين هم الأطهار والنجباء بالإجماع والمصاحف المنتزعة من الجواهر [illegible]

لسكان الطيبة الطيبة وطلابها لأجل الانتفاع بشرط أن يقرأ كل يوم ولا يعطل ويهدى ثوابها إلى أرواح [illegible]

[illegible] المبجل وما رأينا إخراج المصاحف المطهرة عن خزينة المدينة المنورة وانتزاع الجواهر وابتياعها خليقا بجلالتكم [illegible]

وحقيقا بحقيقتكم الفخيمة ولا لشأن آبائكم الكرام جديرا وأحرى ولمكان أجدادكم مناسبا [illegible] لأنها نذر وهدية

لسلطان الأنبياء خير البرية عليه وعلى آله صلوات السنية ولا شك أنه حي في قبره [illegible]

الهدية وأخذها عن الخزانة النبوية وإن لم يكن في نفسها سنية ما كان دأب الملوك والأمراء [illegible]

[illegible] السنية أن خزينة النبوية في الطيبة الطيبة العلية مشحونة بتحف السلاطين والأمراء [illegible]

من الجواهر وسائر الطرائف من بركات آبائنا وآبائكم الأمجاد [illegible]

المنقضية ولم يقع من أسلافنا الكرام إخراج شيء عن خزينة سيد الأنام [illegible]

وسائر الملوك والخلائف السوالف خوفا عن القصور في الأدب والاحترام فلذلك تعلق إرادتنا العلية [illegible]

الفخام كوقوع هذا المرام بأن أخذنا ثلاثة دلائل الخيرات وثلاثة مصاحف خطها في الحسن [illegible]

[illegible] هذه القضية [illegible] والتربة المنورة بإشراقات الكمال والعرفان [illegible]

وأرسلناها إلى الروضة المطهرة بفوحات الفضل والإحسان بشرط أن يقرأ كل يوم وليال ويهدى ثوابها إلى [illegible]

من رياض الجنان وفردوس من [illegible]

خطاب السلطان عبد الحميد حول المصاحف المحلاة بالذهب

المتعلقة بتعنُّت أتراك الجزائر وعبثهم، وفيها يخاطب سلطان تركيا : «إن لم تدفع ضررهم عن المسلمين فدعني وإياهم..!».

وفي إطار التعاون مع الباب العالي نجد هذا وقد عقد اتفاقية الصلح مع اسبانيا على ما أسلفنا يطلب إلى ولاية الجزائر أن تنضم للاتفاقية التي تقتضي سَرَيان الصلح على سائر الولايات العثمانية - طرابلس، تونس، الجزائر، لكن الجزائر تمرَّدت على تعليمات القسطنطينية...

وهنا وجدنا أن الباب العالي يتوجه إلى المغرب ليطلب إليه وساطته بل تدخله لدى داي الجزائر محمد عثمان باشا حتى يحمله على الاستجابة لرؤسائه في اسطامبول.

ولم يسع المغرب إلا أن يقبل هذا التشريف أو التكليف سيما وهو يخدم علاقته بالأتراك الذين كانوا يخشون احتلالاً شاملاً للجزائر من قبل اسبانيا.

وبهذا وحده نفسر «الاسترعاء» أو «التصريح» الذي صدر باللغة العربية والإيطالية والإسبانية عن العاهل المغربي لأعضاء السلك القنصلي بطنجة وقد حرر بمراكش بتاريخ ثاني ذي القعدة 1199 = 5 شتنبر 1785 :

«...إن أهل الجزائر إن فعلوا مع جنس الاصبنيول الصلح الذي أمرهم به السلطان العثماني نصره الله صلحاً تاماً كيف أمرهم فعلى بركات الله، وإن لم يفعلوا ما أمرهم به فإننا نوجه عشرة فراكيط من فراكيطنا الجهادية لباب مرسى الجزائر ونمنع جميع أجناس النصارى من الدخول للجزائر، وكذلك الاصبنيول يوجهون عشرة من فراكيطهم وهم يتكلمون مع أهل الجزائر وأنا كلامي مع أجناس النصارى الذين يريدون الدخول للجزائر وغيرها من مراسي الجزائر...[29]

29) د. التازي : فكرة المغرب العربي من خلال الوثائق الدبلوماسية، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العدد 14/13 محرم 1404 = اكتوبر 1983 ص 16/15 مولود قاسم نايت بلقاسم : شخصية الجزائر الدولية، نشر دار البعث، الجزائر 1405 = 1985 ص 109 - د. يحيى بوعزيز : مفاوضات الصلح بين الجزائر واسبانيا مجلة الثقافة الجزائرية، العدد 89 محرم 1406 = أكتوبر 1985. ندوة جامعة الشتاء - إيفران، مارس 1988.

ومن السفراء المغاربة الذين توجهوا أوائل 1199 = نونبر - دجنبر 1784 الأمين عبد الكريم العوني الذي عاد إلى المملكة المغربية يصحبه السفير العثماني اسماعيل أفندي على ما يؤكده التقرير الذي رفعه القنصل الاسباني سالمون إلى بلاده بتاريخ 13 يونيه 1785 = 5 شعبان 1199...

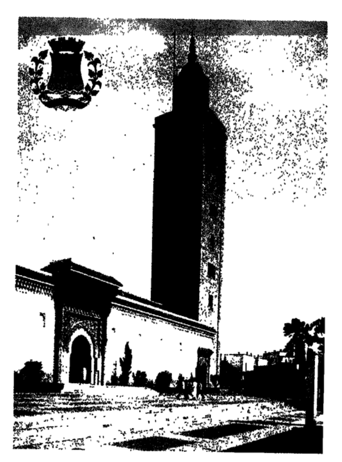
إن خطاب العاهل للسلطان العثماني بقوله : «إن لم تدفع ضرر أصحابك في الجزائر عن السلمين فدعني وإياهم» ترك دوياً كبيراً في الديوان الذي نراه يبادر بالكتابة لداي الجزائر «أن يتأدب مع السلطان وينفذ ما يكتب لهم به ويفعل معه من الآداب ما يفعله مع السلطان عبد الحميد !!».

وقد اجتمع على ظهر السفينة التي أقلته إلى المغرب بالأمين عبد الكريم العوني، وتذكر المصادر المغربية أن العوني سأل أفندي عما يحمله في حقيبته حول قضية الجزائر، فأجابه : عندى المكاتيب لباشا الجزائر وباشا تونس ولسلطان المغرب، السلطان كتب للأولين أن يكونا عند أمر مولاي محمد !

إن خطأ في الترجمة والتبليغ حصل دون شك... فقد فهم العوني أن السلطان عبد الحميد ولّى أمرهم لسلطان المغرب.. فلما بلغوا طنجة نزل العوني من المركب واجتمع مع والي المدينة ابن عبد الملك فأخبره بقدوم الباشدور معه، وأنه أتى بالمكاتيب لأهل الجزائر وتونس بولاية سلطان المغرب عليهم.!! فلم يتردد الوالي في الكتابة للسلطان سيدي محمد بأن السلطان عبد الحميد أعطاه الجزائر وتونس - على ما تذكره هذه المصادر - وأن سفير عبد الحميد يحمل المكاتيب بذلك.!!

وعندما وصل مبعوث قائد طنجة إلى مراكش التي كان العاهل يقيم فيها آنذاك، وجه السلطان كبير الطبجية القائد الطاهر فنيش بالمكاتيب إلى عمال القبائل وقواد المدن التي يمر بها السفير التركي من طنجة إلى الرباط يأمرهم فيها بإكرام السفير والاحتفاء به كما يليق بمقامه ومقام الدولة التي يمثلها، وفعلاً أقيمت لاسماعيل أفندي احتفالاتٌ في كل الأماكن التي نزل بها...

ولما وصل إلى الرباط، وقد كان حله الركاب السلطاني، أنزل في «سانية الرحماني» وأغدقت عليه من قبل المخزن الشريف أنواع الإنعامات واحتفل السلطان بعيد الأضحى في عين عتيق على بعد ثلاثة اميال من المدينة كما يقول الزّياني(30) وعين يوم الجمعة الموالي 15 اكتوبر 1785 لاقتبال السفير التركي وذلك بجامع السنة.



جامع السنة حيث تم استقبال السفير اسماعيل أفندي

(30 CAILLÉ : RABAT... 1245 P. 558.

وبعد الصلاة أمر السلطان قاضي القضاة بقراءة كتاب الخليفة العثماني فلم يكن فيه إلا الاعتذار عن أعمال أتراك الجزائر ! فغضب السلطان - تقول المصادر المغربية - غضباً شديداً ونسب الكذب للسفير التركي وأمر بإرساله في الحين إلى تطوان ريثما يلتحق به سفير مغربي يرجع معه إلى بلاده !

وحتى يضمن نجاح أهدافه قرر العاهل المغربي إرسال سفارة سابقة قبل عودة السفير التّركي... وهكذا تقرر إرسال وفد برئاسة ابن عم العاهل وصهره مولاي عبد الملك بن ادريس وبمعينة الكاتب محمد بن عثمان وأبو حفص عمر لوزيرق.

لقد قضى ابن عثمان ثلاثة وعشرين يوماً بالعاصمة التركية، وفي 27 من شوال (23 غشت 1786) استدعى للملاقاة الرسمية مع السلطان وقبل المثول بين يديه أو لم الوزير وليمةً فخمة حضرها أعيان الدولة التركية وأعضاء السفارة المغربية الآخرون، وفي كتاب رحلة ابن عثمان وصف دقيق لهذه الحفلة وما تبعها، وقد ذكر أن الملاقاة على هذه الكيفية من الاحتفال وعدم الانتظار الطويل لم تتفق لأحدٍ كما أخبره بذلك أهل الديوان لأن ملاقاة الوفود عندهم يرصدون بها الأعياد أو عرض العسكر لقبض الراتب...»

وفي أثناء مقام ابن عثمان باسطانبول ورد على الحضرة التركية أبو القاسم الزّياني الذي عينه السلطان لمرافقة السفير التركي اسماعيل أفندي، وليحمل في الوقت ذاته للسلطان العثماني هدايا ومكاتيب في الشؤون الجارية، ولما وصل المركب المقلّ للزّياني إلى المرسى وجد في انتظاره أعضاء السفارة السابقة علاوة على شخصيات تركية سامية...

وقد تحدث الزياني في رحلته «الترجمانة الكبرى» عن سفارته هذه بتفصيل مذكراً بعناية الدولة التركية به على نحو ما فعلوا بزميله السابق ابن عثمان حسبما يؤخذ من الرسائل التي وصلت إلى المغرب من القسطنطينية.

لقد قضى الزّياني باسطانبول مائة يوم، مثّل بين يدي السلطان عبد الحميد الثالث، سأله : هل يمكن للسلطان سيدي محمد بن عبد الله أن يقدم سلفاً للدولة التركية ؟ وكانت تركيا إذذاك على أهبة الحرب ضد الأمبراطورية الروسية

والأمبراطورية النمساوية، فأجابه السفير المغربي بأن السلطان سيدي محمد بن عبد الله يقدم للدولة التركية في سبيل الجهاد أموالاً كثيرة لا على سبيل السلف بل على سبيل العطاء المحض...

☆ ☆ ☆

ونعود إلى السفير اسماعيل أفندي السالف الذكر لنقف على تقرير له سرّي رفعه إلى السلطان عبد الحميد بعد عودته إلى بلاده وهو بتاريخ 15 ربيع الأول 1201 = 5 يناير 1787 وقد عثرت عليه ضمن الوثائق التي وجدتها في اسطانبول... والتقرير يكشف عن كثير من الجوانب المبالغ فيها كما يصوّر الخوف الذي كان يهيمن على العثمانيين من المركز المرموق الذي كان ينعم به العاهل المغربي ليس ببلاده فقط ولكن عبر أقطار الشمال الإفريقي ومصر والحجاز وبلاد اليمن..!! تقرير من ثلاث صفحات من الحجم الكبير مزدحم الكلمات...

«...وفي أثناء إقامتي بالمغرب ورد خمسة أشراف من عربان الجزائر يشكون ما انتابهم من ظلم من أهل الوجاقات (الولايات)، فأشار عليهم بالذّهاب إلى الدولة العلية، فأجابوه بأن اسطانبول على مسافة ستة أشهر فكيف نستطيع الذّهاب ؟! وهنا بعث بهم إليَّ لأسمع كلامهم، فلما استنطقتهم نقلوا حالاتٍ من الظلم ينْدَى لها الجبين واعترضني منها عارض !! والحق - يقول اسماعيل - أن ظلم العثمانيين لمن تحت أيديهم من أُناس وممالك شيء يمجه العقل ويرفضه الشرع، وقد ذكر لي أن سكان الجزائر لايرضون بما يقوم به حكامهم، وانهم يراسلون المولى محمد ويبعثون إليه خفيةً ويستغيثون به..!!

إن أحداً من الحكام لا يتوفر على ما يملكه المولى محمد من جند وخزائن، وله من القوة والاقتدار ما ليس لغيره، وقد استخبرت وعلمت من بعض الملاحظين أن باي تونس، وباشا طرابلس وما يتبعهما من قبائل وعشائر عُربان تلك البلاد يضمرون الحبّ خفية للمولى محمد نكاية في عسكر الجزائر ! وأن لهم معه مكاتباتٍ ومراسلات، ولهذا فإنْ لم تسع الدولة العلية لدفع ظلامات هؤلاء المغاربة ممّا التمسه المولى محمد فإنه والعياذ بالله - إذا استيأس النّاس أخشى أن يزحف مولاي محمد على الجزائر وينتهى الأمر.!!

[illegible]

جانب من تقرير اسماعيل أفندي أيام محمد الثالث، وهي بتاريخ 15 ربيع الأول 1201.

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة هامة من السلطان عبد الحميد إلى السلطان سيدي محمد ابن عبد الله بتاريخ أواسط جمادى الأولى 1201 = مارس 1787 وقد جاءت أهميتها من أنها تأتي في ظروفٍ كان الباب العالي يتأهب لإعلان الحرب ضد المُوسقو (الروسيا) عندما قامت الأمبراطورة كاترينة بجولةٍ في بلاد القرم وأقام لها القائد بوتمكين أقواس نصر كتب عليها : طريق بيزانطة ! لقد علمت الدولة آنئذ الهدف الحقيقي، وتأكد لها ذلك لما اجتمعت كاترينة في جولتها تلك مع ملك بولونيا وأمبراطور النمسا... (تاريخ الدولة العلية العثمانية ص 173).

ويظهر أن الجواب عن رسائل سلطان المغرب حملها إليه المبعوث العثماني كاتب الديوان أحمد عزمي أفندي الذي ورد عام 1202 = 1787 في جملة من أعيان القسطنطينية مصحوباً بهدية فاخرة فيها بعض المخطوطات المتعلقة بالحديث الشريف، ومنها سروج «ثلاثة مرصعة بالجواهر وصينية ذهبيةً وكؤوس عشرة من الذهب أيضا وبرّاد (إبريق) من الذهب، والكلُّ مرصع بالجواهر واليواقيت والألماس وجبنيتان مرصعتان بالألماس وراية عظيمة من الحرير الأخضر مكتوب عليها بالذهب الأحمر آيات قرآنية، هذا إلى تخوت وثياب من عمل الهند وحلب الشام منسوجة بالذهب، ومصحف كريم محلّى بالذهب مرصّع بالجوهر وأقواس للرمى محلاّة بالذهب مرصّعة بالجوهر وبسط أرمينية بمخادّها وسجادتها...

وقد وجدت أثراً لتقرير رفعه إلى حكومته السفير أحمد عزمي أفندي الذي عاد إلى اسطانبول بتاريخ 9 رجب 1202 = 1787 ـ حسبما تقول المصادر المغربية والتركية ـ وقد كان فيما ورد في هذا التقرير أن سلطان المغرب سوف يقوم بواجبه إزاء عبور السفن الروسية عبر جبل طارق...

وفي سنة 1203 = 1789 أرسل السلطان سيدي محمد بن عبد الله بسفيره القائد محمد الزوين ابن القائد عبد الله الرحماني وكان مصحوباً بطائفةٍ من الأسرى الأتراك الذين أنقذهم العاهل المغربي من نابولي إضافةً إلى هدية من جملتها سفنٌ أربع عدة رجالها نحو أربعمائة رجل بين رؤساء وبحرية وطبجية، وكان رؤساء تلك السّفن : الرئيس على الصابونجي السلوي والرئيس قدُّور شايب عيْنُه الرباطي والرئيس عبد الله العسري السلوي والرئيس محمد العنقي الرباطي التركي الأصل، وكان هذا الاتّصال بمساعدة كارلوس الرابع.[31]

وقد استمرت المراسلات والمساعدات المغربية وهكذا نجد الطّاهر فنّيش مرة أُخرى بالقسطنطينية صحبة أحمد عزمي أفندي يحمل معه آلاف القناطير من النّحاس والبارود وملحه المصفّى والمراكب والسّفن وآلاف الدّنانير... هذا إلى نسخةٍ من تأليفه «الفتوحات الإلاهية»..

---

31) لقد طرح الباحث الإسباني لوريدو دياز سؤالاً حول صحة الأخبار التي ذكرت أن العاهل المغربي جهز أربعين ألف رجل لاسطامبول ؟ Hesp. TAM 1986.

وقد اتجهت بعثة مغربية أخرى تحمل العتاد والسلاح للسلطان عبد الحميد الذي وجدته البعثة قد توفي ! ونجد أثر هذه البعثة في رسالة موجهة من اسطانبول إلى المغرب أواسط جمادى الأولى 1204 = 1790 يخبر فيها السلطان سليم الأول العاهل المغربي بأن كتابه قد وصل على يد سفيره افتخار الأماجد الأكارم الحاج المكي بارقاش دام مجده وكان موجهاً «إلى عمنا المرحوم السلطان عبد الحميد خان وذلك أربعة سفن من سفائنكم الجهادية ـ على حد تعبير الرسالة ـ وقد أجزنا سفيركم المذكور بالعودة إلى جنابكم حاملاً رسالتنا... والواجب علينا من جهة الوحدة الإسلامية الإخبار بما كان وما سيكون، والتعاضد فيما يمكن لنا ولكم فيّ الظاهر والباطن ولا يخفى عليكم العدوّان القويان وهما الروس والكروس !

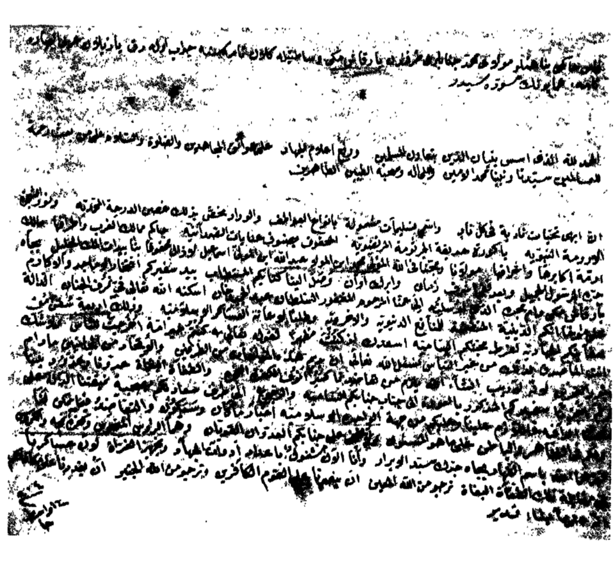
ويتبع السلطان محمد الثالث سفارة بركاش بوفادةٍ تعزية للسلطان سليم الأول برئاسة القائد محمد بن عبد الله الزوين الذي عاد لتركيا مرة أخرى... ونجد رسالة جواب عن التعزية يتسلى فيه سلطان تركيا بأن «الموت باب وكل الناس داخله...» متخلصاً إلى كشف مساعدةٍ أخرى قدمها المغرب إلى تركيا، ويتعلق الأمر بوصول ألف قنطار من ملح البارود وبإبلاغ خمسمائة وستة وثلاثين أسيراً تركياً افتداهم السلطان محمد بن عبد الله من مالطة... وقد عاد السفير الزوين ببعض العلْجات الحبشيات(32)

☆ ☆ ☆

وإذا كانت سياسة الخارجية المغربية تعثرت إثر وفاة المغفور له محمد الثالث بالنسبة لبعض الدول نتيجةً للظروف اللاحقة فإنها ظلت بالنسبة للقسطنطينية وللولايات التابعة لها على نحو ما كانت عليه من تبادل الود والمساندة المطلقة.

---

32) يذكر الضُّعَيف في تاريخه أن القائد الزوين عرضت عليه أثناء الشراء، علجة حسنة ومغنية تحفظ خمسة عشر طبعاً من طبوع الآلة التركية وتضرب الكامنجة، فطلب من بائعتها أن تتركها عنده بقصد الاختبار حيث استمع إليها وهي تعزف وتغني، ولكنه لما سمع في اليوم الموالي عن قيمتها : 400 مثقال، استثقلها وردها بالرغم من تدخل صاحبه التليبيتي التطواني... قال الضُّعَيف معلقاً على هذا : أبى شراءها لعدم رقته ولكونه بدوياً !! (إقرأ في هذا الكتاب ج 1 ص 87 وكاد أن يعود) تاريخ الضُّعَيف ص 215، سجلات الديوان السلطاني رقم 187.



رسالة إلى محمد بن عبد الله... وصل كتابكم المستطاب بيد سفيركم بارقاش المكي دام مجده الذي أرسله إلى عمنا المرحوم السلطان عبد الحميد خان... وذلك أربعة سفن من سفاينكم وقد أجزنا سفيركم المذكور بالعودة إلى جنابكم بصحبة نميقتنا... والواجب علينا وعليكم من جهة الوحدة الإسلامية الإخبار بما كان وسيكون والتعاضد فيما يتمكن لنا ولكم في الظاهر والباطن ولا يخفى عليكم العدوان القويان وهما الروس المنحوس، والكفرة الكروس وأنا الآن مشغول بإعداد أدوات الجهاد... وهي بتاريخ أواسط 1204 = 1790.

وهكذا فبمجرد مبايعة السلطان المولى يزيد ، بعث هذا برسالة إلى السلطان الجديد سليم الثالث يعزّيه ويهنئه كما يخبره بوفاة والده وتربعه هو على كرسي الحكم حسبما تكشف عند مذكرة بتاريخ 23 ربيع الأول 1205 = 30 نونبر 1790، كانت ترجمة لخطاب اليزيد الذي حمله إلى سليم الأول القائد محمد...

وقد أضاف مولاي اليزيد عنصراً جديداً في رسالته يستدعي منا الرجوع لما سلف من مراسلات متبادلة بين والده وبين السلطان عبد الحميد، ويتعلق الأمر بمبلغ من المال كان والده أمر بإرساله إلى اسطانبول عندما رفضت مالطة فداء الأسرى بذلك المبلغ... فهنا نجد اليزيد يطلب السلطان سليم بإرجاع الألف سبيكة من الذهب التي كانت أرسلت بواسطة السفير القائد الطاهر فنّيش...

وقد صادفت السنوات الأولى لتلمك السلطان المولى سليمان مداهمة نابليون الأول للأسكندرية، صيف سنة 1798 = أوائل سنة 1213 وهكذا اتجه الباب العالي نحو السلطان المولى سليمان برسالة تفيض عاطفة، وتصف أهداف نابليون داعيةً إلى توحيد الجهود من أجل إحباط أحلامه...

ولم نقف على نص هذه الرسالة المؤرخة يوم 3 ربيع الأول 1213 = 15 غشت 1798 بعد شهر ونصف من نزول نابليون بالأسكندرية، ولكني حصلت على ترجمتها بالإنجليزية بمساعدة الباحث الأمريكي الزميل نورمان سيكَار (Norman Cigar)[33] وقد كان بعث بها الوزير المعتمد لجلالة الملكة البريطانية في اسطانبول.

«... لقد حطّ نابليون بونابارت في الأسكندرية... وهو يخطط لاقتحام مكة والمدينة وبيت المقدس ولهذا فقد أصبح واجباً في الدين على سائر

33) حسب معلومات الزميل المذكور فإن أصل الرسالة يوجد في المتحف البريطاني، أوراق نيلصون.
British Museum, Nelson Paper, Vol VI 280, Additional 34 P. 907

وقد علق الزميل نورمان سيكَار على الرسالة بالعربية «قيّد كما وجد ويحتوي الأصل على أغلاط متعددة في النحو والأسلوب الخ...».

المؤمنين سواء أكانوا في الشرق أو الغرب، وسواء أكانوا عرباً أو عجماً أن يوحدوا صفوفهم لمناهضة هذا الكافر... وإن الأمل معقود عليكم أيها السيد العظيم لتدافعوا من أجل حماية حوزة الإسلام والمسلمين...».

وقد عثرت في اسطانبول على نسخة من الرسالة التي أردفها السلطان سليم الثالث إلى السلطان المولى سليمان وكانت بتاريخ 19 شعبان 1213 = 27 يناير 1799 يفصل له فيها أخبار هجوم نابليون الأول على مصر بغتة، وما اقترفه المحتلون من فظائع ضد العلماء والنساء والصبيان، ويعلمه بأنه عيّن القائد أحمد باشا الجزار لمناهضة المهاجمين، كما يعلمه بأن العثمانيين تحالفوا بهذا الصدد مع بريطانيا ويطلب للعاهل المغربي المساعدة على تسهيل نقل الذخائر عبر جبل طارق إلى أن تتخلص الديار من هول هذه الحملة الجائرة !

وبالرغم من أننا لم نعثر عن جواب المولى سليمان عن هذه الرسالة إلا أن من المؤكد حسب الوثائق المغربية والبريطانية أن العاهل المغربي قدّم عوناً للعثمانيين من أجل تخليص مصر لا تنساه الأيام، بالرغم من السفارات المتوالية التي بعث بها نابليون إلى ملك المغرب آنذاك ليصرفه عن عون مصر...

ولم يتجلّ ذلك العون في مساندة بريطانيا واسبانيا فقط ولكنه تجاوزه إلى وجود طائفة من المقاتلين المغاربة على أرض مصر ضد حملة نابليون على ما تؤيده إفادات الجبرتي...

وهكذا رأينا اليوم أن مشاعر الأدباء المغاربة تتفجع للهول الذي حل بمصر، وهكذا حفظنا من نظم لأبي الربيع سليمان الحوات هذين البيتين :

فيامعشرَ الإسلام مدُّوا بقوَّةٍ   إلى الله بالشكوى عسى يحلل الوعر
ولا تغفلوا ! بل استعدُّوا بقوَّةٍ   وهل أُخِذتْ إلا بغفلتها مصر ؟!

وليس فقط بالشعر الفصيح، ولكن «الشيوخ» أسهموا بالقصائد الشعبية...(34).

---

34) تاريخ الضعيف : ص 356 محمد الفاسي : مشاركة المغرب في الجهاد المصري للحملة الفرنسية / دعوة الحق 1973 معلمة الملحون (مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية 1406 = 1986 سلسلة التراث.

مكاتب حضرة تاجدار بدون حالا فاس حاكم المولى سليمان ابن المولى محمد جنابلرينه تحرير اولنان عربي العباره نامهٔ همايونك صورتيدر

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي اوقع من كثرة [illegible] لدوام نظام العالم وتسوية امور بني آدم سلاطين [illegible] الارض فتعلو بهم طبائعهم الجبلية على الطغيان [illegible] المعنوية بعدل الجور والعدوان والصلوة والسلام على النبي الزكي الذي بعثت [illegible] الله [illegible] الاولية [illegible] الاوثان [illegible] وآله واصحابه ما انبلج الصباح ونودي حي على الفلاح

محل الطغرا

[illegible] انوار تحيات تتوالى توالي القطر المكرر في تلك الاقطار والاماكن التي باهلها المزينة بالسعد [illegible]

تخص بذلك [illegible] ودوحة سيادة الفخر والكرم طود المجد الشامخ المنيف المرفوع على العلم بالنسب الشريف تاج هامة بني الحسن [illegible]

الجناب العالي [illegible] ثمرة المعالي زهرة الشجرة العلوية فرع الدوحة النبوية المولى الهمام والمطر ابن الغمام الاوحد ابن الاوحد المولى

سليمان ابن المولى محمد لا زال محط الركبان من الاطراف وربع المحامد منبع الاشراف اما بعد الذي نخبر به اخانا في الله ومفوضنا في [illegible]

محمد بن عبد الله عليه افضل صلوات الله واكمل تحيات الله هو انه قد [illegible] رسخنا لطرفكم العزيز [illegible] الملك العزيز [illegible]

تنبئ عن احوال الطائفة الفرنساويه دمرهم الله تعالى بجاه محمد خير البرية بانهم الطائفة الخائنون والشرذمة الملعونون ذوو مكر

وفساد واهل بغي وعناد لا يؤمنون بوحدانية الله ولا يعترفون برسالة محمد بن عبد الله منكرون ليوم البعث والنشور والحشر

والنشور ويوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد

ولا عقاب عند هؤلاء الملاحدة ولا حساب ولا جزاء ولا عذاب ولا سؤال ولا جواب [illegible] لعنهم الله بهذه الدنيا الدنية الفانية

وغافلون عن الدار الآخرة الباقية فبئس ما اعتقدوه ولبئس ما كانوا يفعلون ومع هذا الاعتقاد الباطل والرأي الهازل [illegible]

خائنون وفجرة فاسقون [illegible] الذي ارتكبوه من الغدر والخيانة باهل الاسلام ما [illegible] احد [illegible]

قاتلهم الله [illegible] بغتة وافتتحوا غفلة من غير اطلاعنا على امورهم ولا اخبارهم ايانا [illegible]

الاول على مصر القاهرة [illegible] لامة محمد من الغدر والفساد ونشتت الحال ونهب الاموال [illegible]

فلو نزلوا تلك الاماكن المطهرة واطلوا تلك المراقد المنورة وتحكموا في تلك الديار على علمائها الاعلام وصلحائها [illegible]

الكرام وتحكموا على نسائها المخدرات وصبيانها المعصومين وفتياتها المحصومات [illegible] هذه عادة [illegible]

به الله ولا رسوله ولا يحمده ولا احد من المؤمنين بل تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض [illegible] والعار

هذا الكرب توكلنا على الله وفوضنا امرنا الى الله فنشرنا اوامرنا العلية [illegible] الاقطار وما في السواحل من المدن والامصار

بل الى كل من في حوزة [illegible] وداخل في دائرة ملكنا بان يأخذوا حذرهم واسلحتهم وعتادهم وعددهم ويجلبوا خيلهم ورجلهم

ويجمعوا ابطالهم [illegible] ويتحشدوا لاعلاء كلمة الله وينجدوا لمحافظة دين محمد ابن عبد الله وعينا [illegible] المتوجه

الى تلك الديار مع عسكر جرار [illegible] ولتلك الفجار ودفع شرور اولئك الاشرار ووزيرنا المكرم الحاج احمد باشا الجزار [illegible]

[illegible] ماله [illegible] بادوات الحرب والنهب والاسر والقتل والضرب والمهمات [illegible] مكللة بالخزائن [illegible]

[illegible] ان شاء الله تعالى عن قريب نظهر غيرة الملك الجبار وغيرة رسوله المختار فلا يبقى من تلك [illegible] لا [illegible]

[illegible] فالله الله في حماية دين رسول الله انا رأينا طائفة الانكليز [illegible] محبة قديمة [illegible]

[illegible] كاملة [illegible] ثابتة راسخة وهم قوم ذوو شجاعة وقوة [illegible] وقوة [illegible] في قلوبهم [illegible]

[illegible] طائفة الفرنسيس [illegible] في فؤادهم بغضا ولتلك الاوباش [illegible] بالحرب والعنف [illegible]

[illegible] القوم [illegible] في الطرق لقطع ذهابهم واياهم [illegible] سفائنهم [illegible] عساكرهم [illegible]

[illegible] اتفقنا واتحد تابع طائفة الانكليز في هذه القضية [illegible] الله تعالى الديار المصرية [illegible]

[illegible] ومعاضدة بعضنا لبعض في قمع تلك الطائفة الملعونة [illegible]

شكاية تركيا بنابليون الأول ومصر.

إخبار المولى سليمان بهجوم نابليون الأول على مصر بغتة وما اقترفه المحتلون من فضائح ضد العلماء والرؤساء والهيئات العلمية وبأنه عين القائد الحاج أحمد باشا الجزار لمناهضة الفرنسيين، ويعلمه بأن العثمانيين تحالفوا بهذا الصدد مع بريطانيا ويطلب للعاهل المغربي المساعدة على تسهيل نقل الذخائر عبر جبل طارق حتى تخليص الديار المصرية من هول الهجوم وهي بتاريخ 19 شعبان 1213 = 27 يناير 1799.



صورة المسجد الكبير بسوسة

وقد توالت الاتصالات بين الباب العالي والمملكة المغربية حيث نجد السلطان المولى سليمان يبعث برسالة تهنئة للسلطان مصطفى الرابع بمناسبة تقلده الحكم وفي جوابه على التهنئة، نجد مصطفى يستنجد بالعاهل المغربي عندما شبّت الحرب بينه وبين موسكو من جديد حيث كتب مصطفى يطلب سنة 1222 = 1807 أن يشد عضده بأن يقيم مراكبه القرصالية في بوغاز جبل طارق ليلا تدخل المراكب الحربية الروسية وتعيث في الولايات التابعة للعثمانيين، وقد لبّى السلطان مطالب اسطانبول[35] بالرغم من أن العاهل المغربي كان يواجه في هذه الظروف ضغط الدول الأوربية لتعطيل أسطوله الحربي !

وبالرغم من موقف اللامبالاة أو المجافاة الذي اتخذه الباب العالي ونحن نعاني من أزمتنا الحادة مع أمبراطورية النمسا، ذلك الموقف الذي يتجلى في (الفرمان) المرسوم الذي أصدره بتاريخ 15 ربيع الأول 1245 = 14 شتنبر 1829 إلى داي الجزائر بعدم مساندة المغرب ضد النمسا بحجة أن هذه الأخيرة في حالة سلم مع تركيا[36] فقد تناسىٰ المغرب هذا الموقف ملتمساً العذر لظروف العثمانيين آنذاك...

وهكذا عبر العاهل بمناسبة انتزاع فرنسا للجزائر من تركيا سنة 1830 عن مشاعر الحزن والأسى...

☆ ☆ ☆

ومع الجهات السائرة في فلك العثمانيين...

وبإزاء تلك الاتصالات مع الباب العالي كانت للمغرب علاقات خاصة مع الإيالات التي كانت تخضع لإسطانبول، وسنتعرض لها هنا باختصار علاوة على بعض ما أشرنا إليه في غضون الورقات السابقة...

35) الاستقصا 8 ر 113 - الروضة السلمانية، مخطوط ص 182 (ب).
36) سجلات الديوان السلطاني تحت رقم 246 ص 41 - الأتراك في شمال إفريقيا 2، ص 37.

وهكذا فقد وجدنا أن أتراك الجزائر يقفون من تحرك العاهل المغربي نحو تحرير مليلية من هيمنة الإسبان، موقفاً غريباً عندما خذل داي الجزائر العاهلَ المغربي (محرم عام 1189 = مارس 1775).

لقد سلّط الداي محمد نقمته على بعض المسلمين الذين حضروا مع السلطان سيدي محمد حصار مليلية : «لقد أباحوا دماءهم وروعوا أولياءهم وطوّفوهم في الأزقة...» على حد تعبير الاستفتاء الموجه للشيخ التاودي ابن سودة الذي أجاب حول الموضوع بما تحتفظ به كتب النوازل على نحو ما أجاب بعده الشيخ بناني... والحافظ العراقي... كما أسلفناه في المقدمة...[37]

ولابدّ ان نذكر هنا أنه بطلب من داي وهران قام المولى سليمان بمحاولة إصلاح ذات البين بين الداي وبين طائفة دينية شنت عليه الحرب، ويتعلق الأمر بالفتنة التي شبّت بين عرب تلمسان وتركها...[38]

وقد شهدت أواخر أيام السلطان مولاي سليمان حدث مداهمةِ قطعة من الأسطول الإنجليزي لولاية الجزائر... ونظراً لما تركه هذا الحادث من أثر خراب مدمّر أتى على معالم الجزائر فقد قام العاهل بإرسال وفدٍ برئاسة ابنه الأمير مولاي ابراهيم الذي حمل رسالة مواساة إلى باشا القطر الجزائري مصحوبة بعطاء جزيل للتخفيف من الخسارة اللاحقة...

وقد عكس أبو العلاء في مخطوطته «الابتسام»... مشاعر المغاربة إزاء ما حدث بين الأتراك والفرنسيين على أرض الجزائر... ولم يهمل «أسطورة المروحة» التي يرويها المؤرخون عند حديثهم عن احتلال الجزائر عام (1830)، كما أنه لم يهمل تطارح أهل تلمسان على العاهل المغربي يطلبون حمايته...[39]

---

37) المجلد الأول من هذا التاريخ ص 138 ـ 139.

38) (Cour : L'etablissement.. P. 266-277).

39) مخطوطة (الابتسام) لأبي العلاء ادريس ص 19/18، تقديم د. التازي : مجلة المناهل المغربية 36 يوليه 1987.

ومع الإيالة التونسية...

وقد ظلت علاقة المغرب بتونس (حاضرة إفريقية) دوماً متسمة بالمجاملة والودّ المتبادل الأمر الذي يدل عليه وجود وكيلٍ للمغرب بها منذ هذا التاريخ...

وهكذا كان حديث الذين زاروها من المغاربة، سواء من الأمراءوالعلماء أو غيرهم، رطباً ومليئاً بالمعاني الطيبة.

وقد تحدثت مصادر التاريخ التونسي عن زيارة الأمير المغربي سيدي محمد بن عبد الله في طريقه ـ صحبة جدته الحرة خناثة ـ إلى الحج حيث اهتزت تونس لمقامه وتفننت في إكرامه.

وأن من أروع الصفات التي تسجلها الدبلوماسية المغربية في تاريخ نضالها الشريف لصالح جيرانها في بلاد المغرب الكبير، تلك الرسالة التي تحمل تاريخ 6 ذي القعدة 1184 = 3 مارس 1770 والتي وجهها إلى لويز الخامس عشر الوزيران : أحمد المهدي الغزّال وعبد الهادي السلاوي بأمر من العاهل المغربي، ويتعلق الأمر باحتجاج شديد اللهجة على قصف فرنسا لسوسة..!

وعندما أصيبت البلاد التونسية 1218 = 1803 ـ 1804 بالقحط الذي أضرّ بالسكان بعث باي تونس الرئيس حمودة باشا بالأديب الطائر الصيت الشيخ أبي إسحاق ابراهيم بن عبد القادر الرياحي على رأس سفارةٍ لدى السلطان الذي أجلّ مقدم المبعوث التونسي وتقبل منه هدية أخيه حمودة باشا، وتتضمن الرسالة التي بعث بها طلب إمداد البلاد بالميرة مشفعاً ذلك بهدايا جليلة...

ومع الإيالة الطرابلسية

ويظهر من خلال الوثائق الموجودة أنه كان هناك نشاطٌ تجاري بين السوق المغربية والسوق الطرابلسية... حيث نجد والي طرابلس الغرب يكتب سنة 1168 = 1755 رسالة للسلطان المولى عبد الله حول الموضوع.

☆ ☆ ☆

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

الحمد لله وحده

[illegible]

... عام 1184

وفيه كتاب مولانا المنصور بالله

6 ذي القعدة 1184 = 21 فبراير 1776

كتاب أحمد الغزال ـ وعبد الهادي السلاوي عن محمد الثالث إلى لويز الخامس عشر.

احتجاج على قنبلة وقصف سوسة وإعطاء مهلة أربعة أشهر وإلا إشهار الحرب على فرنسا... والإخبار بدعوة السلك الدبلوماسي سلا لإبلاغه الأمر.

ويتحدث شارل فيرُّو في كتابه «الحوليات الليبية» عن اتفاقية تمت بين إيالة طرابلس وبين المملكة المغربية كان المفاوض فيها عن الجانب الطرابلسي هو أحمد الخوجة... ونحن نعلم أن هناك تصريحات مغربية تتصل بمهمة السفير أحمد الخوجة.(40)

وبُعَيد هذا وفي أعقاب توسط المغرب بين إيالة طرابلس وبين الولايات المتحدة الأمريكية قرر الباشا عليّ القَرَهْ مَانْلِي أن يبعث بوفادة هامة تشرح للعاهل المغربي ظروف ليبيا، وقد كان على رأسهاالعميد الحاج عبد الرحمن آغا البديري الذي صحبته عدة شخصيات كان من بينها صهر السفير وبعض الرؤساء البحريين الطرابلسيين، وقد شاهد القصر الملكي بمدينة مراكش مأدبة غذاء كبرى أقامها السلطان سيدي محمد بن عبد الله في منتصف رجب 1204 = ربيع 1790 على شرف السفير الحاج عبد الرحمن وحاشيته حيث أهداه العاهل ساعةً ثمينة منبتة بالجواهر المرصعة كما أهداه سبعة من الجياد من أكرم الخيل مع سروجٍ غاليةٍ وأسلحة متنوعة وكميات كبيرة من شحنات القمح.

---

40) ذكرت في كتابي «أمير مغربي في طرابلس»' مطبعة فضالة (المحمدية ـ المغرب) 1976 ص 78/77 تعليقاً حول جامع مولاي محمد... وافترضت احتمال أن يكون القصد إلى الأمير سيدي محمد نظراً لما قرأته في إدارة الأوقاف من نعته بأنه أحد سلاطين المغرب وقد وجّه إلي مشكوراً الأستاذ محمد عبد السلام الحفائري وثيقة عدلية تذكر «زاوية مولاي محمد» وهي بتاريخ أواخر رجب عام 1041 = 21 يبراير 1632. فلعلّ القصد إلى جدّ أولاد محمد الفاسي الذين حكموا الفزان ما يزيد على ثلاثة قرون ـ مصطفى خوجة : تاريخ فزّان، منشورات مركز جهاد الليبيين... 1979 ص 52.

عمار جيحدر : مجمل قضايا عن ابن غلبون. مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، مركز دراسة جهاد الليبيين، السنة الرابعة، يناير 1982 ص 55.

شارل فيرّو : الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي. تعريب. د. محمد عبد الكريم الوافي ج 2، ص 564 مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا 1973.

محمد مصطفى بازامه : الدبلوماسية الليبية في القرن الثامن عشر، مكتبة قورينا ـ بنغازي، ليبيا ص 48.

جْلين تُكِر : معارك طرابلس، تعريب عمر الدّيراوي أبو مجلة، مكتبة الفرجاني، طرابلس ليبيا ص 290 ـ يوميات الطبيب جونثان كودري ترجمة د. عبد الكريم بوشويرب ـ ليبيا 1982.



السفير الطرابلسي الحاج عبد الرحمن أغا

وقد كان ارتفاع عدد الجالية المغربية في بداية أيام السلطان المولى سليمان، وعلى سبيل التحديد عام 1210 = 1795، باعثاً على تعيين «وكيل» يُعْنَى بمصالح المغاربة هناك على نحو ما كان بالنسبة لتونس.

ومن الطريف أن نجد سفارة من السلطان المولى سليمان في طرابلس الغرب سنة 1212 = 1797 ليس لعلاج معضل سياسي ولكن من أجل اقتناء مخطوط نفيس بألف مثقال كان عبارةً عن نسخة من صحيح الإمام البخاري بخط الإمام الصدفي...[41]

وقد تجلى التضامن المغربي الليبي في أبهى مظاهره عندما كانت الولايات المتحدة الأمريكية تضرب حصارها على طرابلس عام 1218 = 1803 ونشبت الحرب بين أمريكا وليبيا سنة 1218 = 1803 على ما قلناه في فصل العلاقات المغربية الأمريكية...

41) التازي : مخطوطة نادرة من صحيح الإمام البخاري - مجلة دعوة الحق المغربية، فارس 1973 مجلة معهد المخطوطات العربية مجلد 19 ج 1 مايه 1973...

وكـان ممـا ألفت النظر في أحـداث شعبـان 1226 = شتنبر 1811... الحـدث السعيد الذي تجدد للمرة الثانية في تاريخ العلاقات الإنسانية بين البلدين، ذلـك مصاهرة السلطان المولى سليمان مع ليبيا بعد أن كانت تمت مصاهرة سابقة سنة 1201 ـ 1787 بين أخيـه الأمير المولى اليزيـد مع زعيمٍ كبيرٍ من أولاد سليمـان على كريمته السيدة حفصة...

☆ ☆ ☆

ومع الإيالة المصرية

شهـدت الـدولـة العلـويـة الحـاكمـة منـذ أيـام السلطـان مـولاي اسماعيـل 1117 = 1744 علاقات جيدة مع مصر حيث وجدنا رسالـة مسهبـة حول موضوع «المماليك» الذين اشتراهم العاهل المغربي ليكون منهم الجيش المغربي...[42]

وقـد وقفت بمعرض دار الكتب بـالقـاهرة على مصحف رائـع كتب سنـة 1182 = 1768 برسم الأمير مـولاي علي بن السلطـان سيـدي محمـد بن عبـد الله.[43]

وقد كـانت مصر ـ علاوة على مـا نعرف ـ تتميـز بـاحتضـان عـدد كبير من الأسر المغربيـة المرموقـة حتى لأصبـح الاقتصـاد المصري في وقت من الأوقـات بيد عائلة الشرايبي...[44]

وقد قرأنا عن اتصال الأمير مولاي عبد السلام 1197 = 1783 بعلماء الأزهر الشريف ورواق المغاربة ليس فقط لرفع الصلات الملكية ولكن لغرض كان يـأخـذ باهتمام العاهل ألا وهو معرفة رأي العلماء هناك حول بنود الإصلاح الـذي أدخلـه السلطان محمد بن عبد الله على نظام الدراسة بجامعة القرويين من فاس.

---

42) د. التازي : العلاقات بين المغرب ومصر ـ ندوة جمعية أبي رقراق، يوليه 1988 انظر الملاحق...

43) د. التازي : حول مصحف الأمير مولاي علي، دعوة الحق، عدد 234، جمادى 1404 مارس 1984.

44) د. التـازي : جـامع القرويين ج 2، 555 ـ رواق المغـاربـة في الأزهر، دعوة الحق، يـونيـه 1983، (المصور) المصرية عدد 2 مارس 1984.

علاقة المغرب مع شرافة الحجاز...
أيام الملك محمد الأوّل

لعل الشيء الذي ظل إلى الآن مجهولاً هو امتداد صلات جدّ الأسرة العلوية مولاي محمد ابن الشريف (محمد الأوّل) إلى شرافة الحجاز : مكة والمدينة، وهكذا نجده يبعث ـ منذ أيامه الأولى ـ برسالةٍ إلى أولئك الأشراف في أعقاب الخلاف الذي شبّ فيما بينهم والذي كان الولاة العثمانيون يستفيدون منه بتلك الديار...

لقد ورد في مخطوطةٍ مغربية[45] نص الرسالة التي بعث بها لإصلاح ذات البين بين بني عمّه. بل ولترهيبهم إن هم لم يتعظوا بنصحه وهو الأمر الذي يدل على امتداد نفوذ الشريف إلى تلك الجهات...

وقد كان مما تضمنته وهو يخاطبهم : «...الحسنة في نفسها حسنة وهي من بيت النبوة أحسن، والسيئة في نفسها سيئة وهي من بيت النبوة أشين... وأقسم بالله العظيم ونسبِ النبي الكريم وبالزمزم والحطيم إن لم تنتهوا عند حدكم لأغمدن فيكم سيف جدكم..!».

أيام السلطان مولاي اسماعيل

ولم يكن غريباً علينا ـ وقد عرفنا عن الجسر الذي كان يربط دائما المغرب بأرض الحجاز أن نجد المولى اسماعيل في هذه الظروف بالذات يعزز علاقاته ـ على نحو الملك محمد الأوّل ـ بأشراف الحرمين حيث نجد رسالة منه حوالي سنة 1104 إلى الشريف سعد بن زيد أمير مكة، وقد أورد نصّها كاملا النقيب بن زيدان في كتابه : «العز والصولة».[46]

---

45) مخطوطة بالخزانة الخاصة للأمير مولاي عبد الله رحمه الله.

46) مولاي عبد الرحمن بن زيدان : العز والصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية 1381 = 1961، الرباط ص 279. وهناك نسخة مخطوطة بالخزانة العامة لهذه الرسالة تحت رقم د 1139.

وقد وقفنا على رسالةٍ تهتم هي الأُخرى بنصحٍ يتوجه بـه السلطـان مولاي اسماعيل للشخصية المذكورة سعد بن زيـد بن محسن، وقفت عليهـا ضمن مجموع مخطوط في الخزانة الحسنية بالرباط.(47)

ولا بـد أن نشير مرةً أُخرى للرحلـة التـاريخيـة التي قـامت بهـا عـام 1143 = 1731 إلى البقـاع المقـدسـة الأميرة الجليلـة خنـاثـة التي كـانت تنعت بالسّلطانة.

كان في الإمكـان أنْ لا نركّز على هـذا الحـدث الـذي يتراءى وكـأنـه لايعـدو قيامـاً بنسـك من المنـاسـك، ولكن مـا كـان يقصـد بـه من التعريف، في المشرق، ببلاد يقال لها المغرب الأقصى، كان يحثُّنا على إبراز هذه الوفادة على أنهـا ـ إلى جانب أنها عبادة ـ حققت أهدافاً سياسية بعيدة المدى.(48)

وأخيراً نذكر وفادةً وردت على السلطان المولى عبد اللـه من مكـة المكرمـة وصلت إلى فـاس يـوم 4 ذي القعـدة 1168 = 12 غشت 1755 حيث خرج بنفسـه لاستقبالها على ما يحكيه الأَسير السـويدي ماركوس بيرك (Marcos Berg)، ويبـدو أن البعثـة أتت بقصـد رفع التعزيـة إلى العـاهـل المغربي في الكـارثـة التي حلت بمركب الحجاج المغاربة والتي أودت بحياة مئـاتٍ منهم حيث لاقوا مصيرهم في البحر...(49)

وقد شاهدت سنـة 1193 = 1779 حـدثـاً من أبرز الأَحـداث التي كـانت محل تعليقـاتٍ من القنـاصل الأَجـانب المقيمين بـالمغرب وعلى رأسهم لوي دوشينْيِي القنصل الفرنسي، ويتعلق الأمر بالمصاهرة التي تمت بين سلطـان المغرب وأمير الينبـوع... إن الحدث يعدو أن يكون مجرد مصاهرة أسرتين، يعدوه إلى أن يكون دعماً للصلات التي تربط بين سلالة النبي ﷺ مغرباً ومشرقاً...

---

47) مجموعة رسائل سعدية وعلوية تحت رقم 12598 (الزيدانية).

48) د. عبد الهادي التازي : أمير مغربي في طرابلس، مطبعة فضالة ـ المحمدية ـ المغرب 1976.

49) Description de L'esclavage Barbaresque Dans L'empire de Fez Par Marcus Berg. Stockholm 1757. Traduit du Suédois Par Jacques Macau 1974 p. 28

وقد عهد إلى الأمير مولاي عبد السلام عام 1197 = 1783 بتسديد الصلات المخصّصة للحرمين الشريفين وقدرها ألف سبيكة من الذهب موزعة على أشراف وضعاف البلاد باستثناء الرافضة الذين يكرهون الشيخين، إن هؤلاء لا يأخذون ولو درهماً واحداً، ومَن حباهم بشيء من المال فاللّه حسيبُه على حد تعبير نص الهبة.[50]

وقد شهد مطلع سنة 1226 = 1811 سفارة تتنقل من نجد الحجاز إلى مدينة فاس لدى السلطان المولى سليمان مرسلة من الأمير عبد الله بإيعاز من والده الإمام سعود : لقد أبطل الدعاء للسلطان العثماني في خطب الجمعة منذ 1223 = 1808 وتم تحرير معظم الجزيرة، وكانت الوفادة تحمل رسالةً تشرح فيها مبادئ الدولة الجديدة التي ترتكز على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والتي أقلقت الوجود التركي بالمنطقة. ولابد أن نلاحظ أن اختيار المغرب بالذات لهذه الوفادة كان يرتكز على أنه أي المغرب لم يخضع أبداً للهيمنة العثمانية ! وعلى أنه أي المغرب يصاهر أمراء الحرمين، ولو أنها أي الوفادة مرت بتونس أملاً في الحصول على المساندة كذلك...

وقد رأينا السلطان المولى سليمان يجمع أكابر العلماء لمدارسة الرسالة وعهد للشيخ سيدي حمدون بن الحاج بالإجابة عن رسالة الوهابي برسالةٍ شعريةٍ حملتها في نفس السنة إلى المشرق بعثة مغربية هامة وكانت البعثة برئاسة الأمير مولاي ابراهيم بن السلطان المولى سليمان... حيث جرت هناك مناظرة بين المغاربة والوهابيين حول الدعوة الجديدة وبخاصة حول زيارة القبور... وقد زارت البعثة المغربية الروضة الشريفة في الوقت الذي كان يتعذر فيه ذلك على الغير..!

وقد تصدّت للحديث عن الوفادة الحجازية للمغرب والجواب عنها بالوفادة السليمانية للمشرق، طائفة من المصادر المغربية نذكر منها على الخصوص (الترجمانة الكبرى) لأبي القاسم الزّياني، ومخطوطة الابتسام لأبي العلاء ادريس

---

50) توجد صورة لنموذج للمبالغ التي كان السلطان سيدي محمد يبعث بها للديار المقدسة، انظر ورقة 14/13 من الحوالة الإسماعيلية الأولى (مخطوطة رقمها بفاس 46) ورقم الفيلم بالرباط 158.
د. التازي : بيوت وآثار بالجزيرة العربية من خلال المراسلات الدبلوماسية... مؤتمر الرياض، 1977. دعوة الحق، عدد غشت ـ شتنبر 1977 الاتحاف 3، 229 ـ 230.

والاستقصا للناصري... كما تحدثت عنها كتب النوازل المغربية، وعلّق عليها عدد من العلماء بما يفيد أنّ المغرب لم يتأثر بدعوة الوهابيين...[51]

الشيخ أحمد بن ادريس

هذا علمٌ من الأعلام المعروفة جداً في المشرق وخاصة في مصر والسودان واليمن... ويعتبر من أهم الجسور التي ربطت المشرق بالمغرب...

هو من مواليد المغرب (رجب 1173 = يبراير 1760) وقد ازداد بميسور[1] ودرس في فاس وعن علمائها تخرج، وقد رحل إلى مكة حيث اتصل برجال العلم الذي توسّموا فيه مخائل الرجل العالم الواصل...

وفي مذكراته عن رحلته إلى مكة عام 1238 = 1823 تحدث أبو العلاء ادريس صاحب مخطوطة (الابتسام عن دولة ابن هشام) عن اجتماعه بهذا الحافظ المحدث العابد الناسك... الذي انتقل في آخر أيامه إلى اليمن حيث توفي هناك في حدود الخمسين ومائتين وألف بعد أن أنشأ إمارةً إدريسية هناك...

وكان يفتي الناس رأياً ولا يقلد أحداً من الأئمة الأربع، فإذا سئل عن حكم، قال : قال رسول الله ﷺ، فكّلم في ذلك فقال : لا أدع حديث رسول الله لقول مالك وابن القاسم... وتلاقيتُ معه في جماعةٍ من أهل فاس في بيته بأعلى مكة... وكان رحمه الله يطول في صلاته كثيراً في قيامه وركوعه وسجوده فلا يقدر أحد على الاقتداء به... وقد ترك ابن ادريس في السودان مدرسةً وأسرةً وسمعةً لاتبليها الأيام...

1) يذكر بعض الكتاب المشارقة أنه من نواحي العرائش، وربما كان هنا ناشئاً عن اللبس بين ميسور في الجنوب ومُزّورة في الشمال. تاريخ القرويين ج 3 ص 809 التاريخ الدبلوماسي للمغرب 3، ص 198.

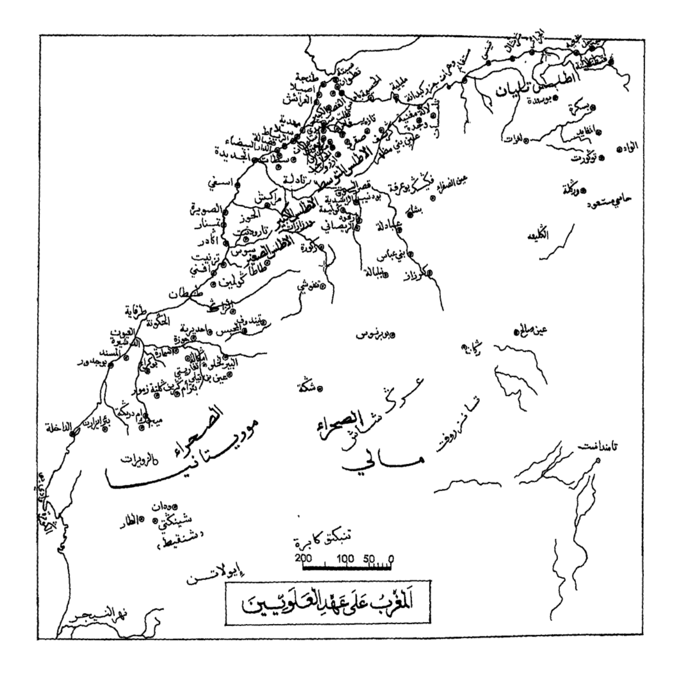
علاقات المغرب ببلاد السودان

في تقريره عن تونبوكتو يتحدث القنصل الأمريكي بالمغرب فِيليكس ماثيوس عن حركة السلطان مولاي الرشيد ملك المغرب عام 1670 = 1080 - 1081 التي شجعت تبادل المنتوجات وإنشاء شركة مغربية مكونة من تجار من أهل فاس كوّنوا لهم معملاً بتونبوكتو ازداد توسعاً وازدهاراً...[52]

ولقد وطد السلطان مولاي اسماعيل أمبراطور المغرب قواته في تونبوكتو واستقر جنوده بالقصبة المغربية المذكورة.

51) مخطوطة (الابتسام عن دولة ابن هشام) لأبي العلاء ادريس، تقديم د. عبد الهادي التازي، مجلة المناهل المغربية 1987 - نوازل الوزاني 3، ص 80 المعيار الجديد 3، 21 - أبو تراب : رسالة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مجلة الدار السعودية، عدد غشت 1981.

52) طبع هذا التقرير بطنجة عام 1881 وعثرت على نسخة منه في الأرشيف الوطني بواشنطن، مجلة البحث العلمي عدد 31، ذي الحجة 1400 = أكتوبر 1980.



الحدود المغربية الجنوبية والشرقية بداية الدولة العلوية

ورد في نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي لأبي عبد الله الأوفراني ما نصه، صفحة 305 :

«واستولى (مولاي اسماعيل) على تخوم السُّودان وبلغ فيها ما وَرَاء النِّيل وانتشرت دولته في عمائر السُّودان، وبلغ في ذلك ما لم يبلغه أبو العباس أحمد الذهبي المنصور، ولا أحد قبله، وامتدت مملكته من جهة الشّرق إلى قرب بسكرة من بلاد الجريد ونواحي تلمسان».

وبمناسبة استرجاع مدينة العرائش من يد الإسبان يوم 18 محرم 1101 = 1 نونبر 1689 بعث السلطان المولى اسماعيل يبشّر واليَه على تُنْبكْتَ بهذا الفتح وقد كانت هذه الرسالة منه في الواقع جواباً على تجديد بيعة أهل تنكبت للعاهل المغربي، وهي رسالة طويلة عريضة نأتي عليها إن شاء الله في الملاحق...[53]

☆ ☆ ☆

وقد اتخذ المغاربة لهم زوجات في القصبة من سكان الإقليم وامتزجوا بالوسط وطبعوه بتقاليد مغربية وكونوا لهم ذرية تكوّن جزءاً مهما من سكان تونبوكتو...

ولا بد أن نشير هنا مرة أخرى إلى اسم سيدة اشتهرت في البلاط المغربي بل وفي البلاطات الأوربية : أنجلترا وفرنسا وهولاندا على أنها سلطانة مغربية تتمتع بنفوذٍ سياسي كبير... ونقصد إلى الحرة الحاجة خناثة بنت بكار زوجة السلطان العظيم مولاي اسماعيل التي كانت أصلاً من هذه الجهات قبل أن تثقف على علماء المغرب وتصبح في وقتٍ من الأوقات سيدة القصر الأولى...[54]

ولا يغيب عن الذهن أن الدول الأوربية كانت على علم تام بالوضع القائم ومن هنا نراها تحلي العاهل المغربي السلطان مولاي اسماعيل علاوة على وصفه

---

53) د. التازي : الوثائق الدبلوماسية للمغرب كمصدر لتاريخ إفريقيا، ندوة اليونيسكو المغرب، الرباط، أبريل 1987 ـ مخطوط المكتبة الوطنية بباريز رقم R 66188 ـ مجلة البحث العلمي 37 ـ 1988.

التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2، 187 ـ 188.

54) وقفت في نسخة مخطوطةٍ من نشر المثاني للقادري محفوظة في الخزانة العامة بالرباط أعتقد أنها أصلاً من خزانة الكتاني، في ترجمة الفقيه الأستاذ المقري ثقة الكتاب وأمينهم أبي عبد الله محمد المكي الدكالي كان رحمه الله تسْلك عليه اللوح (أي تضبطه) الذي تقرأ به القرآن السيدة الجليلة الفاضلة خناثة بنت الشيخ الجليل سيد قومه وشيخهم بكار المغفري، أم أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن مولانا اسماعيل الحسني لأنها كانت تحفظ القرآن العظيم وتكتب لوحها بيدها وتبعث له مع أمها يسلكه لها (أي يضبطه)، ولما رحلت للحج سار معها بقصد الحج فحج ورجع مع خليفة العصر المجاهد في سبيل رب العالمين أمير المومنين سيدي محمد بن مولانا عبد الله إلى أن توفي فيما بلغنا في العشرة التاسعة بعد مائة وألف بمراكش قال القادري : وكانت السيدة خناثة أفقه نساء مولانا اسماعيل وجواريه وأتقاهم وأورعهم وأحسنهم سيرة، وبهذا تكمل المعلومات التي قدمتها عنها في كتابي : «أمير مغربي في طرابلس» مطبعة فضالة ـالمحمدية ـ المغرب 1976 ص 90 ـ 93...

بـأمبراطور المغرب تحليـه بسلطـان ممـالـك إفريقيـا... وقـد جـاء ذلـك على سبيل المثـال في الاتفـاقيـة التي أبرمهـا ستيوارت سفير أنجلترا لـدى بـلاط السلطـان مولاي اسماعيل.

ويتأكد لدى أن الأمر استمر أيام السلطان مولاي عبد اللـه ابن اسماعيل على ما كان عليه الحـال أيـام والـده من ولاء تلـك الجهـات للأشراف العلويين، وبهـذا نفسر مـا ورد في المـذكرات التي حررهـا مـاركوس بيركَ الأسير السـويـدي على عهد السلطان مولاي عبد الله، فإنه لم يفته أن يلاحظ أن في صـدر الألقـاب التي كانت تخلع على العاهل المغربي أنه سيد غينيا...

وإن ممـا يؤكـد هـذه الإفـادة الهـامـة حول علاقـات المغرب ببـاقي الأقـاليم الإفريقية الجنوبية ما يذكره الدبلوماسي الدانمـاركي هوست (Hõst) من أن الأمير سيـدي محمـد بن عبـد اللـه ـ وهو مـا يـزال وليـاً للعهـد ـ عهـد إليـه والـده سنـة 1163 = 1750 أي قبـل نحـو تسـع سنـوات من تربعـه على العرش، بحكم بعض بلاد السودان.

ويبنغي أن نفتح قوسين هنـا لنـذكر بـالقرار الـذي اتخـذه العـاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 1190 = 21 يبراير 1776 عندما أصدر تحذيره للشيـخ يـوسف من ذريـة القطب سيـدي أحمـد بنـاصر حتى يمنـع تملـك العقـار لليهود الذين يوجدون على حدود بلاد كَناوة ...» لقـد كـان جـدّنـا المنصور بـاللـه مولانا اسماعيل قدس الله روحه كتب لسيدي أحمـد بنـاصر قـائلا : أنتم خلفـاؤنـا في أمور الديـانـة هنـاك فوّضنـا إليكم تغيير جميع المنـاكر إلا منكراً يؤدي تغييره إلى فتنة عامة فحينئذ يجب إعلامنا ليلا يتسع الخراق على الراقع...

وإذا ما واكبنا العاهل سيدي محمد، وهو سيـد البلاد، سنجـده أولاً يقوم في بعض رسائله لحاكم جبل طارق بتاريخ 6 شوال 1178 = 29 مارس 1765 بتبليغ إنذار إلى ملك أنجلترا بعدم تجاوز الخـط 23 كَراد[55] جنوب المغرب حيث كـان يتجر الفرنسيس...[56] ويطلب إليـه «نشر هـذا الخبر عنـد ألميرانطيين وجميـع

---

55) يلاحظ أن مدلول كَراد غير مدول دوكَري... ومعنى هذا أن الحدود المغربية الجنوبية كانت تتجاوز الرأس الأبيض على ما تذكره مصلحة الخريطة...

56) R. Caillé : Voyage à Tombouctou, Maspero, Paris, 1982 T. II p. 144

الرياس من جنسهم ليتجنبوا مثل هذا الأمر... وقد قدمنا إليكم هذا على وجه الإنذار والإعلام...» على ما نذكره في العلاقات المغربية الإنجليزية.

ومن هنا ظل نعت «ملك السودان» يلازم العاهل في عددٍ من الوثائق، الدولية كان منها الاتفاقيات التي يبرمها مع بعض الأمم، ومنها كذلك الخطابات التي يتوجه بها إلى رؤساء الدول، وقد وقفت في أرشيف الدولة بالبندقية على نص الاتفاقية المغربية «البلنسيانية» بتاريخ 25 ذي الحجة 1173 = 15 يونيه 1765، وقد جاء في ديباجتها :

صار الصلح والمهادنة مع برنجبة متاع البلنسيان وديوانهم مع سلطان الغرب انبرادور دي مراكش وفاس ومكناسة وسوس وتافلالت وتنبكت وإقليم السودان السلطان بن السلطان أمير المؤمنين...[57]

وفي رسالته لملك الدانمارك عام 1777 = 1191 نعت نفسه بأنه ملك مراكش وسوس ودرعة وبلاد السودان..

وفي سرد هوست Host عن الأحداث عام 1788 = 1202 ـ 1203 ذكر أن العاهل المغربي سيدي محمد عهد لولده الأمير مولاي بعد السلام بحكم الأقاليم الجنوبية إلى منطقة الحدود مع غينيا...

وفي معظم الكتب التي تناولت تاريخ المغرب لابد أن نجد صدى لذكر بلاد السودان وذكر القوافل المتوالية التي لم ينقطع ترددها بين الشمال والجنوب في كل المناسبات.

ولا بد أن نذكر أنّ هذه القوافل لم يقتصر شأنها على الأغراض التجارية ولكن يتجاوزها إلى الأغراض العلمية حيث سجلنا عدداً من رجال شنقيط ممن كانوا يترددون على مدينة فاس لأخذ العلم وتعاطيه عن شيوخ جامع القرويين من أمثال الشيخ عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام محنض أحمد العلوي...

---

57) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 291.

الـذي رافق الركب المولوي أيـام سيـدي محمـد بن عبـد الله لأداء فريضـة الحج صحبة الأمير مولاي اليزيد.[58]

وقد نص صاحب كتاب (إنفـاق الميسور في تـاريخ التكرور) محمـد بلو بن عثمـان بن فـودى على ذكر وثـائـق وردت من السلطـان العـدل مـولاي سليمـان سلطان المغارب على حد تعبيره، وكانت الأولى بتاريخ أواسط جمـادى الثـانيـة عام خمسة وعشرين ومائتين وألف = أواسط يوليه 1810. بينمـا كـانت الوثيقـة الثانية على سبيل التحـديـد بتـاريخ الشـامن عشر من جمـادى الأخيرة من نفس العام....[59]

وكان ورود الرسالتين من السلطان المذكور جواباً على رسالـة حملهـا الشيخ عثمـان بن منصـور التـواتي سفيراً عن أمير آهر بـالسـودان الغربي (نيجيريـا) محمد الباقري، وقد اهتمت الرسالة السودانية التي حملها السفير بـاطلاع سلطـان المغرب على سير حركة المقاومة القائمـة، ضـد المتقصـدين للبلاد من الأجـانب، بقيادة الشيخ الإمام عثمان بن محمد بن عثمان بن صـالح الفلاني وكـانت إحـدى الرسالتين للأمير الباقري بينما كانت الثانيـة للشيخ عثمـان... والرسـالتـان معاً تتضمنان التشجيع على مواصلة الجهـاد حفظاً للبلاد من الـدخلاء، ومن المهم أن نشير إلى ما ورد أواخر الخطاب السليماني للأمير الباقري :

«... ويصلك الطـابع الـذي بعثت عليـه على الوصف الـذي أشرت في كتـابك إليه».

لقد ظلت الصلات بين الأمبراطورية المغربيـة وبين السودان على نحو مـا كانت عليه منذ عصور : حيث نجد المساجـد تردد أيام الجمع دائمـاً اسم العـاهل المغربي تيمنـاً بـذكره وتعبيراً عن الولاء الـذي تكنـه تلـك الجهـات إلى سلطـان المغرب كما نجد المناطق تتصيد فرص الأعيـاد، وفرص تربع الملوك على كرسي الحكم لترحل في اتجاه الشمال لتقديم التهاني والإعراب عن الأماني...

58) د. التازي : الوثائق الدبلوماسية للمغرب كمصر التاريخ إفريقيا الندوة الـدوليـة لتـاريخ إفريقيـا، الرباط، أبريل 1987.

A.G.P. Martin : Quatre Siécles d'histoire Marocaine, Paris, 1923 – p. 70-88

أحمد بن الأمين الشنقيطي : الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، طبعة ثانية مكتبة الوحدة العربية - الدار البيضاء 1378 = 1958، ص 37.

59) علاوة على مخطوطة الخزانة العامة بالرباط، وقفت في المكتبة المركزية بـالريـاض على النسخة المخطوطة بكنو (نيجيريا)، وبهذه المنـاسبـة أشكر الزميل الـدكتور محمـد بن حسن الزّير عميد شؤون المكتبات (جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية) على مساعدته...

فيه المفاسد ولمار به صيت كل فاسد ولم يوجد من يبدل للامير
النصح المجرد ولو رجلا واحدا تفرد . واذا اصغا لك من زمانك
واحد فاشدد عليه واين ذاك الواحد . وقد صفا لك هذا
القايم فيما ذكرت لنا وكتبت به الينا فاشدد يديك عليه
وادم احسانك اليه ختم الله لنا ولك بالخاتمة الحسنى وجعلنا
جميعا النعز الانسى بجاه النبي وعترته وكل من هو ناصر لملته
وبذلك الطابع الذى بعثت عليه على الوصف الذى اشرت فى
كتابك اليه صحبته رسولكم الشيخ عثمان الذى وصفتموه
لغاية الصفة والامان ولم نجد بدا من اسعافك لما طلبت
توفية بحق مالك فى جانبنا من المحبة التى عليها طبعت
فنسال الله ان يلهمنا ما بين محيانا ومحياك وان يغفر لنا
من فضله ما جنيناه ويجعل خير ايامنا واسعدها يوم
نلقاه انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وبتاريخ
اواسط جمادى الثانية عام خمسة وعشرين ومايتين والف
وهنا انتهى نص الوثيقة الاولى ونص الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله على سيدنا محمد
المصطفى الكريم وعلى آله واصحابه الذين انتهجوا نهجة
القويم الى السيد الذى فشا فى اقطار السودانيين عدله
واشتهر فى الافاق المغربية ديانته وفضله العلامة النبيه
العديم فى زمانه الشبيه ذو النورين العلم والعمل الذين هما
منتهى الامل السيد عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح الفلاتى
نفع الله بعلومه القاصى والدانى والسلام منا عليه ما اشد
شوقنا اليه ورحمة من الله تغشاه حتى لا يخشى الا الله والله

رسالة من مولاي سليمان إلى أمير نيجيريا

أحق ان يخشاه وبعد فقد بلغنا من الثناء عليك والتعريف با
حوالك وافعالك واقوالك ما اوجب محبتنا اليك وتسليمنا
اليك وذالك على لسان سلطان ناحيتكم وامير الطوائف
الاسلامية بساحتكم المقر في كتابه بفضلك وانك ناصح
لله وعليه دار محبتنا للسلطان محمد الباقري بن محمد العدل
فانه اخبرنا بما قمت به من الامر الواجب من الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر الذي له نصب الرسول والامير والوزير
والحاجب حتى دخل الناس في دين الله افواجا وترادفت عليك
وفد الاسلام افواجا وصرت بلطف شمائلك انسان العين
من عيون الانس

والناس اكيس من ان يمدحوا رجلا مالم يروا عنده آثار احسان
وهذا من اعظم منح الله واتم النعم كما يشهد به حديث لان
يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم فالله تعلى
يجازيكم عن الاسلام خيرا ويقيكم ضيرا ويديم دولتكم محفوفة
محفوظة وبعين العناية ملحوظة وفي حصن الله الحريز
تالية قال الله تعالى ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي
عزيز الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلاة واتوا الزكوة
وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور والسلام
معاد على جنابكم الذي صار للاسلام بخلوص نصيحتكم كالبيت
المعمور وفي الثامن عشر من جمادى الثانية عام خمسة وعشرين
ومائتين والف ويقال انا نناسب هولاء الشرفاء من جهة
جدتنا فاطمة التي يقال انها من ذرية الفقيه الصالح عبد الصمد
ابن الشيخ الولي الحاج احمد بن ترقيت المعروف بالغيالي والبره

رسالة من السلطان مولاي سلبهان إلى أمير نيجيريا

العلاقات المغربية الفرنسية
في بداية الدولة العلوية

- □ لويز الرابع عشر والسلطان مولاي الرشيد - شركة المزمّة...
- □ اتفاقية ابن حدو - لوفيفر على عهد السلطان مولاي اسماعيل...
- □ البعثات الدبلوماسية المتبادلة بين الطرفين.
- □ تسريح الأسرى والنشاط التجاري.
- □ خطبة الأميرة الفرنسية دوكونتي ؟
- □ خطاب الملك لويز الخامس عشر إلى السلطانة خناثة...
- □ الاتفاقية المغربية الفرنسية 1180 = 1767...
- □ الأميرة الضاوية بين مراكش وكورسيكا...
- □ مراسلات السلطان مولاي سليمان مع فرنسا.
- □ الأمير مولاي سلامة ونابوليون.
- □ موقف مولاي سليمان من احتلال نابوليون لمصر.

العلاقات بين المغرب وبين فرنسا على عهد العلويين

القسم الأول

إذا كانت أيام السلطان المولى مَحمد بن الشريف لم تمكّنه ـ على ما نعلم من استقبال مبعوثين من أُروبا فإن أيام السلطان المولى الرشيد عرفت، إلى جانب صلاته بجيرانه، علاقات له مع بعض دول أُروبا وقد كان في صدر تلك الدول المملكة الفرنسية التي دشّنت أول لقاء لها بالدولة العلوية مع السلطان المولى الرشيد.

لقد كان الكاردينال مازاران (Mazarin) يفكر منذ سنة 1655 ـ 1656 في إنشاء شركةٍ تجارية في جزر (المَزَمة)[1] (Albouzème)، وهكذا عيّن القنصل لامبير (Lambert) ممثلاً له لمفاتحة الجهات المغربية في الموضوع...[2]

---

1) عرف الإسبان منذ القرن السادس عشر مجموعةً من الجزر الصغيرة الموجودة في الخليج الذي يصب فيه وادي نكور، ووادي غيس وكانوا يدعونها جزيرة بوزيما (Busema) أو بوسيم (Bucime) وهذا الاسم الذي تأتي منه كلمة الحسيمة (Alhuce mas) بالاسبانية والبوزيم (Al Bouzéme) بالفرنسية هو تحريف للاسم العربي (المزمة) الذي تعطيه المصادر المغربية لتلك الجزر وللخليج وكذلك لمدينة كانت على الساحل خرّبها مولاي الرشيد عام 1666 هذا والمزمّة غير مدينة النكور خلافاً لما يقوله ابن خلدون عنها. وإن كبرى هذه الجزر المعروفة بحجرة النكور هي التي أسس فيها الإسبان مستودعا لهم عام 1673، وإن الخزامى (El Houzama) التي زعم بعض المؤلفين أنها هي الاسم العربي لهذه الجزر اسم مجهولٌ تماماً...

البكري ص 91، ابن خلدون ج 6 ص 440 .S.I.H.M. France – Maroc – Deuxieme Serie T. 1 p. 21 Note 2 p. 135 Note 2

2) التازي : الثغور المغربية المحتلّة بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي، مجلة «البحث العلمي» عدد 25. 1976.

وهكذا كتب رولاند فريجيس من المزمّة Albouzème بتاريخ 5 أبريل 1666[3] إلى السلطان المولى الرشيد وهو ما يزال بمدينة (تازة) يطلب منه الإذن بزيارة للعاهل حتّى يتمكن من تقديم كتاب ملك فرنسا... الى مولاي الرشيد :

وقد أذن المولى الرشيد لفريجيس في التحرك للمثول بين يديه في تازة وعيّن له ستّين بعيراً لحمل أثقاله.[4]

ولما ورد السفير على السلطان المولى الرشيد اعتنى به وأكرم وفادته، ثم لما مثل بين يديه... أملى عليه خطاباً.

ثم قدّم للمولى الرشيد كتاب ملك فرنسا المؤرخ يوم 19 نونبر 1665 = 11 جمادى الثانية 1076.[5]

وبعد انتهاء حفلة الاستقبال وجّه السلطان المولى الرشيد من تازة إلى السفير الفرنسي جوابه على كتاب ملك فرنسا وهو يحمل تاريخ 26 شوال 1076 = مايه 1666، وقد كان من جملة ما فيه :

وبعد فقد بلغنا كتابك وفهمنا ما فيه من طلبك الأَمن لمن أراد من رعاياك التجارة في بلادنا فقد أعطينا الأَمان لكل من أتى بلادنا ومن سيأتي من جهتك بقصد التجارة،[6] كتبه كاتبه عن إذنه حرسه الله بمنه...

ويشير صاحب الإتحاف إلى الشنئان الذي حدث بين فريجيس وبين بعض التجار والذي أدى إلى الالتجاء إلى العاهل...[7]

ولم تكن تلك المراسلات الوحيدة التي تمّت بين لويز الرابع عشر والسلطان المولى الرشيد،[8] وهكذا نعثر على رسالة أُخرى مرفوعة من قصر

---

3) ابن زيدان : الإتحاف 3، ص 57 ـ 58 S.I.H.M. France – S. 2. T 1 p. 132

4) التاريخ الدبلوماسي للمغرب المجلد الثاني ص 130 S.I.H.M. France S 2 T. 1 p. 134 – 135

5) الإتحاف 3، ص 59 S.I.H.M – France S. 2 T. 1 p. 164

6) S.I.H.M. France – S. 2 T. 1 p. 114

7) قصد المولى الرشيد الريف فقبض على الرئيس أعراس في رمضان 1076 وعفا عنه واستبقاه معه على نحو ما كان عند ما صفى الزاوية الدلائية في المحرم 079... S.I.H.M. S. 2 T. 1 p. 165

8) دوكاستري، س 2، ج 1 العلويون ص 189.

(سان جيرمان) إلى العاهل المغربي بتاريخ 8 دجنبر 1666 = 10 جمادى الثانية 1077 على مانذكره في «الملاحق».[9]

هذا وقد تناولت معظم المصادر الفرنسية الحديث عن أمر شركة المزمة بتفصيل زائد...[10]

هذا وقد أشار ألفريد بيل في كتابه بالفرنسية : (نقوش عربية بفاس) إلى بعثة رولاند فريجيس لدى السلطان المولى الرشيد التي وردت عن البعثة التجارية المرسيلية وعقدت معه اتفاقية باسم لويز الرابع عشر وأضاف أي الفريد بيل إلى هذا أنه حوالي هذه الفترة من التاريخ أنشئت علاقات بين صهر السلطان المولى الرشيد وبين شركة تجارية تضم شخصيتين فرنسيتين : الأخوين : جولي جان (Joly Jean) وجان بابتيسط (Jean Babtiste) من رُووّان (Rouen) وشخصية إنجليزية بوتي كَيوم (Petit Guillaume) المقيم في قادس بينما ترك أحد الأخوين الفرنسيين وكيلاً له في المزمة...[11]

وأخيراً نجد رسالة أُخرى من ملك فرنسا إلى المولى الرشيد وقد كتبها إليه من باريز بتاريخ 21 يبراير 1672 يوصيه فيها بمبعوثه روى صامويل (Roy Samuel) الذي كلفه بالمفاوضة في شأن تبادل الأسرى.[12]

بيد أن هذا الكتاب لم يصل إلى السلطان المولى الرشيد حيث إن وفاته أدركته بمراكش يوم 11 حجة 1082 = 9 أبريل 1972 وهو الأمر الذي استدعى تحرير كتاب مماثل إلى السلطان الجديد المولى اسماعيل بن الشريف بتاريخ 13 غشت 1672 يهنئه بالجلوس على العرش ويجدد فيه اعتماد صامويل روى للتفاوض حول مشكلة تبادل الأسرى...

---

9) قصد المولى الرشيد الخضر غيلان الثائر ببلاد الهبط وكان بقصر كتامة فانهزم الثائر إلى أصيلا قبل أن يقضى عليه مولاي اسماعيل بصفة نهائية، ومن المعلوم أن المقدّم الخضر غيلان كان مرتبطاً باتفاقية منذ أوائل 1661 مع حاكم مدينة سبتة المركيز دي لوص أركوص de Los Arcos كما أصبح حليفاً صادقاً لأنجلترا على ما ذكرناه في فصل العلاقات المغربية الإنجليزية)...

10) دوكاستري : مصادر لم تنشر عن تاريخ المغرب سلسلة ثانية، الفيلاليون م. أ،193.

11) Alfred Bel : Inscriptions Arabes de Fes, (Extrait du Journal Asiatique 1917 – 1919), p. 62 (à Max Van Berclem) هذا ويلاحظ أن إحالة الفريدبيل على دوكاستري لا تخلو من تساهل...

12) S.I.H.M. France, S. 2, T. 1, p. 414.



حصار مدينة سلا عن كتاب تاريخ بارباري

وقـد كـان في صـدر ردود الفعـل إزاء تشـدّد العـاهـل المغربي أنْ صـدرت التعليمات من سان جيرماي أن لي (Saint-Germin-en-Laye) بتاريخ 23 مارس 1680 إلى القـابطـان دو شـاطورونو (Château-Renault) ليضرب بقطع أسطـولـه الحصـار على مدينة سلا ويطارد في نفس الوقت المجاهدين المغاربة وذلك في محـاولـة لفرض شروط السلام المقترحـة من ملـك فرنسـا لويز الرابـع عشر... وفي حـالـة قبـول تلك الشروط من طرف قائد المدينة فإن على (رونو) أن يعقد باسمه اتفاقاً ثنائياً يتـوقف تنفيـذه على مصـادقـة ملـك فرنسـا وملـك المغرب... وإمعـانـاً في ضمان نجاح التهديـد طلب إلى قطعـة من أسطول المـاريشـال كونت إيسطريس (Estrées) الوقوفَ أمام سلا..!

وقد حضر مشروع للاتفاقية المرغوب في الحصول عليها بقصر سان جيرمان آن لي في تاريخ 25 مارس 1680.

☆ ☆ ☆

وهنا نجد رسالة من القائد عمر بن حدّو إلى (دو شاطورونو) حرّرها بأمر من العاهل بمدينة القصر الكبير بتاريخ 4 شتنبر من السنة يخبره بأن فصول الهدنة قد قبلت من طرف العاهل ولكنها سوف لاتدخل في حيّز التطبيق إلا بعد مضى خمسين يوماً...

ويظهر أنّ هذه المماطلات لم ترق بلاط فرنسا الذي أعطى يوم 28 مارس 1681 تعليمات جديدة لشاطورونو بمطادرة المجاهدين ومتابعة حصار الميناء.

بيد أن هذه الأزمة لم تلبث أن أخذت طريق الانفراج عندما كتب لويز الرابع عشر إلى السلطان المولى اسماعيل بخطاب يعتمد فيه مبعوثه الأميرال لوفيفر دولابار (Le Febvre de la Barre) الذي أخذ طريقه للمغرب بتاريخ 12 أبريل 1681 حيث عقدت هدنةً بين القابطان شاطو رونو والقائد عمر بن حدو في مدينة (المعمورة) بتاريخ 1 يوليه 1681.

وقد أدّت الهدنة إلى عقد اتفاقية بين الدولتين بتاريخ 13 يوليه 1681 وقّعت بالمعمورة من طرف ابن حدّو ولوفيفر دولابار وهي من ستة عشر فصلا... حررت بالإسبانية والفرنسية...

ونتيجةً لهذا الاتفاق كتب المولى اسماعيل إلى لويز بتاريخ أوائل شعبان 1092 = 4 شتنبر 1681 يؤكد له إفراجه عن الأسرى الفرنسيين، ويخبره بأنه عهد إلى القائد ابن حدّو بمواصلة المفاوضات مع الضابط الفرنسي المعيّن لهذا الغرض كما ينهي إليه أن قائده ابن حدّو حمل إليه رسالة ملك فرنسا لكنه يبدي استغرابه من الأسلوب المتبع من ملك فرنسا الذي كان عليه ـ وهو يراسل ملكاً مثله ـ أن يبعث بشخصيةٍ سامية يعهد إليها بنقل الرسالة إلى العاهل المغربي، وأنه من أجل أن يقف على النوايا الحقيقية لملك فرنسا سيقوم بإرسال سفير إلى البلاط الفرنسي !

وما لبث العاهل المغربي أن بعث برسالة أُخرى إلى لويز بتاريخ 2 رمضان 1092 = 15 شتنبر 1681 يثير فيها مع لويز موضوعاً طريفاً ظلّ حديث المعلّقين منذ ذلك التاريخ...

ويتعلق الأمر بإخبار المولى اسماعيل للسلطان لويز أن النبي ﷺ كان أرسل بخطاب إلى هرقل (Héraclus) يدعوه فيه إلى الإسلام، وبعد أن يردد اسماعيل ما جاء في الرسالة النبوية، يسأل الملك لويز : هل ما إذا كانت هذه الرسالة ما تزال موجودةً في أرشيف البلاط الملكي الفرنسي نظرا لما يعتقده العاهل المغربي من أن لويز من حفدة هرقل ![13]

ويصل مبعوث مغربي شبه رسمي هو الحاج محمد تميم إلى فرنسا نيابة عن القائد بن حدّو حيث أبرمت اتفاقية بين الطرفين في سان جيرمان آن لي يوم 20 محرم 1093 = 29 يناير 1682وقد وقّعها عن الجانب المغربي الحاج تميم وعن الجانب الفرنسي دوسينييلاي (de Seignelay) ودوكرواسي (de Croissy).

لقد كانت البعثة المغربية تتألف علاوةً على الحاج تميم من ثلاثة أعضاء الحاج علي معنينو أخي قائد مدينة سلا، ومن المراكشي ابن أُخت هذا الأخير ومن الحاج عبد القادر قريب الحاج تميم...

ولقد ألقى الحاج محمد تميم خطاباً أمام لويز الرابع عشر وقدّم له الهدايا التقليدية التي كان من بينها بعض السباع والنّعام. وشاهد أثناء مقامه بباريز حفلةً تمثيلية إيطالية، وقد رسم أنطوان تروفان (Antoine Trouvain) العضو بأكاديمية الفنون، صورة للسفير تميم وحاشيته وهو بإحدى شرفات المسرح يتتبع باهتمام فصول المسرحية وبصحبته الضابط الترجمان جوزيف دوريموندیس J. de Raymondis الذي كان يرافق الحاج تميم منذ نزوله بميناء بريست - (Brest).[14]

---

13) راجع المجلد الأول من هذا الكتاب ص 218/217، هذا ويظهر أن السلطان مولاي اسماعيل وقع بخط يده على رسالتين اثنتين في حياته الأُولى هذه، والثانية كانت تتعلق بتطويق الرق في المغرب، أما الرسائل الباقية فكانت تختم بالطابع على عادة الملوك العلويين.

14) تحتفظ مجموعة ألكونت دوكاستري بمذكرات طريفة عن سفارة الحاج محمد تميم من تاريخ 30 دجنبر 1681 إلى 25 يبراير 1682 : وصولها - مقامها - استقبالها في البلاط الفرنسي وبهذه المناسبة نشكر الصديق العزيز الجنرال لوفيفر على مساعدته S.I.H.M. France, S. 2. T, 1 p 638-658



السفير المغربي محمد تميم

وفي أعقاب هذه الزيارة لأول مبعوث مغربي لدى بلاط فرنسا بعث الملك لويز إلى السلطان اسماعيل بتاريخ 12 يبراير 1682 يهنئ نفسه بإنشاء علاقات السلام مع العاهل المغربي ويخبره بعزمه على إرسال سفيرٍ معتمد لدى البلاط المغربي.[15]

وجواباً على رسالة لويز بعث السلطان المولى اسماعيل من مكناس بتاريخ 15 ربيع الثاني 1093 = 23 أبريل 1682 يشكره فيها على حسن استقبال المبعوث المغربي ويثني على سياسة الحكم المتبع آنذاك في فرنسا ويعرب عن ترحيبه بالسفير الفرنسي القادم إلى بلاد المغرب...[16]

وبالإضافة إلى هذا كتب القائد علي بن عبد الله إلى لويز الرابع عشر...

سفارة البارون دوسان أمان

لقد صدرت التعليمات إلى دوسان أمان De Saint Amans من فيرساي بتاريخ 3 يونيه 1682 بأن يقصد بلاد المغرب لهدف أساسي وهو الحصول من السلطان المولى اسماعيل على تأكيد معاهدة 29 يناير 1682 [17] بينما تتحفظ التعليمات حول قضية الأسرى المغاربة الموجودين في فرنسا، وتعهد التعليمات إلى أحد الأساقفة بيتيس دولاكروا (Pétis de la Croix) بالبحث عن مخطوطات عربية توجد في فاس...

وفي نفس التاريخ الذي صدرت فيه تلك التعليمات إلى (دو سان أمان) رفع لويز رسالة إلى المولى اسماعيل يعتمد فيها المبعوث المذكور، وجواباً على رسالة لويز كتب ملك المغرب إلى لويز بتاريخ 14 ذي الحجة 1093 = 14 دجنبر 1682 يذكر فيها من جملة ما يذكر أن السفير الفرنسي قد وصل إلى

---

15) المصدر السابق ص 673.

16) Isarn (François d') baron, de Saint-Amans

S.I.H.M. France S. 2 T. I p. 608, T 2, 202

17) S.I.H.M. France S. 2. T 2, p. 434

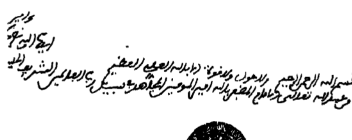
بلاد المغرب بيد أنه لم يصحب معه الأسرى المغاربة الذين كان يتوقع العاهل الإفراج عنهم ! ومع ذلك فإن السفير الفرنسي قد استقبل كما يجب الاستقبال وإن شروط المقام الطيب قد وفرت له، وإن السلام بين البلدين سيحترم، بيد أن فترة السلام ستقصر أو تطول حسب النوايا الحقيقية لملك فرنسا.!! وأن السلطان المولى اسماعيل، تعبيراً منه عن حسن النية، يبعث بعشرين أسيراً فرنسياً هدية منه إلى فرنسا وأنه يغتنم هذه الفرصة ليقترح تبادل الأسرى رأسا برأس !!

إلا أن الأخبار عن الأسرى المغاربة ظلّت غير معروفة بل إن بعض الرؤساء البحريين المغاربة تعرضوا لاعتداءات جديدة بالرغم مما كانوا يتوفرون عليه من بطائق التعريف وفقاً لما جرى الاتفاق عليه !

وبهذا نفسر أسلوب ومضمون الرسالة التي بعث بها السلطان المولى اسماعيل إلى لويز بتاريخ 9 شعبان 1095 = 22 يوليه 1684 تلك الرسالة التي يقارن فيها بين سلوك الفلامنك (البلاد المنخفضة) وأنجلترا معه من جهة وبين سلوك فرنسا حياله من جهة أخرى، وهو إذ يعاتب ملك فرنسا على عدم تحرير الأسرى المغاربة لحدّ الآن يطلب الالتجاء إلى العدالة فيما يتعلق بالرايس محمد التاج الذي أسر بالرغم من حمله جوازاً مصادقاً عليه وتختم الرسالة الإسماعيلية خطابها إلى لويز بما مفاده : إنه إذا كان العاهل الفرنسي يرغب حقيقةً في الاحتفاظ بقواعد السلام بين البلدين فإن عليه أن يبعث شخصية كفؤة لتسوية المشاكل المعلقة.

ومن هنا نجد ملك فرنسا يبعث برسالة إلى السلطان اسماعيل بتاريخ 6 مايه 1685 يقول فيها : إن الأوامر أعطيت لإرجاع مركب الرايس التاج إذا ما أرجع زورق الرايس كروازي (Croiset)، ويضيف إلى هذا أن عدم مراعاة الفصل الخاصّ بفداء الأسرى الفرنسيين من شأنه أن يؤدي إلى استيناف العدوان...

وقد واصل تاجر فرنسي شبه مبعوث رسمي إلى الديار المغربية. ويتعلق الأمر بجان بابتيسط إيستيل (J.B.Eselle) الذي زوَّده السلطان المولى إسماعيل بجواز تنقل بمركبه عبر الموانئ المغربية يحمل تاريخ 10 جمادى الثانية 1101 = 21 مارس 1690.





رسالة السلطان مولاي اسماعيل إلى لويز الرابع عشر
بتاريخ 9 شعبان 1095 = يوليه 1684

وقد استقبل المبعوث إيستيل (اصطيلة) من طرف السلطان المولى إسماعيل[18] حيث نجد رسالةً من العاهل المغربي إلى لويز الرابع عشر من مكناس بتاريخ فاتح ربيع الأول 1103 = 22 نونبر 1691 حملت من طرف إيستيل الذي سلمها إلى وزير الخارجية الفرنسي بونتشارطران (Pont Chartain) : إن العاهل المغربي يخبر ملك فرنسا بأن إيستيل بالرغم من توفره على الصلاحيات الكاملة لإبرام اتفاقية ثنائية لكنه (أي مولاي اسماعيل) لا يريد أن يتفاوض إلا مع شخصية سامية وليس شخصية تجارية... «إنه ليس من شأن التجار الدخول في الكلام مع الملوك...»

سفارة سانت أولون إلى المغرب

وهكذا كتب لويز الرابع عشر إلى السلطان المولى اسماعيل من فيرساي بتاريخ 14 يناير 1693 يعتمد فرانسو بِّيدو دوسانت أولون (F.Pidou de Saintolon) مذكراً أن التعليمات قد أعطيت له بإبرام الاتفاقية الجديدة التي تؤكد اتفاقية 1682 بإنهاء ما يتعلق بفداء الأسرى الذي ينبغي أن يحدد بمائة ريال لكل رأس... وفي نفس الوقت كتب الوزير الفرنسي بونتشارطران إلى النائب علي بن عبد الله يرجوه تسهيل مهمة المبعوث الفرنسي.

ويصل المبعوث الفرنسي إلى بلاد المغرب... ويتجه نحو مكناس العاصمة آنذاك ليستقبله السلطان المولى اسماعيل الاستقبال الأول يوم 11 يونيه 1693 ثم ليستقبله استقبال الوداع يوم 19 يونيه...

18) كان السفير إستيل هو الذي شرح للسلطان المولى اسماعيل ظروف الأسير المغربي الذي عاد للمغرب مجذوع الأنف أصلم الأذنين الأمر الذي أغضب العاهل المغربي وكان وراء تمنعاته، وقد أكد السفير للعاهل أن المغربي المذكور كان قد اغتال أحد الفرنسيين بفرنسا فاستوجب ذلك عقابه. ابن زيدان : الإتحاف، ص 68 S.I.H.M. France S. 2 T e p. 412
الثالث ص 473 Archives Nationales Marine B. 7, 217

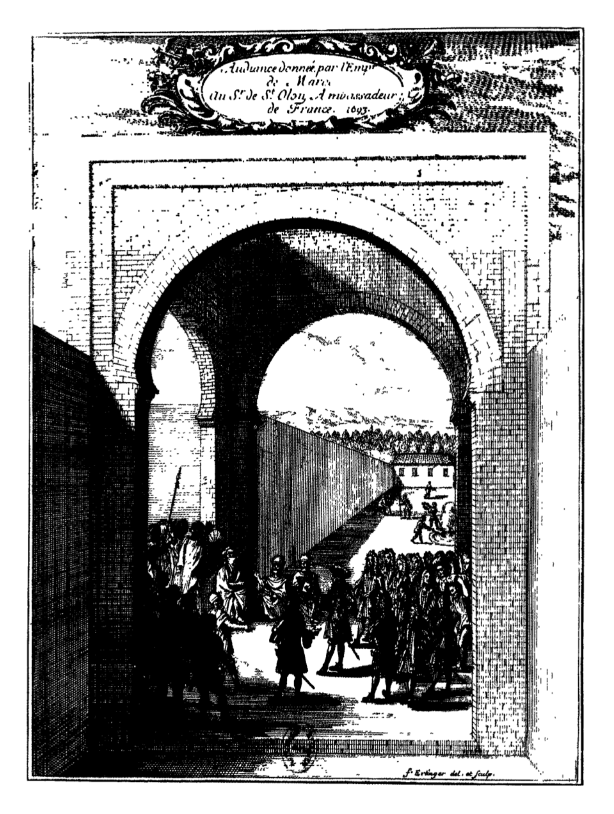


قصر فيرساي

وبالرغم من تحدث المصادر عن أن سبب فشل السفارة يرجع لتنافس النائب علي بن عبد الله الذي كان يحرص على توقيع الاتفاقية وبين القائد محمد بن حدّو الذي كان يعارض الاتفاقية،[19] بالرغم من ذلك فإن هناك وراء ذلك صخرةً عظيمة تحطَّمت عليها مهمة دوسانت أولون !

ويتعلق الأَمر بقضية احتلال سبتة ! لقد كان العاهل المغربي يريد أن تعقد معه فرنسا حلفاً عسكرياً يهدف إلى تحرير ثغر سبتة من يد الإسبان في مقابلة إرضائه للمطالب الفرنسية ! وقد جاء في مذكرات سانت أولون أن حديث العاهل المغربي اقتصر فقط على سبتة طوال الاستقبال يعيده ويعيده، ولكأنما كان ورود السفير من أجل موضوع سبتة ! ومن دون شك فإن الجهات المغربية

19) د. عبد الهادي التازي : محمد بن حدو، مجلة أكاديمية المملكة المغربية 1986.



صورة استقبال مولاي اسماعيل للسفير الفرنسي

استشفّت عدم استعداد فرنسا للمساعدة من خلال حديث السفير، ومن هنا ظهر نحس الطالع بالنسبة لمهمة دوسانت أولون الذي ترجم عن فشلهِ المرير بقطعةٍ شعرية حاقدة كتبها بخطه.

وقد اقتنع الطرفان بفتح الحوار من جديد وهكذا ظهرت فكرة اعتماد مندوب عن المغرب ليتناقش مع الجانب الفرنسي حول بنود الاتفاقية، ولم يكن هذا المبعوث غير القابطان عبد الله بن عائشة الذي صدر أولاً ظهير بتاريخ أواسط ربيع الأول 1110 = 17 ـ 26 شتنبر 1698 يسند إليه القيادة العامّة لشؤون البحر ويخوله التحدث والتفاوض مع سائر الأمم المسيحية في القضايا البحرية» التي تسوغ شرعاً وتقبل طبعاً...

ولم يلبث الحال أن تطور إلى اعتماد القائد عبد الله بن عائشة سفيراً لدى ملك فرنسا لمفاتحة الجهات الفرنسية حول المسائل المعلقة، وتحمل رسالة الاعتماد تاريخ 23 ربيع الأول 1110 = 29 شتنبر 1698

كانت سفارة ابن عائشة لدى بلاط فرنسا من 11 نونبر 1698 إلى 25 مايه 1699 من أبرز السفارات التي كانت محلّ عناية من لدن طائفة من المهتمين بأمر العلاقات المغربية الفرنسية، وكتبت حوله عشرات التقارير الدبلوماسية والتعليقات الصحفية على نحو ما قرأناه عن زميله محمد بن حدّو سفير السلطان إلى أنجلترا وزميله ابن عبد الوهاب الغساني سفير السلطان إلى اسبانيا...

لقد كتب السفير ابن عائشة إلى لويز الرابع عشر في أعقاب اعتماده يخبره بأن العاهل المغربي قد عهد إليه بمتابعة المفاوضات التي ابتدأت في سلا مع رئيس الأسطول الفرنسي من أجل عقد معاهدة سلام بين البلدين، وأن السلطان حمّله رسالة خاصّة إلى لويز كما زوده بالتعليمات والإرشادات من أجل القيام بمأموريته...

وقد كانت حاشيته تتألف من ثمانية عشر شخصاً نزلوا جميعا في باريز بفندق السفراء.



عبد الله بن عائشة عن وثائق : المكتبة الوطنية بباريز التي نجدد لها الشكر

وقد عهد لويز - حسب الوثائق المحفوظة بتاريخ 16 يبراير 1699 - إلى الماركيز طورسي (Torcy) (كولبير جان بابتيسط والكونت موربّاص (Maurepas) بالتفاوض مع السفير ابن عائشة بقصد إبرام اتفاقية بين المغرب وفرنسا.

وشارك في جزء مهم من هذه المفاوضات دولاتوش (De La Touche) الذي أخبر من طرف الترجمان دولاكروا (De la Croix) بأن عبد الله بن عائشة يطلب قبل إعطاء جوابه النهائي حول الآراء الفرنسية المتعلقة بمعاهدة 1682 - أن تترجم تلك الآراء إلى اللغة العربية كتابةً لدارستها وأن سماعها غير كاف لاستيعاب مضمونها !!

توقيع السفير ابن عائشة

وقبيل مغادرته الميناء بيوم واحد 24 مايه 1699 جدد الكتابة إلى صديقه جوردان... يطلب إليه أن يشعر المسؤولين بضرورة تمديد الهدنة إلى أن يسلّم المرافق الذي يصحبه إلى مدينة سلا جواب مولاي اسماعيل على المشروع الأخير للمعاهدة...

☆ ☆ ☆

وقد رفع السفير ابن عائشة تقريره إلى العاهل المغربي بكلّ ما حصل، وهكذا نجد رسالة تتوجه من السلطان المولى اسماعيل إلى جوردان من مكناس بتاريخ 15 محرم 111 = 13 يوليه 1699 يشكره على معاملته الخاصة لسفيره ويعده بتشجيع سائر العمليات التجارية التي يباشرها في المغرب.

كما نجده يبعث إلى لويز من مكناس بتاريخ 2 صفر 1111 = 30 يوليه 1699 يخبره بأنه بعد الاستماع إلى سفيره ابن عائشة فإنه بهذه المناسبة يطلب إرسال المخطوطات العربية التي تتوفر عليها الخزائر الفرنسية...

وقد تبعت هذه الرسالة الإسماعيلية رسالة أُخرى إلى لويز من مكناس بتاريخ أواخر ربيع الأول 1111 = 25 شتنبر 1699 يعتب عليه إنكاره للحقيقة عندما أعاد السفير دون إبرام اتفاقية مشيراً بعد هذا لما جاء في رسالةٍ سابقة لملك فرنسا تلوّح لاستعمال القوة : «إن موارد المغرب وثروته هي من القوة بحيث تجعل مولاي اسماعيل لايعبأ ولا يكترث بأن يكون في حرب أو سلم مع فرنسا !! إن مكاتب الملوك، يقول العاهل المغربي، لا يكون فيها إلا كلام الصدق بلا كذب ولا التواء المعاني فذلك نقص في حقّ الأُمراء ما يرضاه أحد، ما جاءنا شركم ولا صلحكم في شيء !!»[20]

وفيما يكاتب اسماعيل لويز بهذا الأسلوب يحتفظ السفير ابن عائشة بسلوك سبيل التدليل على الطريق التي ينبغي الفرنسيين سلوكها للحصول على رضى العاهل...

ولم تُنس هذه المواضيع الهامة ابن عائشة في أن «يستدرك» فيتحدث لزميليه عن اكتشاف قطع أثرية ترجع لعهد الرومان بالمغرب - يعتقد دوكاستري أنها من خرائب شالة رفعت إلى مكناس...[21]

☆ ☆ ☆

ويتأكد أن ابن عائشة كان يطلع العاهل على خفايا الوضع في البلاط الفرنسي الذي ألمّ به أثناء اتصالاته والذي كان يتوفر عليه أيضا من خلال مراسلاته مع أصدقائه من أمثال جوردان الذي أعطى ابنه اسم عبد الله !!

وهكذا نجد السلطان المولى اسماعيل يوجه الدعوة بتاريخ 6 جمادى الأُولى 1111 = 30 اكتوبر 1699 إلى جوردان لزيارة المغرب[22] وتعبيراً من العاهل المغربي عن رغبته في

---

20) S.I.H.M. France S. 2 T 5. p. 399-400

21) S.I.H.M. France S. 2 T. 5 p 419

22) المصدر السابق ص 449.



أواخر ربيع الأول 1111 = 25 شتنبر 1699

من اسماعيل إلى لويز الرابع عشر

إن مكاتب الملوك لا يكون فيها إلا كلام الصدق بلا كذب ولا التواء المعاني.

التعاون مع فرنسا والاستفادة من خبرتها طلب إلى لويز أن يبعث إليه بمهندسين معماريين وهو يبرّر طلب الخبرة هذه بسابقةٍ في التاريخ الإسلامي - نقلاً عن الواقدي صاحب المغازي - عندما طلب الوليد بن عبد الملك - وقد أراد تجديد المسجد الشريف - من ملك الروم أن يسعفه بالخبراء المختصّين...

وقد عرفت هذه الفترة حدثاً رددته الوثائق الفرنسية تعززها بعض المراسلات المغربية، ويتعلق الأمر بخطبة السلطان المولى اسماعيل للأميرة الفرنسية دوكونتي، (de Conti).



الأميرة الفرنسية دوكونتي

لقد بعث ابن عائشة برسالة إلى بونتشارطران من سلا بتاريخ 21 جمادى الأولى 1111 = 14 نونبر 1699 كانت بواسطة صديقه الحميم جوردان، يطلب إليه جس النبض لدى ملك فرنسا لخطبة الأميرة دوكونتي للمولى اسماعيل...

ويلاحظ أن الرسالة المذكورة أمليت من طرف ابن عائشة باللغة الإسبانية على مانيي دولاكلوزوري[23] (Manier de la Closerie) وكيل جوردان بسلا...[24]

وتبعت هذه الرسالة رسالة ثانية في اليوم الموالي من سلا إلى الشخصية المذكورة تؤكد أنه بأمر من سيده فإنه يطلب إلى الوزير الفرنسي أن يلتمس من الملك لويز الموافقة على اقتران المولى اسماعيل بالأميرة المذكورة التي تحدث عنها إلى العاهل...[25]

وكانت الرسالة الثالثة في الموضوع تحمل نفس التاريخ 22 جمادى الأولى... 15 نونبر ولكنها هذه المرة إلى صديقه جوردان الذي ترجاه في مدّ يد المساعدة لتحقيق الغرض مذكراً أنه أثنى كثيراً للسلطان المولى اسماعيل على الملك لويز، وأن ذلك كان باعث التفكير في خطبة الأميرة، وهو يؤكد أنه كتب إلى الوزير بونتشارطران ولكنه لايستغنى عن مساعدة جوردان، وأنه في حالة إشعارٍ بقبول من ملك فرنسا، فإنه سيقوم بصفةٍ رسمية بما تقتضيه الأصول من الرحلة إلى البلاط الفرنسي لتقديم المطلب الملكي... وتأتي رسالة رابعة من ابن عائشة ليؤكد انتظاره للجواب عن أمر الخطبة..!!

لقد نقل عن ابن عائشة أنه ـ وهو يتحدث للمولى اسماعيل عن مهمته ـ انتهى به الكلام حول بنت الأمبراطور فذكر من أوصافها وحسن أدبها فقال لي :

---

23) يلاحظ أن هذه الشخصية رغب السلطان من فرنسا في أن تحتفظ به كنقصلٍ عنها بسلا يعززه في هذا الرأي وزيره ابن عائشة، بينما كانت لفرنسا وجهة نظر معاكسة، وكان هذا أيضا من أسباب التوتر إلى أن تعين القنصل الجديد بيريليي Charles Penz : autour d'une lettre inédite de MoulayIsmail à Louis XIV Hsp 1946 p. 160(Périllié) 5

24) S.I.H.M. France S. 2 T. 5 p. 475-479...

P. Lefebvre et M.I. Archane : une idylle manquée à la cour du Roi Soleil, la Presse médicale 14 – Janvier 1984 p. 6/8

د. عبد الهادي التازي : الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للمكلة المغربية. الرباط 1404 = 1984 ص 16 تعليق 1.

25) S.I.H.M. T. 5, P. 208-399-458

اكتب لصاحبكم الوزير يخطبها لنا على سنة الله ورسوله وتبقى على دينها وسيرتها... كما نقل عن ابن عائشة ـ وقد تحدث للسلطان عن لويز ومجاملته وعظمته ـ أن مولاي اسماعيل قال له : «مثل هذا الرجل ينبغي أن يعرف ويصاحب..!».

نحن نعلم أن العلاقات المغربية الفرنسية كانت تمر بمرحلةٍ دقيقة في هذه الفترة وكانت تنذر بالقطيعة بين السلطان مولاي اسماعيل وبين الملك لويز الرابع عشر، فهل يكون حديث ابن عائشة حول خطبة الأميرة كونتي أيضا من باب «المناورات السياسية ؟».

مهما يكن فإن هذا الحدث لو تم لكان له أثر دون شك على صلة العالم المسيحي بالعالم الإسلامي.[26]

☆ ☆ ☆

وهكذا فقد كنا نشعر منذُ فشل مهمة ابن عائشة في باريز... بأن أحداً لايرضى عن سلوك الطرف الآخر..!

ونرى من المناسب هنا أن نشير إلى رسالة اسماعيلية عثرنا عليها ضمن مجموع مخطوط بالخزانة العامة وهي، ولو أنها لاتحمل تاريخاً، إلا أنها على ما يتأكد «مشروع» لخطابٍ موجه إلى لويز الرابع عشر جوابا على رسالته للسلطان مولاي اسماعيل بتاريخ 4 مايه 1699.[27]

وأثناء فترة غضب المولى اسماعيل هذه على سياسة الملك لويز الرابع عشر بسبب خطته لقصف الثغور المغربية نجد رسالة أخرى مشابهة من العاهل المغربي إلى لويس عظيم فرنسا في مخطوطة الدر المنتخب لأبي العباس ابن الحاج في أحداث سنة 1114 = 1702 ـ 1703 يجرده العاهل مما كان نعته به في بعض رسائله من أنه أي لويز «من سلالة عظيم الروم الذي كتب له جدنا وسيدنا فلا نرضى أن نتكلم إلا معك...»[28]

---

26) مخطوط الخزانة العامة رقم ك / 1264.

27) مخطوطة الدر المنتخب، المجلد السابع، المحفوظة بالخزانة الحسنية تحت رقم 1875 ابتداء من صفحة 10 ـ الكتاني : التراتيب الإدارية 1، 164.

28) Pierre Grillon : La correspondances du chenier Paris 1970, p. 574.

وقد ظهرت بوادر انفراج جديدة في العلاقات المغربية الفرنسية في أعقاب تعيين القنصل الفرنسي الجديد جان بيريليي (Jean Périllié) الذي وصل إلى مدينة سلا أواخر سنة 1703 حيث نجد رسالة من السلطان المولى اسماعيل إلى لويز الرابع عشر بتاريخ 10 رمضان 1115 = 17 يناير 1704 يخبر فيها العاهل الفرنسي أنه استقبل سفيره بيريليي ووعده بإعطاء سائر التسهيلات الضرورية ليقوم بمهمته الجديدة...

وقد أخذت المفاوضات المغربية طريقها... وهكذا نجد رسالة من السلطان المولى اسماعيل إلى لويز من مكناس بتاريخ أواسط جمادى الثانية 1123 = 14 ـ 15 يوليه 1711 يخبر فيها ملك فرنسا بأنه توصل برسالته التي يعرب فيها عن رغبته في إنشاء اتفاقية سلام بين البلدين وافتداء الأسرى الفرنسيين...

☆ ☆ ☆

وبالرغم من أن البلاد تعرّضت في أعقاب وفاة السلطان المولى اسماعيل 28 رجب 1139 إلى رجات داخلية عنيفة فقد استمرت المراسلات مع البلاط الفرنسي

وقد آل الحكم إلى السلطان المولى عبد الله سنة 7 رمضان 1141 = 1729 الذي واجه عدداً من المشاكل الداخلية.

وقد قرأنا، في صدر ما قرأنا عن أيامه، نصّ رسالة استنجاد بعث بها بعض الأسرى المغاربة الذين يوجدون في فرنسا... وكانت الرسالة تحمل تاريخ 28 شعبان 1145 = 13 يبراير 1733، وكلها توسل إلى السلطان مولاي عبد الله الذي نعرف عن مدى تأثره لمثل هذه الحالات المحزنة...

ومن هنا نجد رسالة وزيره محمد السلاوي إلى وزير الملك لويز الخامس عشر إلى تاريخ 27 جمادى الأولى 1146 = 5 نونبر 1733، وفيها يخبره بورود مبعوثٍ من فرنسا لإبرام اتفاقية سلام بين البلدين تستهدف الإفراج عن الأسرى من الطرفين...

رسالة من لويز الخامس عشر
إلى السلطانة خناثة...

ويحتفظ الأرشيف الفرنسي بنص الرسالة التي تحمل تاريخ 13 شتنبر 1734 = 14 ربيع الثاني 1147 والتي كانت موجهة إلى أم السلطان مولاي عبد الله، التي كان لها نفوذ كبير في البلاط الملكي.

وقد تسمّي المصادر الفرنسية لالّة خناثة (كونيطا).

وقد اهتم الباحثون في تاريخ المغرب بهذه الرسالة التي نعت فيها لويز الرابع عشر الأميرة المغربية بأنها : «السلطانة الأعظم».

وعلماً منه بالدور الذي كانت تقوم به لالة خناثة، كان ملك فرنسا يأمل الإحراز على تأييدها في بعض القضايا... وتوجد نسخة بالفرنسية من هذه الرسالة في الأرشيفات الوطنية، في مصادر الشؤون الخارجية، وهناك ترجمة لها بالعربية في الخزانة الوطنية بباريز.

ويعتبر السلطان سيدي محمد بن عبد الله أو (محمد الثالث) أبرز شخصية دولية في العصر العلوي الأول بما أوتيه من قوة شخصية وبعد نظر، وقد عرف عهده بأنه العهد الدبلوماسي للمملكة المغربية.

الاتفاقية المغربية الفرنسية
1767 = 1180

وقد ورد على المغرب سفيرٌ هو الكونط دوبرونيون (Comte de Breugnou) وتم إبرام اتفاقية سلامٍ بين السلطان سيدي محمد بن عبد الله وبين لويز الخامس عشر بتاريخ 29 ذي الحجة 1180 = 28 مايه 1767، وقد أثبت نصَّها الكامل النقيب ابن زيدان في كتابه الإتحاف.

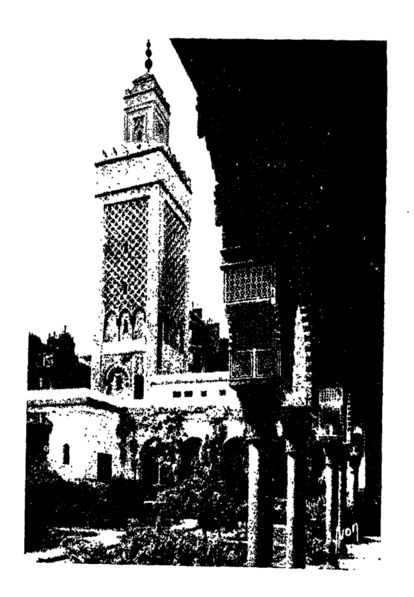
ومن المهم أن نشير هنا إلى أهمية الفصل التاسع الذي يضمن حياد فرنسا في حالة وقوع حرب بين المغرب والولايات العثمانية الحليفة لفرنسا...

إن بعض المؤرخين الفرنسيين وفي صدرهم كور (Cour) يعتقد أن هذا نصر مبين للملك محمد الثالث، وأن هذا الهدف كان يسعى إليه من قديم السلطان مولاي اسماعيل...

وبمناسبة وفاة لويز الخامس عشر بعث العاهل برسالة إلى لويز السادس عشر وكانت بتاريخ 10 جمادى الثانية 1188 = 18 غشت 1774 جواباً عن رسالة لويز بتاريخ 12 مايه 1774 وفيها يخبره بوصول الرسالة التي ينعي فيها الملك لويز الخامس عشر الفرنسي السابق، وهو لأجل ذلك يتقدّم بالتعازي إلى الملك الجديد ويجدد معه العهد. وقد حمل الرسالة إلى فيرساي عبد الله شكالانط...

مسجد محمد الثالث بباريز...

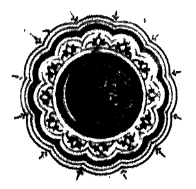
إن على الذين يتتبعون اليوم تـاريخَ مسجـد بـاريز أن يعودوا بـذاكرتهم إلى أيـام العـاهل المغربي محمـد الثالث الذي شرط في اتفاقيته مع الملك لويس الخامس عشر، المبرمة بتاريخ 29 ذي الحجـة 1180 = 28 مـايـه 1767 **اتخاذ المساجد بفرنسا !...** فلقد ورد في الفصل الحادي عشر منها «**...وكذلك رعيَّة سيـدنـا نصره اللـه إذا دخلوا بـلاد الفرانسيس لايمنعهم أحـد من اتخـاذ مسجـد لصلاتهم وقراءتهم بـأي مـدينـة كانوا...**».





بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

[illegible]



إلى كاهية الفرنصيص لويز القاينز عشر سلام على من اتبع الهدى أما بعد فقد
ورد على حضرتنا العلية بالله باشادورك كونط د برنيون المفوض له من قبلك في فداء
أساراكم وطلب الصلح والمهادنة من جانبنا العلي بالله [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] فاتح المحرم الحرام فاتح عام
[illegible] وثمانين ومائة وألف

فاتح محرم 1181 = 30 مايه 1767

من محمد الثالث إلى لويز الخامس عشر حول مقدم السفير كونطد برونيون لفداء الأسرى وطلب الصلح...



بسم الله الرحمن الرحيم ... ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله أمير المؤمنين محمد [illegible] السلطان [illegible] الشريف الحسني

أيد الله نصره وخلد في المآثر الدينية والدنيوية ذكره [illegible]

إلى الري لويز عظيم الفرنصيص السلام على من اتبع

الهدى أما بعد فاعلم أننا معك على المهادنة

والصلح التامين والذي أكد ذلك لدينا ما بلغنا عنك من ميل

نفسك لجانب أخينا السلطان مصطفى نصره الله

وانحياشك إليه ومحبتك لنصرته على جنس الموسكو

دمرهم الله وقد أعجبنا ذلك وزادك عندنا عهدا ومكانة

تولى الله هدايتك [illegible] في ثاني جمادى الأولى

عام ستة وثمانين ومائة وألف

رسالة بتاريخ 2 جمادى الأولى 1186 = 7 غشت 1772

من الملك محمد الثالث إلى الملك لويز الخامس : إننا معك على المهادنة والصلح التامين والذي أكّد ذلك ما بلغنا عنك من ميل نفسك لجانب أخينا السلطان مصطفى وانحياشك إليه ومحبتك لنصرته.



الطاهر فنيش كما تخيله رسّام...

سفارة الطّاهر فنّيش بباريز

وفي أثناء سنة 1191 = 1777 حدث أن غرقت سفينة فرنسية «لالويز» في شواطئ الصحراء المغربية وبالضبط في : رأس بوجدور فهبّ رجال السلطة إلى إنقاذ من كان فيها من البحارة، وبهذه المناسبة بعث السلطان سيدي محمد بن عبد الله سفارةً تصحب العشرين شخصاً ممن رمت بهم السفينة، وكانت برئاسة القائد الطاهر فنيش، وقد أخبر «أمير المؤمنين» «عظيم الفرانصيص» بما قام به المغرب من إسعاف وذلك رعيا للمهادنة والصلح، وبما أن القنصل الفرنسي بالرباط لوي شينْيي كان يعاكس توجّه السفارة فقد شكتْه الرسالة...

لقد كانت مهمة السفير فنيش تتناول أيضا ـ وهذا مهم ـ مفاتحة الجهات الفرنسية بل وسائر البعثات الأجنبية المعتمدة في العاصمة... في شأن عقد اتفاقٍ حول تحرير الأسرى وضابط افتدائهم : «كل أسير بإيالتنا من النصارى أيّاً كان ففداؤه مسلم رأسا برأس وإن لم يكن عندهم مسلمون فمائة ريال فداؤه لاغير... وكذلك إذا كان


بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم

من أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين عبد الله المتوكل على الله المعتصم
بالله محمد بن عبد الله بن إسماعيل الله وليه ومولاه إلى عظيم الفرانصيص لويز السادس
عشر من اسمه السلام على من اتبع الهدى أما بعد فاعلم أن بعضا من سفن الفرانصيص [illegible]
بإيالتنا المباركة في الصحراء وتفرق جميع من سلم من الغرق من النصارى في أيدي
العرب وحيث بلغنا ذلك وجهنا بعض خدامنا للصحراء [illegible] الجميع من في أيدي العرب من
النصارى الفرانصيص لنوجههم إليكم بعد الإنعام عليهم رعيا للمهادنة
والصلح الذي بيننا وبينكم ثم إن قونصوكم الذي بإيالتنا [illegible] وكتب لنا أن
توجه له النصارى [illegible] الذي [illegible] عليهم خديمنا المذكور [illegible]
[illegible] لو [illegible] على تقدير أن لو كنا معكم على الحرب [illegible]
ونحن معكم في الصلح والمهادنة ولأجل ذلك [illegible] لكم من حضرتنا العلية بالله
[illegible] يصلون [illegible] وجهنا لكم خديمنا [illegible]
[illegible] النصارى [illegible] الشديد معكم
ومع جميع [illegible] النصارى الذين بإيالتكم [illegible] على [illegible] وهو
أن كل [illegible] من النصارى أيا كانوا [illegible] مسلم [illegible] لم يكن
عنده هم مسلمون [illegible] ريال [illegible] وكذلك إذا كان المسلمون أسارى عند النصارى
[illegible]
[illegible]
النصارى [illegible] والشيخ [illegible] والمرأة [illegible]
ما وجد الشيخ [illegible] أو المرأة في [illegible] النصارى [illegible]
إن شاء الله [illegible] يكون [illegible] وإن تم ذلك
على الوجه المذكور [illegible] كتاب [illegible]
[illegible]
من [illegible] على الوجه المذكور [illegible]
إليكم [illegible] المذكور [illegible] بعد [illegible]
[illegible] معكم على المهادنة والصلح [illegible]
[illegible] عام أحد وتسعين ومائة و[illegible]

رسالة محمد الثالث إلى لويز السادس عشر

المسلمون أسارى عند النصارى... وسواء في ذلك الغني والفقير والقوي والضعيف... ولا يتعدّى الأسير في بلاد المسلمين ولا في بلاد النصارى عاماً واحداً... والشيخ الهرم الذي بلغ السبعين والمرأة كيفما كانت، لا أسر فيهما... يسرحان في الحين من غير فداء...

☆ ☆ ☆

وقد ازدادت حدة التوتر بين القصر وبين القنصل دوشيني (de Chénier) الذي غضب من شكاية العاهل به إلى لويز السادس عشر، وهنا أخذ القنصل المذكور في الدس بين البلدين - على ما قيل - لدرجة أنه عمل على تفشيل سفارةٍ بعث بها السلطان سيدي محمد إلى لويز سنة 1195 = 1781 حيث نرى البحرية الفرنسية في مرسيليا تتلقى الأوامر من ملك فرنسا بأنها غير مستعدة لاستقبال السفارة المغربية، وقد رجع السفير المغربي الرئيس على بيريس Péres وهو يحمل رسالة كاتب الدولة في البحرية المتضمنة لهذا الجواب...

وقد بعث العاهل المغربي برسالة صارخةٍ إلى ملك فرنسا حول دوشينيي مؤكداً أنه غير صالح لأن يكون واسطة بين الدول الأمر الذي أدى إلى نقل القنصل المذكور...

☆ ☆ ☆

الأميرة الضاوية بين المغرب وكورسيكا

لقد وجدت أسرة فرانسيشيني (Franceschini) الكورسكية نفسها في عداد الأسرى الذين يتعهدون الحقول الملكية بمراكش !

ولقد خطر ببال رئيسها جاك أن يكتب رسالةً إلى العاهل سيدي محمد بن عبد الله يشكو فيها حاله... وهنا بعث الملك يستوضح واقتنع بتخلية طريق جاك...

وعندما تقدم هذا للوداع صحبة زوجته وبنته وولده... أعرب السلطان في نهاية المقابلة عن اقتراحه في إبقاء الطفلة مارث لديه، ولم يسع الوالد أمام هذا التكريم إلا أن يقنع زوجته بقبول العرض الملكي... وودعوا المغرب بعد أن أثقلهم السلطان بالتحف والهدايا...

وقد كان من المفروض أن يقف تاريخ الأسرة عند هذا الحد لولا الحدث الذي وقع سنة 1201 = 1787 ! فقد وردت على جزيرة كورسيكا سفيـ ـة ترفرف على صاريها الراية المغربية، إنها تحمل بعثة مغربية وجهها السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الجزيرة للاطمئنان على أسرة مارث !!

وقد تملك الوالدة سرورٌ عظيم وهي تتوصل من البعثة برسالة من بنتها مارث التي أصبحت أميرة تحمل اسم «الضاوية»، وبعد شهور كانت الأُم في بلاط مراكش بعد استئذان ملك فرنسا لويس السادس عشر، حيث جرى المشهد المثير[29].

☆ ☆ ☆

ويتوفى السلطان سيدي محمد بن عبد الله فيجلس ابنه المولى اليزيد على العرش ويكتب إلى لويز السادس عشر بتاريخ 12 رمضان 1204 = 26 مايه 1790 يخبره بوفاة والده واعتلائه منصب الحكم وان القنصل الفرنسي دوروشي (Dûrocher) ورد عليه بمكناس وتلاقى معه وأن الأمير اليزيد ينتظر مقدم سفيرٍ فرنسي يقول له : «ما في خاطره»...

ويختفي المولى اليزيد ليتولى الحكم يوم 17 رجب 1206 = 12 مارس 1792 أخوه السلطان المولى سليمان الذي كتب رسالة بتاريخ 22 ربيع الأول 1213 = 3 شتنبر 1798 إلى المجلس التنفيذي الفرنسي (Le Directoire) في شأن الاعتداء الذي تكرر من طرف القراصلة الفرنسيين على بعض المراكب المغربية. وفي الرسالة يعتمد سفيره الفقيه الحاج عبد الرحمن ابن زاكور وبمعيته الحاج محمد بن صالح من تجار آسفي[30] ومن ضحايا القراصلة الفرنسيين !

---

29) EULOGE BOISSONADE DAVIA : Revue Lectures Pour Tous Paris, N° 192 – Janvier 1974.
تعريب عبد الهادي التازي : مجلة اللقاء المغربي في حلقتين عدد أبريل / مارس 1970 ـ المجلد الأول من التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 203/202. حبيب جاماتي : تحت سماء المغرب 1964 ص 121.

30) يحمل الفرنسي المعتدي اسم لوباريت (Le Baret) هذا ونتساءل هل ما إذا كانت هناك علاقة بين ابن صالح هنا وبين الشيخ أبي محمد صالح (تـ 131) ؟
Manon Hosotte – Reynaud : Quatre Documents inédits Touchaut les Relation entre la France et la Maroc 1794-1810 Hesp. Tamauda 1960 p. 549.



22 ربيع الأول 1213 (3 شتنبر 1798)
رسالة من السلطان المولى سليمان إلى المجلس التنفيذي الفرنسي في شأن الاعتداء الذي تكرر من طرف القراصلة الفرنسيين على بعض المراكب المغربية... وفي الرسالة يعتمد سفيره الفقيه ابن زاكور وبميعته الجاج ابن صالح من تجار أسفي (Hesp TAM 1960 P. 549).

وبالرغم من أننا لا نعرف شيئاً عن مقام المبعوثين إلى فرنسا لكن المحقق أن السفارة نجحت، وأن الأمر صدر إلى المعتدين - بعد الوصول إلى اتفاق ثنائي بين البلدين - برفع اليد عن البضائع المغربية بل إن هذه البادرة من مولاي سليمان جعلت فرنسا تعوض مغاربة آخرين تعرضوا لمثل تلك الاعتداءات...

مولاي سلامة ونابوليون !

تحدث التاريخ المغربي قليلاً عن الأمير مولاي سلامة الذي كان في جملة الأمراء الإخوة الذين تنافسوا على الحكم في أعقاب وفاة والدهم : السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وقد عثرنا على بعض الوثائق التي تتصل بعلاقاته مع ملوك أروبا، وكان من هذه سفارته برئاسة القائد العباس إلى «الري ولد كارلوص» التي تتحدث عنها رسالته بتاريخ 17 رجب 1206 = 11 مارس 1792 وسفارته إلى الدونا مارية ملكة البرتغال...

وفي حديثه عن تاريخ حمودة باشا عام 1226 = 1811 ذكر ابن أبي الضياف : إتحاف أهل الزمان (ج 3 ص 51) قدوم السلطان السابق للمغرب مولاي سلامة الذي أفاد عنه : أنه بويع بعد وفاة أخيه مولاي اليزيد ثم خلعه أهل فاس وقدموا للسلطنة أخاه مولاي سليمان فخرج إثر خلعه وأقام مدة بمصر حيث اجتمع فيها بنابوليون الأول...

لقد كان مما سجله الأمير المغربي عن المقارنات بين الجيشين : أن اثقال أمير الجيش المصري توازي أثقال الجيش الفرنسي كله ! والحال أن بيت نابليون يحتوي على فراش منامه وموضع جلوسه وأمامه مائدة عليها دواة وقرطاس لجلوس من يأتيه لاغير !!

وسنسجل للتاريخ أنه نتيجة لتدخل القائم بالأعمال الفرنسي وجه السلطان مولاي سليمان يوم 15 ربيع النبوي 1222 = (23 مايه 1807) إلى نابليون الأول يخبره بأن القنصل أورنانو (Ornano) أنهى إليه ما حدث من الوقائع والحروب مع أعدائه من أجناس النصارى إلى أن أظفره - الله على خصومه، وعليه فإننا - يقول العاهل المغربي - وجهنا إليكم بقصد التهنئة سفيرنا الحاج ادريس الرامي مع بعض الهدايا للذكرى لأن أسباب الهدية تكون - فيما ينشأ عنها من المحبة والتواصل على حدّ تعبير الرسالة السليمانية.

وقد خطب الحاج ادريس بين يدي نابليون يوم الاستقبال : الأحد 6 شتنبر 1807 في قصر كلود...



بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله

من عبد الله سبحانه أمير المؤمنين المعتصم بحبل الله المتين سليمان ابن محمد ابن عبد الله ابن إسماعيل [illegible]

[illegible]



إلى السلطان الشهير العظيم الكريم الأثير الملك نابليون الأول [illegible]

[illegible]

وكتبه [illegible] منتصف ربيع النبوي عام 1222

(23. Mai 1807.)

استقبل 6 شتنبر 1807

15 ربيع النبوي 1222 ـ 23 مايه 1807

من السلطان مولاي سليمان إلى الملك نابليون الأول أمبراطور فرنسا: قنصلكم أرنان (Arnano)... انهى إلينا ماصدر لكم من الوقائع والحروب مع عدوكم من أجناس النصارى إلى أن أعقبكم الظفر بهم... وعليه وجهنا خديمنا وسفيرنا الحاج ادريس الرامي مهنئاً. ونحن معكم على الصحبة، مع هدية ذكرى فقط لأن أسباب الهدية فيما ينشأ عنها من المحبة والتواصل.

وبوفاة السلطان المولى سليمان جلس على العرش المغربي وبوصية [31] من ابن أخيه السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام الذي نراه يدشن علاقته مع فرنسا بإقرار الاتفاقية التي أبرمها جده سيدي محمد بن عبد الله مع فرنسا سنة 1180 = 1767، وكان هذا الإقرار بتاريخ 1239 = 1823.

☆ ☆ ☆



أقر السلطان المولى عبد الرحمان المعاهدة المغربية الفرنسية التي أبرمت في عهد جده محمد الثالث بتاريخ 29 ذي الحجة 1180 = 28 مايه 1767، عن الإتحاف 5ر158.

---

31) كان الذي كشف عن وصية السلطان مولاي سليمان هو الحاج الطالب بن محمد بن جلون، أبو العلاء : الابتسام عن دولة ابن هشام، مخطوط، تقديم عبد الهادي التازي، مجلة (المناهل) المغربية 1987 ـ المخطوط صفحة 76 ـ 77.

العلاقات المغربية الإسبانية
في صدر الدولة العلوية

- □ مشكلة الثغور المغربية المحتلة... تحرير العرائش.
- □ السفارات المتبادلة بين المغرب واسبانيا...
- □ تصميم المغاربة على استرجاع سبتة...
- □ الملك محمد الثالث يواصل العمل من أجل تحرير الثغور.
- □ الاتفاقيات المغربية الإسبانية.
- □ الملف المفتوح دائماً : الثغور المحتلة...
- □ حضور السفير ابن عثمان في الملفّ المغربي الإسباني.
- □ السلطان مولاي سليمان واسبانيا أيام نابوليون.
- □ محاولة مولاي سليمان استرجاع سبتة...
- □ الشركة الإسبانية المغربية بفضالة.

العلاقات المغربية الإسبانية
على عهد العلويين...
القسم الأوّل

مهما كان شعور الدولة العلوية بالثمار التي يمكن أن تقطفها من حفاظها على سياسة حسن الجوار بينها وبين الذين يوجدون على مرمى حجرةٍ منها، فإن هذا الشعور كان يتلاشى في أكثر الأّحيان أمام رؤية الجيران وهم يجثمون على قطعٍ صميمة من ترابها الوطني ! وبالرغم من أن المغرب كان يلجأ في بعض الظروف لاستعمال القوة من أجل استرجاع ثغوره فإنه كان في كثير من المناسبات يميل، لسبب أو آخر، لاستخدام الوسائل الدبلوماسية المتمثلةِ في تبادل السفارات ومواصلة الحوار...

هناك ما تزال المعمورة والعرائش وأصيلا وسبتة ومليلية والجزر المتوسطية تحت سيطرة الإسبان...

وهكذا نجد المولى اسماعيل يفتح المعمورة يوم 11 ربيع الثاني 1092 = 30 أبريل 1681 حيث أخذت من الآن اسم «المهدية»...

وبعد أن يحرر طنجة من يد الإنجليز 1095 = 1684 يتجه نحو العرائش ليزيح عن المغاربة عاراً ظلوا بسببه يحتذون النّعال السود حتى لاينسوا !![1]

وبمقدار ما تعاظم الإسبان عن قبول عرض السلطان مولاي اسماعيل بالجلاء، بمقدار ما زاد تصميم العاهل على استخلاص المدينة معتمداً في ذلك على قوة إيمانه وعظمة جيشه، وقد تحدث اليفراني في النزهة عن المعاناة التي تحملها المجاهدون المغاربة من أجل إزاحة هذا الكابوس عنهم، وقد وصف

(1 Tomas Garcia Figuera, Carlos Rodriguez Joulia Saint-cyr, Larache, Madrid, p. 411-412.

حفرهم الخندق من تحت الجدار الموالي للمرسى وشحنه بالمتفجرات وإشعالهم النار وتفرُّجهم على انهيار الأسوار حيث اقتحموا المدينة ليلتحموا مع المحتلين في معركةٍ تاريخية رائعة... وقد لاذ الجند الإسباني بالحصن الذي كان يقذف شواظاً من نار غير أن الاعتصام به لم يفد ! فقد تسلّق المغاربة عليهم الأسوار بالرغم مما كان ينالهم من جحيم، وخامر الجزع والفزع قلوب المحتلين فرفعوا راية الاستسلام يوم 27 شوال 1100 = 24 غشت 1689 وسيق زهاء ألفى أسير نحو العاصمة مكناس، وغنم سائر ما في الحصن من معدات.



أحد المدافع التي تركها الإسبان في العرائش

لقد كان نصراً لا يقل عن نصر أحمد المنصور السعدي في وقعة وادي المخازن...

ولقد عمت الفرحة سائر جهات المغرب، ومن هنا استبدل الناس لباس النعال السود بالنعال الصفراء الزاهية الألوان، ونظراً لأهمية الحدث فقد طير الخبر به إلى أقاصي البلاد وبخاصة تُنْبُكْتُ على ما قلنا[2] وكذا مع ركب الحاج المغربي الذي راح في سنة 1101 = 1689[3] ليشارك المشرقَ بلاد المغرب في مباهجه وأفراحه وذلك حسبما تفيدنا به مخطوطة (نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس) التي تتحدث عن الأنفاط المغربية التي نسفت الحصن...[4]

وتعبيراً عن الفرحة الكبرى من طرف رجال الفكر والشعر فقد تبارى الأدباء في نظم غرر القصائد.

وفيهم من اغتنم هذه الفرصة ليستحث السلطان المولى إسماعيل على التقدم نحو سبتة ونحو وهران كذلك لافتكاكهما من يد المستعمرين الإسبان...!

سفارات متبادلة...

لقد استدعى أسر العشرات بل المئات من عيون الضباط الإسبان، تحرك الدبلوماسية الإسبانية لدى العاهل المغربي من أجل تحرير ما يمكن تحريره !

وهكذا بعث دون كارلوس الثاني بالفرايلي خوان Fraile Jnan الذي كان يحمل رسالة إلى السلطان المولى إسماعيل الأمر الذي أجاب عنه العاهل حالاً مكلفاً (الفرايلي) المذكور بنقل الخطاب...

---

2) الاستقصا 7، 73. يراجع فصل العلاقات المغربية مع بلاد السودان، وانظر المجلد الثاني من هذا التاريخ ص 187.

S.I.H.M. FRANCE S. 2 T 3. p 276

3) المخطوط بالخزانة الحسنية تحت رقم 8787، 2343، وبالخزانة العامة في المجموع رقم 418 /ك.

4) عبد الهادي التازي : أمير مغربي في ليبيا ص 37.

وقد تبع هذا الإتصال اتصالٌ آخر حيث بعث كارلوس بسفارة ثانية برئاسة دون مانييل فييرادي ليكو [5] (D. Manuel viera de Lugo) وعضوية الترجمان عبد المسيح (D. Abel Messé) حيث وصلوا للمغرب في شتنبر 1690 وكانت تهدف أيضاً لاستخلاص كبار الشخصيات العسكرية...

وهكذا أجاب السلطان المولى اسماعيل بالبعثة الدبلوماسية التي أرسلها برئاسة الوزير حمو[6] بن عبد الوهاب الغساني وعضوية عبد السلام بن أحمد جسوس، والتي حملت رسالة تاريخية من السلطان اسماعيل إلى الملك دون كارلوس تحمل تاريخ 16 ذي الحجة 1101 = 21 شتنبر 1690.

ونرى العاهل المغربي في هذه الرسالة التي يتحدث فيها من مركز القوة يقول للدون كارلوس بعد أن يشير للسفارات المتبادلة وبعد أن يعتمد الوزير الغساني وزميله لدى ملك اسبانيا : إن المائة من الأسرى الذين كنا أعطينا الوعد بتسريحهم قاموا بأعمال استفزازية الأمر الذي أثار احتجاج رجال الدين وعلماء الشريعة الذين يرون أن هؤلاء الأسرى أُخِذوا بالسيف ولذلك فلا وجه لإطلاق سراحهم بدون عوض..!

وحينما يتعرض المولى اسماعيل لدعوى اسبانيا أنها كانت في العرائش اعتماداً على تنازلٍ مكتوب يقول أيضاً : إن وجودكم السابق في العرائش كان مبنياً على غير أساس وأن تنازل محمد الشيخ كان نتيجة ضغط ولذلك فهو تنازل غير مشروع !![7]

وقد كانت هذه فرصة ليعيد السلطان المولى اسماعيل إلى ذاكرة كارلوس أن رجال الدين في المغرب ما انفكوا يتذكرون غدر قشتالة بأهل غرناطة الذين يتجاوز عددهم الأربعين ألفاً بعدما وقعوا على ستين شرطاً لم يُوفّ لهم ولو بواحد منها..!!

---

5) S.I.H.M. FRANCE T 3. p 355

Larache. p 312

6) حمّو كثيراً ما تعني في الاصطلاح العامي المغربي اختصار اسم محمد أو أحمد على نحو ما نسمعه في عسّو عن عبد السلام ورحّو عن عبد الرحمن وعبّو عن عبد الله والحوس عن الحسين وبلقاس عن أبي القاسم... الخ

7) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 222 ـ محاضرة بعنوان : عظمة الميثاق، رمضان 1406.

إن ملك المغرب يشترط لافتداء المائة ضابط : أن يسلم للمغرب في مقابلة خمسين منهم خمسة آلاف مخطوط : مائة عن كل واحد، وكان المولى اسماعيل يقصد بالدرجة الأُولى إلى تخليص مكتبة السلطان المولى زيدان التي استولى عليها القراصلة الإسبان في عهد فيليب الثالث سنة 1612 وأصبحت في دير الإسكوريال على ما نعرف.

أما الخمسون أسيراً الآخرون فهو يطلب مبادلتهم بأسرى مسلمين ولكن ليس على أساس رأسٍ برأس بل عشرة مسلمين بأسيرٍ اسباني !

ويلح السلطان مولاي اسماعيل على وصف (مسلمين)، وليس وصف (مغاربة) لأنه يعتبر المسلمين أينما كانوا أُمة واحدة : «من إيالتنا وغيرها، كيفما كانوا ومن أي بلاد كانوا...».

وتختم الرسالة الإسماعيلية بوضع كارلوص أمام اختياراته : إذا نحن أبصرنا منكم المسارعة لأغراضنا والجد في ابتغاء مرضاتنا فلا ترون إلا ما يعجبكم [8]

ومن الطريف أن نجد الوزير حمّو يدون بعض يوميات سفارته في كتابه الذي يحمل اسم «رحلة الوزير في افتكاك الأسير»[9] وقد رفعها إلى السلطان المولى اسماعيل فور عودته وهي تتضمّن علاوةً على ما يمس مهمته، أخبار أُروبا القلقة في ذلك العصر...[10]

---

8) Mariano Arribas Palau : De Nuevo Sobre La Em Bajada De AlGassãnï Al-Qantara – Madrid, 1985 P. 199.

9) يوجد عدد من مخطوطات هذه الرحلة سواء بالأندلس أو المغرب، وقد نشرها الأُستاذ ألفريد البستاني ضمن منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو إلا أنه أي البستاني تعمد تلخيص ثلاث صفحات تتعلق بمناظرة الغساني مع الرهبان في مدريد صفحة 94 الأمر الذي لا تسمح به الأمانة التاريخية... وكانت هذه السفارة محل اهتمام من مجموعة دوكاستري فرنسا ـ المغرب سلسلة ثانية، مجلد ثالث 355/349.

Figueras : Larache, Sain-CYR 1973 p 321.

Mariano Arribas Palau : Ambaj ADA... -Al-Qantara, T.6, 1985 p 199-289.

10) ردد الغساني أخبار الجرائد التي تتحدث عن تجمعات الترك وحملاتهم أيام السلطان سليمان ضد الأمبراطور الألماني الذي كان يسعى جاهداً لتأليب بولونيا والدول المتاخمة لتركيا لإضعاف شوكتها...

وقد وجد في استقبالـه منـذ إشرافـه على مـانـزانـاريس (Manzannares) مبعـوثين من لـدن الملـك كـارلـوص الثـاني وعلى رأسهم «النصراني الحلبي الترجمان الوارد من قبل طاغية اسبانيا سفيرا».[11]

ولقد ألقى عليه سؤال حول عادات المغرب في مثل هذه المقابلات لإطلاع العاهل الإسباني على ذلك لكونه لم يتقدم له ـ كما يقول الغساني ـ أن تلاقى مع أحدٍ من أهل ملّتنا أعزها الله ! وكان أن أخبرهم الغساني بأننا نقول : السلام على من اتبع الهدى ! ويذكر الدبلوماسي المغربي أن ملك اسبانيا تعجب من صيغة هذا السلام لأنه لم يعتدها ولكنه لم يسعه إلاّ قبولها !![12]

لقد رحّب بنا الملك ولم يقصر في الترحيب والإكرام وسأل عن سيدنا المنصور بالله سؤالاً كثيراً، وحين ذكره أزال شمريره (قبعته) من على رأسه إجلالاً وتكريماً[13] فقلنا له : بخير بحمد الله تعالى... وناولناه الكتاب السلطاني بعد تقبيله ووضعه على الرأس فتناوله بيده وقبله وجعله على الطبلة بعد أن رفع أيضاً ما على رأسه...[14]

وفي أثناء اشتغالهم بالبحث عن الأسرى وتجميعهم من سائر جهات اسبانيا كان على ملك اسبانيا لكي يحصل على (الألف) أن يصدرأمره لسائر الحكام لتجميع هذا العدد الضخم،[15] ومن الغريب أن نعثر على وثيقةٍ تدل على أن

---

11) ماروني من حلب الشام كان يرافق السفير المغربي في اسبانيا...

12) لا بدّ أن أشير هنا لردود الفعل التي كانت تخلقها هذه التحية سواء في البلاطات الأوربية... بل وكذلك لدى الرؤساء الأمريكان أيام الملك محمد الثالث !!

13) مجلة القنطرة 1985 Mariano Arribas Palau : AMB, Alghssani (Alqantara)

14) كأن الكاتب يصحح ما نسبته الرسالة الإسماعيلية لكارلوص من أنه حفيد الذين غدروا بمسلمي غرناطة... وقد كان كارلوص هذا فعلا آخر ملك مر الأسرة النمساوية...

15) لقد راجت حول (المخطوطات المطلوبة) عدة مناقشات بين مختلف المجالس الإسبانية المعنية وقد اعترضت الكنيسة بصفة جدّ قوية على المطلب المغربي باستعادة المخطوطات، وهكذا ادعى كارلوص أن بعضها تلف مع الزمن، وبعضها تعرض لحريق الأسكوريال سنة 1671 بل إن الأوامر صدرت إلى المشرفين على دير الأسكوريال بأن لا يجعلوا مرور السفير على مكان تكون له صلة بالمخطوطات الأمر الذي تكشف عنه المصادر الإسبانية المعاصرة.!!

بعض الأَسرى استوردوا من أماكن نائية عن الجزيرة، ومن المعلوم أن فيهم عدداً كبيراً من الجزائريين وطائفة مهمة من المسلمين الأتراك الذين استفادوا من المناسبة.

وفي أثناء تقديم السفير لبعض المشاهد التي رآها بمدريد يعرض لعادة التزلّج على المياه Skinautique ولعادة عيد الثيران كما يسمّيه... كما يعرض أثناء حديثه عن القصور لقصر البـاردو (EL BARDO) الذي زاره باقتراحٍ ملحّ من العاهل الاسباني الذي آثر السفير المغربي بهذه الالتفاتة التي لم يحظ بها سفير فرنسا ولا سفير ألمانيا ![16] كما تحدث عن نظام البريد ووظيفة الرقاص....[17] وعن الصحافة (الكاسيطة) في مدريد...! وعن نظام السفراء (الأنباشادورين) المقيمين الذي يعرفه الغساني لأول مرة، معطياً تفصيلاتٍ عن الدول التي وجدها ممثلة بالعاصمة والتي سحبت سفيرها (فرنسا) أو فصلته لمخالفته مذهب بلاده (انجلترا) وقد قدم حديثاً مفيداً عن الخلاف الناشب آنذاك بين الكاثوليك والبروتيستانت...

ويعود الوزير الغساني ليتحدث عن رغبتِه في العودة إلى وطنه والاستئذان بالسفر سيما وشهر رمضان على الأبواب... وهنا تنظم له مراسيم حفلات التوديع التي جرت هذه المرة في قصر أرانخويس (Aranjuez).

لقد استقبله ملك إسبانيا على العادة واقفاً وبمحضر أسرته وكبار رجال دولته، فسلّمنا عليه يقول الغساني سلامنا المعتاد : السلام على من اتبع الهدى، ووجدنا بيده رسالةً كتبها إلى السلطان المولى إسماعيل قائلا لنا : نوبوا عنا في السلام اللائق بالمقام الشريف ونحن نرجو الخير في الأسرى الذين عنده وكل ما يعرض لمقامه العالي عندنا نقضيه إجلالاً لمنصبه...

16) من الطريف أن نجد الغساني وقد أُخذ بنظام «أخوة المحبة»، يتمنّى فقط أن لو نطق أعضاؤها بلفظ الشهادة، على نحو ما نقل عن أحد رجالات الدّين عن الصين عند ما زارها : لقد قال عنها : إنها أُمة مسلمة ينقصها قول : لا إله إلا الله !!

17) يجمعه الغساني : رقاقيص : والقصد كما هو معلوم إلى موزعي البريد.

وهكذا ودعوا مدريد في اليوم الأول من رمضان عام 1102 ـ 29 ماي 1691 في اتجاه الديار المغربية، وقد إغتنم الغساني هذه الفرصة ليتحدث أيضاً عن المعالم التي شاهدها أثناء العودة وأعطى معلومات جدّ ثمينة عن مسجد طليطلة، ولكن بتر الرحلة من الآخر حال دون إطلاعنا على ما كان وعد به من إعطاء تفاصيل عن مسجد إشبيلية...

لقد نجحت السفارة على الأقل في الشروط التي فرضها المولى إسماعيل لتحرير المائة أسير من عيون الضباط والجند، وهكذا بذلت المساعي لإنجاح عملية تجميع الأسرى المغاربة على صعيد المملكة الإسبانية كلها : بما فيها جزيرة ميورقة، وكاطالونيا وبلنسية ومرسية، وكانت نقطة التجمع في أليكانت (Alicante)[18] وقرطاخنة (Cartagena) قبل أن ينتقلوا إلى (قادس)... وقد وصل الجميع إلى ساحل سبتة يوم 8 شتنبر على ظهر مركبتين من جنوة تحملان الأسرى المسلمين صحبة السفير حمّو.. وقد حضر القس دون مانييل فييرا لوكو (M. Viera de Lugo) الذي صحب بدوره المائة أسير إسباني والذي نراه يحرر رسالة من معسكر قبالة المدينة إلى الوزير محمد بن حدّ و (السفير المغربي بأنجلترا) بتاريخ شتنبر 1691 إثر عودة السفير المغربي ابن حمّو جواباً على رسالة ابن حدّو بتاريخ 7 من الشهر الجاري، وهو يقول : إن الألف أسير التي أحضرها لا تشمل الرضع من الأطفال الذي قدّموا كهدية من ملك إسبانيا إلى العاهل المغربي كما يقول : إن ملك إسبانيا أرجع الأسرى المغاربة مع سائر ما يملكون ! وكان القصد بهذا تمهيد الطريق للتفاوض في أمر المئات الباقية من الأسرى الإسبان الذين رفضت السلطات المغربية أن تجريهم على سنن الإتفاقية الأولى !![19]

---

18) تتعرض المصادر الإسبانية لتفاصيل مسهبة عن هذه المظاهرة الكبرى وعن المراسيم التي اتبعت في عملية التبادل التي جرت يوم 13 شتنبر 1691 مما لا يخلو من طرافة... هذا وان الوثائق المتعلقة بتجميع الأسرى محفوظة في أرشيف تاج أراغون...

19) S.I.H.M. FRANCE S. 2 T 3. p 395

استرجاع أصيلة...

والمفاوضات حول تحرير الأسرى جارية، والهدايا الاسبانية في طريقها إلى مكناس، يقوم المولى اسماعيل بمحاصرة أصيلا لتحريرها من قبضة الإسبان الذين تغلبوا عليها عند انهيار دولة السعديين...

وهكذا صدرت الأوامر بضرب الحصار الذي نال من معنوية الحامية الإسبانية التي تعلم الشيء الكثير عن مصير حامية العرائش بالأمس القريب !!

ولم يسع الحامية إلا أن تطلب الأمان... الأمر الذي استجاب إليه قادة الجيش المغربي...

بيد أن الرعب كان قد طغى من جهةٍ على سائر من بالمدينة، ومن جهة أخرى فإن اسبانيا وهي ما تزال تئن من جراحها في العرائش، وهي أيضاً تستعد لتجميع كلّ قواها بسبتة، أعطت الأوامر بإفراغ أصيلا ! وهكذا تهالك المحتلون في جنح الظلام على المراكب الموجودة بالمرسى ولاذوا بالفرار الى الشط الآخر وكان ذلك سنة 1102 = 1691، وهي السنة التي شاهدت فيه المدينة بناء المساجد والمدارس...

حصار سبتة...

وقد تجلى للإسبان أن السلطان المولى اسماعيل مصمم العزم على استرجاع الثغور التي ما تزال ترزح تحت نيرهم فقذفوا بكل قواهم ومعداتهم إلى سبتة ومليلية وجزيرة بادس، بل وشددوا من تحصيناتهم لوهران التي بلغتهم الأصداء عن حسرة المولى اسماعيل من عجز أتراك الجزائر عن تحريرها..!

واتجه العاهل المغربي بدوره نحو سبتة فأمر بحفر الخنادق وإقامة المتارس وإجلاب الجيش إليها من كل صوب وهنا يبتدئ الصراع الطويل المرير سواء في الميدان العسكري أو على الصعيد الدبلوماسي.[20]

لقد حاول كارلوص أن يحصل من السلطان المولى اسماعيل على عقد هدنة تجعله يتنفس قليلاً من متاعب التطويق الطويل المحكم الذي أخذ بمخانق المدينة لكن العاهل رفض على ما نقرأه في رسالته لكارلوص بتاريخ 17 ذي القعدة 1111 = 6 مايه 1700.[21]

وقد جدّ حادث في هذه الأثناء علق عليه المولى اسماعيل - في البداية - أملاً كبيراً من أجل التمكن من استرجاع سبتة، فقد احتلت بريطانيا جبل طارق يوم 2 ربيع الثاني عام 1116 = 4 غشت 1704 أثناء صراع الأمبراطور النمساوي ومعه حلفاؤه أنجلترا وهولاندا وإيطاليا والبرتغال، ضد ملك اسبانيا فيليب الخامس وضد جده لويز الرابع عشر ملك فرنسا...[22]

فلماذا لا يتوجه اسماعيل لمصانعة أنجلترا وطَلب مساعدتها وهو يعلم عن قوتها البحرية ؟

وهكذا نجد الوثائق تتحدث عن وجود سفارةٍ مغربية برئاسة أحمد بن أحمد قارديناس في لندرة حملت رسالة هامة إلى الديوان الإنجليزي وذلك في بداية عام 1118 = 1706...

20) حول حصار سبتة راجع أيضاً دوكاستري : فرنسا - المغرب سلس 2 مجلد 4 ص 429/361.
S.I.H.M. SERI 2 T 4. p 361
د. التازي : الثغور المغربية المحتلة بين المواجهة المسلحة والتدخل الدبلوماسي مجلة «البحث العلمي» العدد 24 محرم سنة 1395 = يناير 1975.

21) د. لطفي عبد البديع : وثيقة مراكشية بالاسبانية، مجلة معهد المخطوطات العربية جامعة الدول العربية، المجلد الثالث، الجزء الثاني، ربيع الثاني 1377 = نونبر 1957 صفحة 323،332.

22) لابد أن نشير إلى اتفاقية أوتريشت (Otrecht) التي وضعت حداً لحروب توارث الحكم والتي وقعتها عام 1713 اسبانيا وأنجلترا وفرنسا وهولاندا والتي تقضي بتملك أنجلترا لجبل طارق تملكا شرعياً Hassan II : le defi, p 88-87

«ومما يعبر عن العزم الصارم للمولى اسماعيل على استعادة المدينة قوله للبرلمان البريطاني إنه لا تحدوه الرغبة في طمعٍ مادي يستفيده من المدينة بل إنه يفضل أن يحطمها تحطيماً دون أن تبقى في يد المحتل على نحو ما قرأناه عن العاهل المريني أبي يعقوب يوسف بن يعقوب بن عبد الحق.(23)

ولقد أدى الموقف السلبي من أنجلترا إلى تجميد المملكة المغربية للاتفاقية التي عقدت بين الملكة آن وبين القائد علي بن عبد الله الريفي بل وإلى سحبها حسبما تفيده رسالة من الوزير عبد الله بن عائشة والقائد محمد معنينو حاكم سلا إلى كلٍّ من ابن لويز الرابع عشر (Le duphin) والوزير الفرنسي بونتشارطران (Pontcharain).

ولكن هل إن الجيوش المغربية كلها كانت متركّزة على أبواب سبتة ؟

لقد هبَّ السلطان المولى اسماعيل لإزعاج المحتلين لبادس عام 1090 = 1680 وعام 1098 = 1687 وعام 1135 = 1723 الأمر الذي دفع ببعض القادة الإسبان لتخطيط الفرار من الجزيرة لولا أنهم تنفسوا الصّعداء بوفاة المولى اسماعيل !!

وبعد أن كان العاهل أشرف بنفسه منذ أيامه الأُولى على محاصرة مليلية قصدت طائفة أخرى من الجند المدينة 1105 = 1694 ثم عام 1127 = 1715 حيث ما انفكت جائمةً على صدور المغيرين إلى أن جاءت الأَخبار بوفاة السلطان المولى اسماعيل سنة 1139 = 1727 !

وهل نسي العهد العلوي الأول أرخبيل نكور (المزمّة).

إن الإسبان ما لبثوا أنْ دفعوا بقوتهم في بداية دولة السلطان المولى اسماعيل عام 1082 = 1673 للاستقرار في الجزر الثلاثة بيد أن المقاومة المغربية

23) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مجلد 7 ص 125.

المستمرة منذ أن استتب الحكم لاسماعيل حرمت الإسبان فعلاً من الاستفادة من هذه النقطة الهامة التي توجد شمال المغرب...

☆ ☆ ☆

وبالرغم من بعض الاضطراب الذي عرفته البلاد بعد وفاة السلطان المولى اسماعيل فإن قضية تحرير الثغور كانت تأتي في رأس مشاغل الحكومة والشعب، وبهذا نفسر وجود السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل يلتزم بحصارتلك المواقع منذ أيامه الأُولى سنة 1141 = 1732 - إذ لم يكن هناك مواطن مغربي واحد يستسيغ أبداً رؤية هذه الثغور في يد غير مغربية..![24]

ومن المفيد أن نشير هنا للخلافات التي نشبت بين أبناء السلطان مولاي اسماعيل والتي لم تكن بعيدةً عن فشل المجاهدين في إحكام الحصار على المدينة.[25]

وقد رأينا ابن السلطان مولاي عبد الله وولي عهده يقرر - وبتفويض من والده - أن يفاتح بعض الدول الأُوربية في الحصول على المزيد من السلاح لمتابعة خطة جده السلطان المولى اسماعيل في مقارعة الوجود الإسباني بالثغور المغربية...

ومن هنا كان ميل الأمير لعقد اتفاقيةٍ مع الدانمارك سنة 1751، هذه الاتفاقية التي أثارت حفيظة اسبانيا فهددت بقطع علاقاتها مع الدانماركيين..[26] نظراً لما كانت عليه الحالة من توترٍ بين المغرب واسبانيا بسبب الثغور من جهة، وبسبب تعثر المفاوضات المتعلقة بتبادل ما تبقّى من الأَسرى من جهة أخرى.[27]

---

24) المجلة التاريخية أبريل 1981.

25) Chantal de la Verone : Sources Francaises de L'Histoire du Maroc, Revue D'Histoire Maghrebine N° 21-22 Avril 1981 Tunis p 122.

26) H. de Castries : le Danemark et le Maroc 1750-1767 Hesp. 1926 p. 327-49.

27) يحكي الأَسير السويدي (ماركوس بيرك) في مذكراته التي نشرها في سطوكولم سنة 1757 والتي ترجمت إلى الفرنسية 1974 أنه عندما اقتيد إلى فاس للمثول أمام السلطان المولى عبد الله وجد هناك عدداً كبيراً من الأَسرى الإسبان...

ويصبح الأمير سيدي محمد سيد البلاد بعد وفاة أبيه فتعرف الثغور المغتصبة تطورات جديدة.

وهكذا أصبح العاهل الجديد يخطط لمحاصرة سائر المواقع سواء منها التي توجد على البحر المتوسط أو على المحيط الأطلسي...

ومن هنا قصد العاهل شمال المغرب وزار نواحي سبتة ليقف بنفسه على ما يمكن عمله من أجل استرجاع المدينة، وكان ذلك خلال سنة 1172 = 1758 - 1759، وبالرغم من تقديره للقوات الإسبانية الكثيفة المحتشدة بضواحي المدينة وبالرغم من مناعة الموقع الذي يتحكم في مصيره البحرُ على ما هو معروف فقد أمر بإخراج الطاروق (المدفعية)[28] وكان هذا بمثابة إشعارٍ بموقف السلطان إزاء التسلط على أراضيه..!

وفي هذه الأثناء كانت هناك قضية أُخرى تشغل بال العاهل المغربي : تلك هي مشكلة الأسرى التي أقلقت دول أروبا ! فقد تجمع في المغرب عدد مهم من هؤلاء ممن كانوا يقعون في قبضة رؤساء البحرية المغربية... كما أن هناك عدداً آخر من المسلمين ممّن كانوا وقعوا في يد القراصلة الأروبيين...[29] على أن هناك أمراً ثانياً كان الملك يتوق إليه ذلك هو استرجاع المخطوطات العربية التي بقيت تحت أيدي الإسبان بعد إجلاء المسلمين عن تلك الديار، وهكذا قرر السلطان سيدي محمد إرسال سفارة إلى اسبانيا لمقابلة الملك كارلوص الثالث للاتفاق على توفير ظروفٍ أحسن للأسرى المسلمين الذين كانوا كاتبوا العاهل متوسلين متظلّمين...

---

28) د. التازي : الثغور المغربية المحتلة، مجلة البحث العلمي، يناير - يونيو 1976، ص 19.

29) نَشر الأستاذ ماريانوس أريباس بالاو بحثا بالاسبانية في مجلة «كناشات خزانة تطوان» عدد يونيو - دجنبر 1980، ع. 22/21 ص 315 328 بعنوان تحرير ثلاثة تطوانيين سنة 1767 كانوا أسرى بجزيرة يابسة وقد قدم لهذا الموضوع بالحديث عن سفارة أحمد الغزّال... وهؤلاء الأسرى هم : سعيد الشريف وأحمد البخاري وقاسم الريفي، وقد نقلوا إلى قرطاجنة ومنها اتجهوا صوب تطوان حيث رحلوا إلى مكناس لتقديم الشكر لسيد البلاد الذي هنّأهم بسلامتهم...



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

صورة لأول رسالة من ملك المغرب إلى ملك اسبانيا بتاريخ 22 شوال 1178 = 14 أبريل 1765 - عن مجلة القنطرة II.

ولقد وقع نبأ اعتزام السلطان على إرسال السفارة المغربية موقعاً عظيماً لدى كارلوص الذي كان يصيخ بأسماعه لتحركات العاهل الذي رشح بالفعل الكاتب أحمد بن المهدي الغزّال ليقوم بدون الوسيط...[30]

وبعد هذا ينتقل الغَزّال عبْر اسبانيا[31] إلى أن يترك مدريد في 10 ربيع الأوّل 1180 = 16 غشت 1766 ليتوجه إلى لاكَرانجا (La Granja) شمال العاصمة حيث قابل الملك هناك في مصيفه واتفق معه على أهم بنود المعاهدة قبل أن يعود إلى الوطن في 28 جمادى الأُولى 1180 هـ مصحوباً بالسفير الإسباني الدبلوماسي المحنك جورج خوان (J. Juan) حيث تمت مقابلة العاهل المغربي في اليوم الثاني من الوصول، وألقى خوان خطاباً أجاب العاهل عنه بالترحيب والشكر على تحرير الأسرى وإرجاع بعض المخطوطات الإسلامية مذكراً بأن هذه المبادرة فيها كفاية عن كل الهدايا مختتما حديثه بهذه الكلمة الدالة : «وإن كان لعظيمكم غرض في شيء وهو جائز في ديننا فإننا نقضيه». وأخذ جوان في المحادثات مع السفير الغزّال فكانت الاتفاقية وكانت رسالة السلطان محمد الثالث إلى كارلوص بتاريخ أول محرم 1181 = 28 مايه 1767 على ما نتناوله في «ملاحق» الكتاب...

فهل نسي العاهل المغربي ملف الثغور المحتلة ؟

إننا نجد الجواب الواضح في القرار الذي اتخذه ملك المغرب بمحاصرة مدينة مليلية والمواقع المجاورة...

لقد ذكر المؤرخ الفرنسي (كايّي) أن العاهل المغربي ـ وقد أعجزه حصار تلك المعاقل عمد إلى إخفاء فشله فيما ادعاه من أنه لم يكن على علم مما كان

30) يوجد قبر أحمد الغزّال (تـ 1191) في ليكسوس (العرائش) انظر كتاب : مدينة ليكسوس الأثرية، لأحمد المكناسي، تطوان 1961، وتذكر مخطوطة الروضة السليمانية للزّياني وكتابُ الاستقصا كذلك (8، 23 ـ 24) أن الغزّال إنما كان ملحقاً في البداية بالبعثة وأنه لم يلبث أن سمى على رأسها...

31) سجل الغزّال رحلته هذه في كتاب (نتيجة الاجتهاد) وذلك امتثالاً لأمر العاهل له بتقييد ما يلقاه في رحلته... الإتحاف 3، 309.

حرره كـاتبـه الغزّال من أن الهـدنـة تشمـل البحر والبرّ على مـا تقـولـه المصـادر المغربية...

والحقيقة أن الأمر يتجاوز هذا وذاك... ويدل على ذلك أن السلطـان سيـدي محمد قرر الكتابة رسمياً إلى ملك اسبانيا وكأنه يفسخ مـا كـان أبرمـه سفيره مع خوان..!!

لقد ورد في كتـاب هوست الدّانمـاركي حول تـاريخ الأمبراطور محمـد بن عبـد اللـه نص الرسـالـة التي بعث بهـا ملـك المغرب إلى ملـك اسبـانيـا بتـاريـخ 15 رجب 1188 = 19 شتنبر 1774 والتي ورد فيها على الخصوص ما يلي :

«إن رعـايـانـا، وبـاتفـاق مع أتراك الجزائر، لا يقبلون بـوجـه ولا حـال أن يروا الإسبان على السّواحل المغربيـة من سبتـة إلى وهران... وهم يريـدون استرجـاع أراضيهم، ومن الصعب علينا أن نقف ضد رغبات رعايانا، ولهذا فقد أخـذنـا بعين الاعتبـار رجـاءهم وسنقـاتـل ضـد المعسكرات الإسبـانيـة حتى يحكم اللــه بيننا...»(32)

وقـد بعث العـاهـل المغربي عـلاوةً على هـذا برسـالـة إلى كـارلـوص الثـالث بتـاريخ 17 رمضـان 1188 = 21 نونبر 774 = يعلن فيهـا أنـه قرر الالتجـاء إلى السلاح للدفاع عن البلاد وأنه سيقوم بالجهاد ليس من أجل الحصول على مكاسب دنيوية ولكن أداء لما يفرضه الواجب !

وفي أعقاب هذا النداء أعد العاهل جيشاً جديداً من المتطوعة بقصد محاصرة مليلية، وفي هذه المرة حضر معه الأميران : مولاي علي ومولاي المأمون إضافـة إلى الأمير العـالم مولاي عبـد السلام وقـد عهـد إلى ابنيـه الأميرين المـذكـورين بحصار جزر نكور (المزمة) وجزيرتي بادس...

وقـد بـدأت الأعمـال الحربيـة يوم 5 شـوال 1188 = 9 دجنبر 1774 واستمرت ثـلاثـة أشهر على مـا يـذكره المـؤرخ الربـاطي الضّعيف وتـؤيـده كتب الفتـاوي

(32 G. Host : L'Histoire de L'empreur du Maroc.
Mohamed ben Abdellah, 791 traduc, Par U. K. Dambaard et J.J. Guignard p. 72-74 1986.

والنوازل حيث «ضايق حاميتَها وهدم دورها» على حدّ تعبير مولاي عبد السلام...

لكن العاهل أصدر أمره يوم 16 محرم 1189 = 19 مارس 1775 بالإقلاع عن تطويق المدن الثلاث المذكورة مليلية ـ النكور ـ بادس ولحق به ولداه تاركين بدورهما نكُّور وبادس...

فكيف حصل فكّ الحصار بغتة ؟

إن هناك ظروفاً أخرى جدّ خطيرة كانت وراء اقتناع السلطان سيدي محمد ابن عبد الله بقبول فك الحصار المضروب على الثغور الشمالية وبخاصة مليلية، تلك أنه علاوة على نجاح إسبانيا في منع وصول المواد الحربية التي كان المغرب اقتناها من إنجلترا، نجد داي الجزائر محمد عصمان باشا ومعه أتراك الجزائر يخذلون السلطان محمد بن عبد الله بعد أن كانوا اتفقوا معه بالأمس على مساندته في تصفية الإحتلال الإسباني من سبتة إلى وهران !

وهكذا سلطوا نقمتهم على المسلمين الذين حضروا مع السلطان سيدي محمد في هذا الحصار. «لقد أباحوا دماءهم وروعوا أولياءهم وطوفوهم..» على حدّ تعبير نص الإستفتاء السلطاني للشيخ التاودي ابن سودة والشيخ بنّاني والحافظ العراقي...[33]

ومن المفيد أن أذكر هنا أن الدبلوماسي الدانماركي هوست أشار في كتابه عن الملك محمد بن عبد الله إلى استفتاء العلماء حول هذه الفضيحة في الرسالة التي تحمل تاريخ خامس محرم 1189 = 8-3-1775[34].

لقد عرفت العلاقات، بعد التشنجات الماضية ـ ظروفاً أقرب إلى التفاهم والتغاضي منها إلى المتابعة والتعقب، وهكذا نتوفر على عدد من الوثائق والمراسلات تعكس جوّ التفاهم الذي أخذ يسود الصلات بين البلدين...

---

33) مجلة البحث العلمي العدد 25، يناير ـ يونيه 1976.
التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1، ص 137 ـ 139.

34) Marlano Arribas Palau : Cartas Arabes de Mawlay Muhammad B. Abdallah Hesp 1961 p 327

فنحن أمام رسالة عقد فريد من نوعه أبرم بين المغرب واسبانيا بتاريخ 7 شعبان 1191 = 10 شتنبر 1777 وهو يحتوي على خمسة فصول، نص الفصل الرابع فيها على تحريم الأسر بالنسبة للشيخ الذي تجاوز سبعين سنة والمرأة مطلقا كيفما كانت كبيرة وصغيرة... كما نص الفصل الخامس على أن المراكب التي تحمل القوت إلى قوم جائعين لايتعرض لها أحد من المسلمين ولا من النصارى لأن ذلك يهدد حياة طائفة من المخلوقات والنبي ﷺ يقول : في كل ذي كبد حراء أجر...

وبعد هذا تأتي السفارة الهامة التي بعث بها سيدي محمد بن عبد الله إلى ملك اسبانيا كارلوص والتي كان على رأسها الكاتب السيد محمد بن عثمان وقد ابتدأت من شوال 1193 = اكتوبر 1779 وانتهت في شهر المحرم 1194 = يناير 1780.

لقد كتب السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 20 شوال 1193 = 31 اكتوبر 1779 إلى كارلوص حول أنّ توجيه هذا السفير كان لغرض تفقد أحوال الأسرى المسلمين «وإن لم يكونوا من إيالتنا لأن كلمة الإسلام تجمعنا» على حدّ قول الرسالة التي تُضيف : «وقد وجهنا لك معه عشرة آلاف مثقال صدقة عليهم سواء كانوا في إيالتك أو في غيرها مثل رومة وجنوة وليفورنه ومرسيليه، وبعثنا لك بستة من النصارى المالطيين تذكرةً ومحبة...

وقد طلب العاهل إلى محمد بن عثمان أن يقوم بتقييد أيامه في اسبانيا، فكان كتابه الجميل القيّم «الأكسير في فكاك الأسير» الذي قدم فيه معلومات ضافية عن مشاهداته في اسبانيا...[35]

وقد أسفرت المفاوضات عن عقد الاتفاقية المغربية الإسبانية بتاريخ 26 جمادى الأولى 1194 = 30 مايه 1780.

وفي إطار تحسين العلاقات المغربية الإسبانية نجد العاهل المغربي يساند سياسة الباب العالي الذي عقد الصلح مع اسبانيا وطلب إلى داي الجزائر محمد

35) نشرت رحلة ابن عثمان بتحقيق وتعليق الأستاذ محمد الفاسي ضمن منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي عام 1965، Caille, Accords... p 233

عصمان أن يسالم اسبانيا، حيث وجدنا أن المغرب يقوم بمساعيه الحميدة ثم وجدناه يقوم بضغطه على أتراك الجزائر حتى يطيعوا رؤساءهم... وكان هذا بتاريخ 4 ذي القعدة 1199 = 8 شتنبر 1785[36] على ما أسلفناه في العلاقات المغربية العثمانية...

وقد راحت بعثة إلى مدريد في عام 1201 = 1787 بهدف ضرب نماذج للعملة المغربية حيث نجد ملك المغرب يطلب منها ضرب السكة بمدريد مقترحاً أن يرسموا له طوابع أربعة أشكال من السكة...[37]

ومن الطريف أن نقف على رسالة تحمل تاريخ 5 صفر 1202 = 16 نونبر 1787 من السلطان سيدي محمد بن عبد الله ينصح إلى كارلوص أن يلزم الحياد في الحرب التي تدور رحاها بين أنجلترا وفرنسا.! «لقد طرق سمعنا أن الإنجليز والافرانصيص جعلوا الكَرة بينهما[38] وأنت نريدك أن لاتدخل معهم في تلك الكرة ولا تتكلم معهم في شأنها (الكَيرة) لأنك لا مصلحة لك في الدخول معهم فيها ولا الكلام في شأنها !!».

☆ ☆ ☆

وبمجرد وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 24 رجب 1204 = 9 أبريل 1790 بويع ابنه المولى اليزيد ولما وصل المولى اليزيد إلى طنجة يوم 25 أبريل اقتبل في اليوم الموالي المندوبين الأُروبيين فعبَّر لهم عن رغبته في متابعة سياسة والده إزاء الدول، وفي اليوم 28 أبريل قابل السلطان أنطونيو كونثاليت سالمون (A.C. Salmón) مقابلةً أُخرى عبَّر فيها مولاي اليزيد عن نيته في

---

36) د. التازي : فكرة المغرب العربي من خلال الوثائق الدبلوماسية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد 301 ـ 14 تشرين الأول 1983 د. يحيى بوعزيز (جامعة وهران) مفاوضات الصلح بين الجزائر واسبانيا مجلة (الثقافة) الجزائرية، العدد 89 محرم 1406 = اكتوبر 1985.

37) عبد الهادي التازي : دور السكة بالمغرب، مجلة أكاديمية المملكة المغربية 1987 ابن زيدان : الإتحاف 3، 1031، ص 336/335/334.
مجلة المغرب الجديد، تطوان عدد 14 ربيع الثاني 15 جمادى الأُولى 1355.

38) هذا مما يدخل في إطار قيام المغرب بالمساعي الحميدة بين الدول وقد تحدثنا عن هذا الموضوع في المجلد الأول ص 163.

الاحتفاظ بالعلاقات الطيبة مع إسبانيا، وأبلغه أنه سيقوم بكتابة خطاب إلى كارلوص الرابع يخبره فيها بوفاة والده واعتلائه عرش المغرب ويطلب منه إيفاد سفيرٍ للتصديق على الأوفاق المتفق في شأنها مع والده...

وقد حدث هذه الأيام أن تجدد الصدام بين المغاربة المجاورين لمليلية وبين الإسبان الأمر الذي حمل أنطونيو كونشالِث سالمون نائب القنصل على التشكي للعاهل غير أنه لم يمر زمن قليل حتى علم في طنجة أن مولاي اليزيد قد شرع في جمع الأعتدة الحربية في تطوان لمداهمة سبتة !

وقد ازدادت العلاقات توتراً منذ هذا الوقت حيث نجد اليزيد يمضي في جمع العتاد الحربي في تطوان تمهيداً للغارة على سبتة.

وفي نفس الوقت قامت بارجة من الأسطول الإسباني ظلماً وعدواناً، بقرصلةِ مركبين مغربيين من القوارب الشراعية ذات المجاذيف وساقتهما إلى اسبانيا ! وكان المركبان في طريقهما إلى ناحية الجزائر وتونس لقضاء بعض الأغراض بعد أن أُخبرت القنصلية الإسبانية بطنجة كما هي العادة....

ولعل من المهم أن نعرف أن السلطان المولى يزيد - وهو يعرف غن تحصينات سبتة التي أمست برمتها قلعةً عسكرية - عمد إلى محاولة حلفٍ مع بريطانيا فأرسل سفيراً من قبله ذا رتبة عسكرية عالية إلى جبل طارق للحصول على شراء بعض الأسلحة...

وقد ورد مبعوث بريطانيا فعلاً على السلطان المولى اليزيد ذات يوم من أيام ربيع الأول 1905 نونبر عام 1790، كان ذلك المبعوث هو القنصل (ماطرا مانزا) (Matra Manza) الذي أنهى إلى علم اليزيد أن بريطانيا تأسف إذْ تخبره بأنه ليس في استطاعتها أن تستمر في تقديم العون المطلوب نظراً لتحسن علاقاتها بجارتها..!!

وهنا عزم المولى يزيد على قبول الاقتراح الذي عرضه عليه الملك كارلوص بإيفاد سفيرٍ إلى مدريد وعين لهذا المنصب السفير محمد بن عثمان وذلك حسب رسالة الاعتماد التي كانت تحمل تاريخ 4 ربيع الثاني 1205 = 11 دجنبر 1790 :


الحمد لله وحده

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله تعالى المستعين بالله القائم بطاعة مولاه المجاهد في سبيل الله محمد المهدي اليزيد الحسني أمير تارودانت
وما فوقها من الثغور والبلدان وأمير مراكش والرباط وتطوان وما بينهما من الثغور والبلدان وأمير مكناس
وفاس وتازة وغيرهما أصلحه الله تعالى بحسن لطفه وأمده بتوفيقه وهدايته وجعله من خواص أوليائه وعباده



إلى عظيم صبانية والهند الروي كارلوس الرابع السلام على من اتبع الهدى أما بعد فاعلم
أننا كتبنا للباشدور بنا السيد محمد بن عثمان يعقد معك الصلح والمهادنة وها كتابنا معلم بختمنا
وطابعنا الشريف يصله للباشدور المذكور الذي توجه لنا الخيف يأتي في الأمان هو ومن يرد معه
ويرجع لكم في الأمان ولا يرى منا إلا الخير بحول الله لأن ما تحقق عندنا من محبتكم في جانبنا كما
كانت مع والدنا رحمه الله وقد تبين لنا فيما قدم به الباشدور المذكور فيها أمور كانت غائبة
علينا من جملة محبتك فينا هي الإقامة التي وجهت لنا المراكب ثم توجهها لغيرنا وأخبرنا أنك
إنك تحب ولا تريد معنا إلا الصلح والمهادنة وعقد ذلك رفعنا الحرب عن أهل سبتة ورحلنا عنها
وكتبنا للباشدور بنا السيد محمد بن عثمان يمضي معكم الصلح والمهادنة والسلام في 5 من صفر الخير
عام 1206

رسالة الأمير مولاي اليزيد إلى العاهل الإسباني

وقد توجه ابن عثمان بالفعل إلى مدريد حيث استقبل من لدن العاهل الإسباني يوم 27 يناير 1791 إلا أنه لم يتمكن طوال سبعة شهور من الوصول إلى نتيجةٍ عملية فقد كان عليه أن يتقيد بالتعليمات الدقيقة التي زوده بها المولى يزيد والمتلخصةِ في استرجاع سبتة..!

وصدر الأمر من كارلوص الرابع بتاريخ 19 غشت[39] بإعلان الحرب على المولى اليزيد !!

وهكذا فعلى الساعة الثامنة والنصف ليلاً فتحت النار على القوات المغربية التي ظلت تحاصر المدينة بضراوةٍ اضطرت معها القوات الإسبانية إلى التراجع عن مساحة شاسعة من الأراضي التي كانت تحتلها على ما نلاحظه في المراسلات الرسمية...

ولكن المولى اليزيد سرعان ما اضطر للالتحاق بمراكش بسبب تزايد معارضة الأمير مولاي هشام أخيه للأب وهكذا جمّد ملف سبتة بعض الوقت..!

لقد بايعت قبائل الرحامنة وعبدة والحوز الأمير مولاي هشام الذي كان معززاً بمساندة أخيه الأمير المولى عبد السلام المعروف بعلمه وسمعته،وكان أيضاً معتمِداً على شخصية بارزةٍ، تلك شخصية القائد ادريس باشا سلا الذي استطاع أن يسقط أسفي في يد أنصار المولى هشام... وقد أتاحت فرصة حصول أنصار هشام على ميناء أسفي، للملك كارلوص الرابع أن يلبي في أوائل دجنبر 1791 = أوائل ربيع الثاني 1206 طلب القائد ادريس بإرسال المساعدة منذ بعض الوقت...[40]

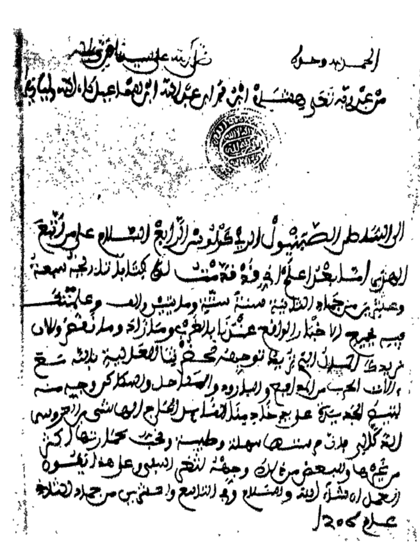
وقد بعث العاهل المولى هشام أيضاً في نفس التاريخ برسالةٍ إلى كارلوص يطلب قرضاً من إسبانيا...

---

39) علم ابن عثمان وهو في طريق عودته بحالة الحرب فعاد إلى مدريد بصفة شخصية ومع ذلك ظل يحاول رتق الرقع إلى أن بلغته الأخبار بوفاة اليزيد حيث نجده يبعث لاسبانيا بعد وصول أخبار بيعة مولاي سلامة بأنه قد أصبح مجرداً من كل تمثيل رسمي باسبانيا...

40) ماريانو أريباس بالاو : رسائل عربية حول المغرب في عهد مولاي اليزيد مجلة تطوان 3، 4، ص 141، 1958، طوماس غرسيا فيغيراس، (تموما) 1953 ص 46،25.

وبعد يومين من هذا الخطاب بعث السلطان المولى هشام برسالةٍ ثانية تحمل تاريخ 29 جمادى الثانية 1206 = 23 يبراير 1792 يطلب المولى هشام من كارلوس الرابع، بعد أن يشير إلى خطابه السابق يذكر علاقات الود التي كانت تربط كارلوص بوالده سيدي محمد بن عبد الله، وقد صدر الخطاب بهذه العبارة : من عبد ربه تعالى هشام بن محمد بن عبد الله بن اسماعيل كان الله له وكيلاً ونصيراً ثم الخاتم الملكي.



الحمد لله وحده
صلى الله على سيدنا محمد وآله
من عبد ربه تعالى هشام ابن محمد ابن عبد الله ابن اسماعيل كان الله له وليا
الى السلطان الاصبنيول الريي كرلوس الرابع السلام على من اتبع
الهدى اما بعد فاعلم انه وفد علينا كتابك [illegible]
[illegible] من جمادى الثانية سنة ستة ومائتين والف [illegible]
[illegible] جميع الاخبار الواقعة عندنا بالغرب وما زاد وما نقص ولان
[illegible]
الات الحرب من المدافع والبارود والمكاحل [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] والسلام [illegible] التاسع والعشرين من جمادى الثانية
عام 1206

رسالة السلطان مولاي هشام إلى كارلوس الرابع

وقبل أن يبعث السلطان المولى هشام إلى اسبانيا بسفيره الحاج محمد الدليمي في 10 شوال = 1 يونيه 1206 = 1792 للتفاوض حول أسس التعاون الاقتصادي بين البلدين نجد الأمير سلامة شقيق السلطان الراحل اليزيد يدعو لنفسه في منطقة الشمال التي كان ينوب فيها عن أخيه اليزيد ويعمل في الوقت ذاته على الاعتراف به من طرف الدول الأوروبية !

وحتى يتمكن من نيل ما طمح إليه أحدث تغييراً في السياسة الخارجية التي كان ينهجها اليزيد حيث نجده يصالح اسبانيا ويقوم بكتابة رسالة للوالي العسكري لمدينة سبتة حملها القائد العباس : «وقد أنعمنا عليكم بالفريشات توسقونه من غير صاكة تلزمكم عليه من يوم كتابنا هذا إلى أن يرد الجواب من عند الري كارلوص... وكانت الرسالة تحمل تاريخ 17 رجب 1206 = 11 مارس 1792.

وفي نفس التاريخ كتب القائد الطاهر فنيش عامل طنجة إلى نفس الوالي يقول : إن الأمير المولى سلامة عهد إليه بأن يكون واسطةً بينه وبين اسبانيا، وأن سيدنا معهم على الصلح والمهادنة على ما كنتم عليه مع أبيه قدس الله روحه، وإذا أردتم أن تبعثوا مراكبكم للسوق لأي مرسة من مراسي سيدنا الثلاث : تطوان وطنجة والعرائش... وإن كان لكم كلام على البر اعملوا عُلام الإمارة يأتي إليكم المسلمون أهل العسّة وادفعوا لهم ما يكون عندكم من البراوات... كذلك إن أتاكم كتاب من عندنا وعملنا الإماره... وإن أردتم أن تكون عند الحد الذي كنتم[41] عليه مع أبيه في قرب المدينة أعلمونا نوجه لكم من أصحابنا من يقف مع الشيخ محمد قنجاع...

وإذا ما عرفنا أن أهل مدينة فاس تمسكوا ببيعة أمير ثالث : المولى سليمان عرفنا إذاً السر في الموقف الذي اتخذته اسبانيا إزاء سفراء الأمراء المتنافسين...

---

41) يظهر من هذا أن معارك اليزيد أرغمت القوات الإسبانية على التراجع إلى خطوط لم تكن عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله، هذا ومعنى «الإمارة» هنا العلامة والإشارة وكلمة السرّ...

وقد انسحب المولى سلامة فعلاً من الميدان منذ الأيام الأُولى حيث ساعده أخوه المولى سليمان على التوجه إلى الشرق على ما أسلفنا...

ولم يلبث السلطان المولى هشام أن ألهمه الله إلى التنازل لأخيه السلطان المولى سليمان الذي أكبر في أخيه هذا الشعور الوطني وأمسى من خلصائه ومستشاريه...

ومن المعروف أن السلطان المولى سليمان دشن سياسته الخارجية بتعيين الدبلوماسي المعروف محمد ابن عثمان وزيراً مكلفاً بالاتصال بالسفراء الأجانب الذين كانوا يقيمون بطنجة كما يتضح ذلك من رسالةٍ للسلطان المولى سليمان موجهة لسفراء الدول بطنجة بتاريخ 16 ربيع الأول 1207 = 22 اكتوبر 1792، يعلمهم فيها بتعيينه في المنصب المذكور إلى جانب ولايته على تطوان، مقدما فيها ابن عثمان أحسن تقديم عرفته رسائل الاعتماد.

وقد سارع ابن عثمان بعد حلوله بتطوان واضطلاعه بمهام وزارة الشؤون الخارجية بالكتابة إلى صديقه الكُند أراندة (El Conde de Aranda) وزير ملك اسبانيا كارلوص الرابع لإخباره بالوظيفة الجديدة ولاستئناف المحادثات معه حول المصالح المشتركة بين الدولتين...[42]

وقد كان تعيين ابن عثمان فرصةً لطرح قضية العلاقات المغربية الاسبانية وبخاصة مسألة الحدود، وكما حصل أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله فقد تقدم كارلوص الرابع ملك اسبانيا والهند بمشروع اتفاقيةٍ اسبانية مغربية، وقد انتهت المفاوضات إلى اتفاقية مكناسة الزيتون الموقَّعة يوم 22 رمضان 1213 = 1 مارس 1799 من طرف الكاتب محمد بن عثمان عن الجانب المغربي وخوان سلمون عن الجانب الإسباني.

وقد احتوت على ثمانيةٍ وثلاثين فصلاً على ما نجده في مختلف المصادر.

---

42) Mariano Arribas Palau : Muhammad Ibn Utmān Hesp Tamouda 1961 p 133-127

لقد سار السلطان المولى سليمان على نهج والده في مصانعة اسبانيا ومجاملتها وهكذا نجده بعد وفاة وزيره في الخارجية السيد محمد بن عثمان (محرم 1214 = يوليه 1799) بالوباء، يأمر الوزير الجديد المكلف بأمور الأجناس السيد محمد بن عبد السلام بن علي السلاوي بالسير في نفس الخطة وهي الحقيقة التي تعبر عنها رسائل السلاوي إلى الوزير الإسباني دون بدر كيليوس، كان منها ما أرخ يوم 28 ربيع الثاني 1216 = 7 شتنبر 1801...

ولقد صادفت أيام المولى سليمان اكتساح نابليون لطائفة من الأراضي الاسبانية وإرسال البعثات السياسية من طرف نابليون لطلب مساعدة العاهل المغربي...



علي باي العباسي

وذكر المؤرخ البريطاني نيفيل باربر أن جوزيف بونابارت عرض على المولى سليمان إرجاع سبتة ومليلية للمغرب إذا ما اعترف السلطان به ملكا على اسبانيا وقطّع مساعدته لبريطانيا في جبل طارق... ولكن العاهل الذي كان يقدر الموقف تقديراً صحيحاً ودقيقاً سيما وقد توصل من استانبول برسالة عن وضع مصر بعد دخول نابليون إليها رفض أن يسير في ركب نابليون !

وخلال الحرب الإسبانية الفرنسية مكنت اسبانيا بريطانيا من سبتة عام 1225 = 1810 لكي تضمن الدفاع عنها، وقد رأت الحكومة المغربية أن الفرصة حانت أكثر من أي وقت مضى لاسترجاع المدينة، وهكذا ضاعفت من مساعدتها للحامية البريطانية وللأُسطول البريطاني في عرض البحر كما أنها زودت الجيش البريطاني المقيم في اسبانيا بما يحتاج إليه مجددة طلبها باستعادة المغرب لمدينة سبتة على ما نقرأه في الرسالة الصّارخة التي بعث بها الوزير السّلاوي في منتصف ربيع الثاني 1225 = 20 مايه 1810 للقنصل البريطاني...

بيد أن نداءنا لم يلق جواباً الأمر الذي أقلق السلطان المولى سليمان فعبّر بكلمته التي تعيد إلى الذاكرة قولة الشاعر الهولاندي : «لاثقةَ في أعدائنا ولا راحة في أصدقائنا !»

وقد حدث هذه الأثناء أن استولت بعض السفن الإسبانية على مركب يحمل راية المغرب وكان يركبه بعض الرعايا الفرنسيين، ولما كان هذا عملاً يتنافى مع الاتفاقيات الدولية الجاري بها العمل، فقد كتب وزير الخارجية المغربية محمد بن عبد السلام السلاوي بتاريخ 18 ربيع الثاني 1225 = 23 مايه 1810 يطالب برد المختطفين وأمتعتهم. أليس أنّ الراية تحمي البضاعة والإنسان..؟!(43)

ولعله من قبيل التأكيد للفكرة القائلة : إن السلطان المولى سليمان رفض وعد نابليون بإعادة سبتة ومليلية ـ أن نذكر هنا الرسالة الرقيقة التي وجهها السلطان المولى سليمان «سلطان فاس ومراكش ومكناس وسوس وتافلالت ودرعة وتوات وباقي الأقاليم المغربية» إلى فيرناندو السابع أفخم سلاطين الروم وأعظم

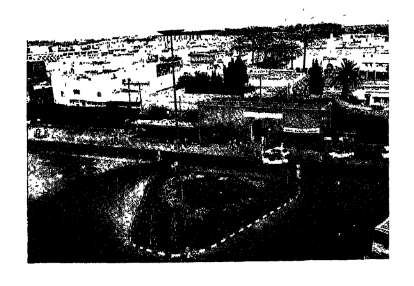
43) الاستقصا 4 ر 116 ـ 117، Pierre Grillon : Louis Chénier : 1970 T. 1 P. 222.

ملوك اسبانيا والهند وجزرها ويهنئه في الرسالة باسترجاع العرش ويقول على الخصوص :

أما بعد فقد بلغنا أن الله تعالى ردّ عليكم مملكتكم وأهلك عدوكم وقواكم عليهم... بعد أن كنتم في وثاقهم وأسرهم وأراحكم من تعب ذلك الغدار... «وهكذا - يقول مولاي سليمان - جرت عادة الله في المعجب بنفسه المتهاون بغيره... فهنيئاً لكم بالرجوع لأوطانكم والعود لكرسي مملكتكم وسلطانكم... أبقاكم الله في رعيتكم آمنين وقطع دابر الذين ظلموا...

حررت هذه من مراكش في 11 من ربيع الثاني 1229 = 10 أبريل 1814 وما يزال يحتفظ بصورتها الأصلية قسم الوثائق التاريخية الوطنية بمدريد....

وقبل أن نودع أيام المولى سليمان نشير إلى ماردده صاحب الاستقصا في شأن اتفاقٍ أَذِن العاهل بمقتضاه لإسبانيا بإنشاء شركة أُخرى بفضالة (المحمدية حالياً) موجوداً في عهد النّاصري[44] وهكذا تضاف هذه الشركة لنظيرتها في البيضاء وقد سلف ذكرها...



نصبة فضالة (المحمدية)

44) وفي أعقاب تنصيب السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام استجاب العاهل الجديد لمطلب اسباني بإقرار الاتفاقية التي أقرها عمه السلطان المولى سليمان عام 1213 = 1799 موافقاً في الوقت نفسه على اعتماد نائب اسبانيا الجديد في الظهير الذي أرخ يوم 26 جمادى الثانية 1240 = 15 يبراير.

العلاقات المغربية البرتغالية
في صدر الدولة العلوية

- □ استقبال السفارة البرتغالية في مراكش.
- □ قصر البديع من خلال تقرير السفير البرتغالي.
- □ السلطان مولاي عبد الله يواصل العمل لتحرير الثغور.
- □ الملك محمد الثالث بطل تحرير مدينة الجديدة...
- □ تدشين عهدٍ جديد مع مملكة البرتغال.
- □ الاتفاقية المغربية البرتغالية والسفارات المتبادلة.
- □ بعثة برتغالية بالمغرب لسكّ النقود.
- □ المغرب يقوم بمساعيه الحميدة بين البرتغال والجزائر.
- □ السلطان مولاي سليمان يربط صلته بالسلطانة مارية ملكة البرتغال .
- □ السلطان مولاي عبد الرحمن يواصل العلاقات مع البرتغال.

العلاقات المغربية البرتغالية على عهد الدولة العلوية

القسم الأول

لقد تحدّثت المصادر التاريخية[1] عن سفارةٍ برتغالية بالبلاط المغربي وبالذات في (قصر البديع) بمدينة مراكش وذلك أواخر جمادى الثانية 1088 = 1677.[2]

فلقد أبلغ السلطان المولى اسماعيل حاكمَ الجديدة على ذلك العهد كريستوف دي ألماضا (Ch. Almada) أنه يرغب في محادثةٍ حول أُمور تتعلّق بمدينة الجديدة وبخاصة مرساها مؤكداً أنه سيستقبل بكلّ ترحاب المبعوث الذي ترسله البرتغال إلى بلاطه، وبما أن الدعوة أصبحت ملحة فإن كريستوف ـ وقد خاف أن يكون وراء الدعوة شيء يبيّته العاهل للبرتغال بادر إلى الاستجابة...

وهكذا وضع قائد أزمور يوم 20 غشت 1677 تحت تصرف حاكم الجديدة سائر التسهيلات التي أمر بها العاهل المغربي، وكان السفير المعتمد لدى قصر البديع هو أنطونيو دوسليفا (Antonio de Silva) مصحوباً بحاكم المدينة ألماضا (Almada) وبعددٍ من الموظفين والمساعدين.

ولقد ترك لنا حكاية لسفره إلى مراكش في رسالة طويلة بعث بها إلى فيرنانديز (Fernandez). وقد جاء في هذه الوثيقة وصفٌ للقاء «الحار» الذي تم على الحدود من طرف قائد أزمور الذي كان هو المكلف بالقافلة...

---

1) ورد في مخطوطة «المنزع اللطيف....» للمؤرخ النقيب ابن زيدان المحفوظة بالخزانة العامة «قسم المخطوطات» ورد في صفحة 209 ـ 210 نقلاً عن مذكرات الأسير الفرنسي جيرمان مويت أن دولة البرتغال أرسلت سفيراً لتهنئة مولاي اسماعيل ومعه هدية فيها فرس عليه سرج مزركش بالذهب... وقد لقى العاهل المغربي السفير البرتغالي وكان من مطالبه تطمين وصول البريد إلى الجديدة وأزمور... وقد أهداه السلطان صغار الأسود حسب طلب السفير لأنها لا توجد في بلادهم.

2) مجلة (فرانس ماروك) (France-Maroc) . التازي : قصر البديع مجلة البحث العلمي عدد 28 رجب 1398 يوليه 1978.

وقد كان مما لاحظه السفير البرتغالي مما له دلالة عميقة أنه رأى الخيمة الخضراء الملكية التي تخص العاهل المغربي والتي ذكر له أنها هي نفس الخيمة التي كان يقيم بها سلطان البرتغال (دون سباستيان) قبل أن يلقي مصرعه في المغرب ! وأنها صارت بعد السعديين إلى السلطان المولى اسماعيل الذي اتخذ منها تذكاراً يعيد إليه معارك البطولة.

وقد كان اليوم الموالي موعداً لاستقبال السفير من طرف العاهل حيث وردت ـ كما هي التقاليد المغربية ـ كوكبة من الجند والخيالة على رأسهم طائفة من القواد ليصحبوا موكب السفير إلى القصبة...

ولم يفت صاحب الرسالة أن يلاحظ والوقت في عز الصّيف ـ أن عشرات من حاملي قراب الماء على ظهورهم... يقومون برش الأرض التي يمر بها موكب السفير تلطيفا للجوّ...[3]



حاملو قراب الماء

3) المصدر السابق.

«...وقد فتحت مصاريع الباب المؤدية إلى المجلس الملكي فدخلتُها مصحوباً بترجمان ووجدت نفسي في هذا المجلس داخل ردهة كبرى تحيط بها حديقة جميلة رائعة، وقد طرزت القاعة بالزّليج الدقيق الصنع المختلف الألوان وفرشت جنباتها بفاخر أنواع الزرابي والمخدّات...

هنا وجدت الأمبراطور واقفاً فاستقبلني بدون تكلف وظللنا واقفين حيث رحب بي سفيراً لبلادي وتحدثنا عما يتعلق بمدينة الجديدة ؟ كما أثار معي موضوع الأمير الذي أقصاه المولى اسماعيل عن القصر...[4]

وقد التقى السفير بالعاهل مرّةً أخيرة حيث ورد عليه من أجل توديعه وصحبه الجيش إلى المصارة[5] التي هي عبارة عن رياضٍ للقصر يمتدّ نحو الميل ونصف...[6]

ويلتفت السلطان المولى اسماعيل إلى مصير الجديدة، فماذا عن مخططه. وماذا عن موقف البرتغال ؟ كثيراً من المؤرخين المغاربة يعتقدون أن مشكلة الجديدة لم توضع إلا أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل لكن الواقع الذي تسنده الوثائق التاريخية أن المولى اسماعيل، بالرغم مما كان يبديه في البداية من تغاض مقصود... كان ينظر بعين المقت للوجود المتبقّي للبرتغال بهذا الثغر، وهكذا نجد السلطان مولاي اسماعيل حسب رسالةٍ مرفوعة من القنصل الفرنسي بيريليي (Périllié) إلى وزيره سينْيِلاّي (Seignelay) كانت مؤرخة بسلا في سادس نونبر 1689 - يرفض أن يستقبل سفارةً برتغالية في مكناس وردت لاستخلاص الأسرى البرتغاليين..! فلقد طال مقامها بالعاصمة ولكن السفارة في الأخير أشعرت بأن أي شيء لن يكون... وأنّ على البعثة أن ترسل إلى ملك البرتغال لترفع إليه بأن ملك المغرب قرر أن يفرض ضريبة سنوية ثقيلة على البرتغال...[7]

---

4) كان يقصد دون شك إلى ابن محرز الذي كان يموّله الأتراك من الجزائر...

5) كان السلطان عبد المومن هو الذي أنشأ المصارة أو المسرة التي توجد في أكدال وقد زرعهابالزيتون وأنواع البرتقال وغيرهما، دوكاستري ج 1 ص 113 تعليق 1 د. التازي : قصر البديع...

6) راجع المصدر السابق.

7) S.I.H.M. FRANCE S. 2 T. 3 P. 276

وهكذا فبعد رفضه استقبال السفارة البرتغالية على ما أسلفنا وبعد أن فرض إتاوة مرهقة على ملك البرتغال نراه يتعدّى هذه الخطوة لمطالبة ملك البرتغال بالجلاء التام عن المدينة في أواخر هذه السنة 1689 = 1101 هـ وذلك حسب ماكشفت عنه مذكرة جان بابتيسط إستيل (J.B Estelle) التي كتبها من سلا بتاريخ 23 يبراير 1691 = 24 جمادى الأُولى 1102.

وقد بلغ التوتر بين البرتغال والمغرب أوْجَه مطلع سنة 1691 = ربيع الثاني 1102 عندما وردت سفارة برتغالية برئاسة جوزيف ألفاراس على مكناس لتحاول مفاتحة المولى اسماعيل من جديد في شأن تحرير الأسرى البرتغاليين متجاهلةً مطالبه السابقة في شأن تحرير مدينة الجديدة أولاً !!

وهكذا نشهد اللقاء الساخن الذي تمّ بين العاهل المغربي والسفير البرتغالي حسبما تصفه مذكرات إيستيل السابق الذكر...

لقد أُحْرِج السفير عندما ذكّره العاهل في الأمر الذي يهمّه : تحرير الجديدة ! وأسمعه علاوةً على ذلك تأنيباً وتهديداً جعلاه يرتبك في الجواب...

«لقد كتبت منذ سنتين إلى ملكك... من أجل أن يعيد إليّ مدينتي الجديدة ولكن كتابي ظلّ بدون جواب».[8]

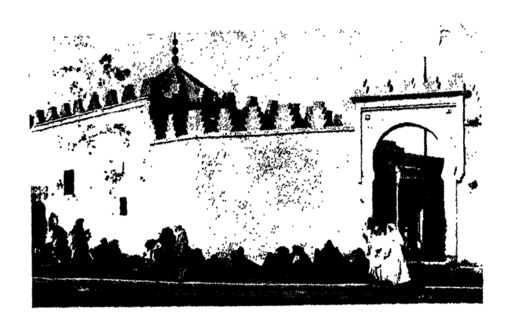
ولعل من المهم أن نستعرض هنا ملخصاً للرسائل التي كان يرفعها دوليسكول (De L'Escolle) القنصل الفرنسي في ليشبونة إلى بلاده حول مدينة الجديدة ويعود تاريخها أي التقارير إلى ما بين 4 يبراير 1690 إلى 27 ماي 1692، وهي تكشف عن الاهتمام الزائد الذي كانت البرتغال توليه لمصير مدينة الجديدة...[9]

وهنا نجد رسالةً من السلطان المولى اسماعيل إلى بيدرو الثاني (Pedro II) بتاريخ فاتح شتنبر 1696[10] يذكره بأنه سيقبل مبدأً التفاوض من أجل افتداء

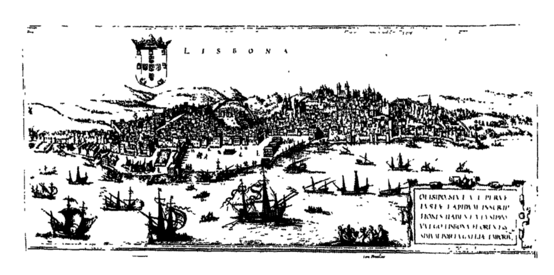
8) S.I.H.M. FRANCE S. 2 T. 3 P. 349-357

9) المصدر السابق.

10) توجد ترجمة لرسالة المولى اسماعيل إلى ملك البرتغال باللغة الهولاندية في أرشيف لاهاي (ريجكس أرشيف (Ryjsarehivi) رقم 7022، 1690 ـ 1687.



من أقدم الرسوم التي عثرنا عليها لضريح سيدي بلبوط



من أقدم الرسوم لمدينة ليشبونة

الأسرى شريطة أن يبعث له العاهل البرتغالي بمفاوض يكون عضواً في المجلس الملكي البرتغالي ولا يكفي أن يكون أسقفاً أو قسّا...

وبالرغم من أن وفاة المولى اسماعيل كانت بالنسبة للمحتلين حدثا مكّنهم من العيش في بعض الهدوء النسبي فإن الدولة المغربية مع ذلك لم تنس مواقعها المحتلة...

وتعبيراً عن عدم الرضى على التوسع البرتغالي بالمغرب نرى أن السلطان المولى عبد الله يتجاهل تحرير الأسرى البرتغاليين الموجودين تحت قبضته، وهكذا نجده في جوابه لولي عهده الأمير سيدي محمد الذي كتب إليه في شأن الإفراج عن أولئك المحتجزين يقول له : «إن والده المولى اسماعيل لم يترك له وصية بهذا المعنى» !! وذلك حسب ما رواه أسير سويدي كان يعيش في بلاط السلطان المولى عبد الله...

ومن ثمت نجد الأمير سيدي محمد ـ وهو ما يزال ولي عهد لوالده مولاي عبد الله بن اسماعيل ـ يقدم على طرد البرتغال من (أنفا) الدار البيضاء حالياً...

لقد كانت أنفا احتلت من طرف البرتغال وأعطوها اسم (كازابرانكا) (بالراء) ولم يكن غير الأمير سيدي محمد ابن عبد الله مرغماً للبرتغاليين على الجلاء عام 1755 ـ بتفويض من والده السلطان المولى عبد الله ـ وفي أيام هذا الملك ازدهرت المدينة وهو الذي أعطاها اسم الدار البيضاء (Dar el Beida) فنطق بها الإسبان (كازابلانكا) باللاّم !!

تحرير مدينة الجديدة سنة 1182 = 1768

وما أن تربّع سيدي محمد بن عبد الله كرسيّ الحكم بالمغرب حتى أخذ يخطّط لتحرير مدينة (الجديدة) من البرتغال...

لقد كان في البداية اتجه إلى مقارعة الاحتلال الإسباني لسبتة ومليلية ولكنه لم يلبث أن شعر بالخطر الذي قد يطوقه وهو يغفل شأن (الجديدة)، وهكذا «هادن» البلاط الاسباني وأقبل على تصفية الوجود البرتغالي ببلاده...

ومن هنا أُحكم الحصار على المدينة بنحو من خمسة وسبعين ألف رجل، ووصلوا لضواحي الثغر أواخر رجب 1182 = أول دجنبر 1768 وكان المغاربة مزودين بمدفعيةٍ هامة تمكنت خلال شهر وعشرة أيام من قذف أكثر من ألفي قنبلة مما جعل المحتلين البرتغاليين يغادرون المدينة يوم السبت ثالث ذي القعدة 1182 = 11 مارس 1769 بعد اشتباكات بالسّلاح الأبيض وبالمناجل كذلك !!

وبالرغم من هذا النصر المبين الذي حققه المغرب... فقد وجدنا من بين المؤرخين الأجانب ومن لف لفهم من يعزو سبب هذا النصر إلى أن سياسة البرتغال هي التي اقتضت إفراغ المدينة نظراً لوجودها متطرفة وإرهاقها للخزينة إلى آخر ما قالوا ! وكأنّ أيام الحصار الطويلة، وكأنّ جحيم القنابل، وكأنّ مقاتلة المجاهدين، كلُّ ذلك لم يكن شيئاً !![11]

لقد بعث كبير البرتغال إلى ملك المغرب يطلب منه أن يكف عن القتال ثلاثة أيام ليدفع له البلد، فأجابه العاهل إلى ذلك، بل وقام بتحرير عددٍ من الأسرى الذين سلمهم لإيمانييل دي- بون.[12]

أخذوا في إحراق الأثاث والفراش ! بل إنهم عمدوا إلى بث عدد من المتفجرات في حارات المدينة.[13]

☆ ☆ ☆

---

10) دوكاستري، فرنسا ـ المغرب س 2 ج 3 ص 488. Staten Général 7022 Lias, Portugal.

11) فرنسا ـ المغرب سلسلة 2، مجلد 4، ص 427. S.I.H.M. S. 2 T. 4 P. 427

12) تراجع مخطوطة (الحلل البهيجة في فتح البريجة) بالخزانة العامة تحت رقم د. 1328 ففيها بعض المعلومات الدقيقة عن نصوص الرسائل المتبادلة بين الملك محمد الثالث وبين حاكم المدينة وحديث عن الكور والبنب الوارد... كما يراجع البحث الجاد الذي كتبه رامون لوريدو Ramon Lourido : La Plaza portuguesa de Mazagan (Al-Yadida) Y Su Reconquista eu 1769 (Cuadernos de la Biblioteca Espanola De Tetuan Juin – Diciembre 1978 Nums 17/18/ p : 99.

R ; Lourido-Diaz : Le Commerce entre le Portugal et le Maroc pendant la deuxième motre du 18 siècle revue d'histoire maghrebiue janvier 1976 Tunis p. 27.

13) هوست : تاريخ محمد بن عبد الله ص 39

وبعد الجلاء عن المدينة عمد البرتغال إلى تحسين علاقاته بالمغرب الذي رحب بالمبادرة.(14)

ولم تلبث هذه الخطوات أن أدت إلى مقدم سفارة برتغالية تحمل هدايا متنوعة فيها عدد من الساعات الجدارية،(15) وقد تم إبرام اتفاقية بتاريخ 12 رمضان 1187 = 17 نونبر 1773 بعد مفاوضاتٍ كان يشرف عليها من الجانب المغربي الأمير مولاي عبد السلام.

وقد وقفتُ على صورة هذه الاتفاقية في الخزانة الحسنية بالرباط كما وجدت نظيراً لها في الأرشيف الوطني بلشبونة...

لقد كانت كل بنودها (وعددها إثنان وعشرون بنداً) تشهد بدرجة وبحجم الصلات التي أصبحت تربط المغرب بالبرتغال...

سنقرأ من خلال ثنايا الاتفاقية بل ومن سطورها ذاتها أن المغرب كان يوفّر الحرية الدّينية لِسائر أعضاء الجالية البرتغالية بالمغرب...

أكثر من هذا فإن المغرب يناصر البرتغال ضد الذين ينالون من سيادته، في مقابلة مناصرة البرتغال للمغرب ضد الذين يهددون أراضيّه.(16)

وبعد إبرام هذه الاتفاقية بين المغرب والبرتغال أضحى من المعهود إقامة القناصلة البرتغاليين بالمملكة المغربية.

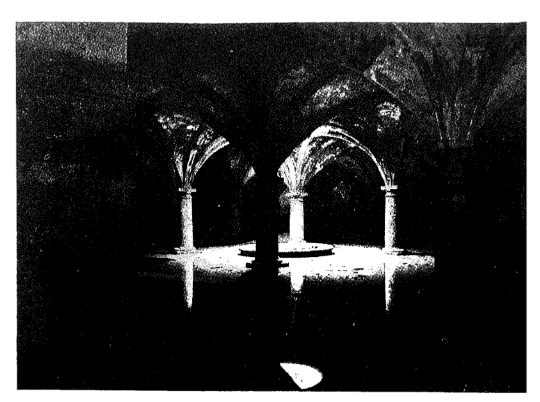
ويتأكد أن العلاقات ـ وقد انتهت مظاهر الاحتلال ـ أخذت في تحسن مستمر الأمر الذي يدل عليه هذا النشاط التجاري الملحوظ بين البلدين...

---

14) Ramon Lourido : la Plaza Portuqueda de Mazagan...

15) ابن زيدان : الإتحاف 3، ص 290/168.

16) هوست : تاريخ محمد بن عبد الله ص 67 ـ كايي : الأوفاق 58.



من آثار البرتغال في مدينة الجديدة



الشرط الثاني والعشرون

ع نقض لهذا الصلح من قبل سيدنا نصره الله او من قبل جنس
يز فاسارى المسلمين الذين يكونون بيد البرتقيز من ايالة سيدنا
ه بعد انقضى المذكور لا يكونون في حكم الاسارى بل يجعل منهم
سارى ولا يكلفون بعمل الى ان يسرحون وكذلك ما استاسره
ا نصره الله من جنس البرتقيز فانهم يعاملون بهذا الوجه و
ا حال مسجونين ولا يكلفون بعمل الى ان يقع تسريحهم من قبل
نا نصره الله تم تم تم

في الثاني عشر من رمضان
1187

البند الأخير من الاتفاقية المغربية البرتغالية

والذي رددت أصداءه تقارير القنصل الفرنسي لوي شينيي في رسالته من سلا بتاريخ 30 شتنبر 1772، عندما تحدث عن أسباب مشروع سيدي محمد بن عبد الله لإنشاء مرسى مدينة فضالة التي كانت بالدرجة الأولى تهتم بتصدير الكميات الكبيرة من القمح إلى البرتغال والإسبان.

هذا إلى ما يدل عليه تبادل الرسائل بين الطرفين على نحو ما نرى في الرسالة التي بعثها السلطان محمد بن عبد الله إلى ملك البرتغال دون جوزيف الأول يخبره فيها أنه يبعث له بسفيره القائد عمر بن الداودي الذي كانت ترافقه حاشية من تسعة وثلاثين شخصاً... وقد حمله الملك...[17] تفكيرةً عبارة عن ستة من عتاق الخيل وكانت الرسالة بتاريخ 20 جمادى الأولى 1188 = أخر يوليه 1774،[18].

وقد تلت سفارة القائد عمر بن الداودي سفارة أخرى في نونبر 1777 = رمضان شوال 1190 كان على رأسها عبد المجيد الأزرق باشا إقليم تازة وسفير سابق لبلاط مدريد على ما تذكره المصادر الأروبية.

لقد وردت السفارة لتقديم التعازي في وفاة جوزيف الأول ولتهنئة الملكة الجديدة دونا مارية (Dona Maria) وكان من الهدايا السباع والأنمار والأنعام الخ.

ظل السفير الأزرق محل تكريم إلى يبراير 1778 محرم 1192 حيث قام بزيارة عدة منشآتٍ كان منها دار السكة، وأظهر إعجابه بتقنية سك النقود الأوربية وطلب من الملكة أن يصحب معه عند عودته عدداً من التقنيين المجهزين حيث رافقه ستة من البرتغاليين المتخصصين تصحبهم أربعة صناديق كبيرة تحتوي على الآلات الضرورية التي قدمت هدية إلى السلطان.[19]

---

17) الإتحاف 3 ر 290 ـ 291 Cnille : Accords p. 35-201

18) Lourido : Le Commerce... Revue d'histoire Maghrébine Jan 1976 Tunis

19) وصل السفير المغربي إلى لشبونة يوم 8 اكتوبر 1774.



صورة من رسالة بعث بها السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى ملك البرتغال جوزيف الأول يعتمد فيها سفيره القائد عمر بن الداودي الذي حمل معه هدية قيمة للملك المذكور. وهي بتاريخ 20 جمادى الأولى 1188 = 30 يوليه 1774.



رسم عن منشورات بنك المغرب : ضرب السكة

وقد أقامت البعثة البرتغالية في المغرب ثمانية عشر شهراً كانت فيه محل تكريم وعناية.

وقد احتفظت المصادر المغربية بنص الرسالة التي بعث بها العاهل المذكور إلى حاكم الجزيرة الخضراء (مانضورزا (Mandorza) بتاريخ 7 جمادى الأُولى 1193 = 23 مايه 1778 يخبره فيها بالهدايا التي أرسلها العاهل المغربي إلى حاكم البرتغال.

وحوالي النصف الثاني من سنة 1779 أوفد السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى ليشبونة أحد التجار الأغنياء للمقام بالبرتغال : الطيب بوهلال، وكان يحمل رسائل خاصة إلى مارية ملكة البرتغال تتعلق بإنشاء دار تجارية يستفيد منها البَلَدان، وكان الرئيس البحري الذي نقل بوهلال هو علي بيريس الذي كان مزوّداً بمال وافر لقضاء بعض الأغراض السلطانية.

وتفيد الوثائق البرتغالية أن مبعوثاً مغربياً آخر يحمل اسم الحاج محمد عناية نزل في ليشبونة أوائل اكتوبر 1780 حيث كان يحظى بكل أنواع التكريم... لقد كان المبعوث المذكور مصحوباً بالحاج محمد التيال والحاج عبد الرحمن بريطل، وربّما كان الهدف ـ على ما يقال تنشيط التبادل التجاري...

وفي إطار المجاملات والمكايسات بين البلاطين وجدنا الملكة دونامارية تبعث بسفارة تعزية إلى السلطان سيدي محمد بمناسبة وفاة ابنه وولي عهده الأمير مولاي علي عام 1783 = 1197 مغتنمةً هذه الفرصة ـ وهذا لطيف ـ للإشادة بخلال ومزايا الأمير مولاي عبد السلام الذي كان أشرف على المفاوضات المغربية البرتغالية التي أفضت إلى الاتفاقية السالفة الذكر !!

وقد اتجهت بعثة مغربية إلى البرتغال عام 1785 يتقدمها الرئيس عباس مورينو الذي كان مصحوبا بخديم العاهل المغربي مانييل دي بونتيش (M. de Pontes) الأمر الذي تكشف عنه رسالة من دونا مارية إلى سيدي محمد بتاريخ 8 يوليه 1985.

وفي أعقاب توتر في العلاقات بين داي الجزائر وبين ملكة البرتغال لجأت هذه إلى طلب مساعدة ملك المغرب سيدي محمد بن عبد الله الذي تربطه علاقة بالطرفين معاً....

ومن الطريف أن نجد في ضمن الهدايا التي قدمها عام 1786 = العاهل المغربي للملكة البرتغالية ساعة جدارية على شكل قفص بها عصفور كناري يدق الساعات وكان أهداها له الرئيس جورج واشنطون على ماعرفنا في فصل العلاقات المغربية الأمريكية.

وقد وجدنا رسالة من الأمير مولاي عبد السلام خليفة والده على سوس بتاريخ 11 جمادى الثانية 1201 = 13 مارس 1787 إلى ممثل البرتغال بطنجة مانييل دي بونتيش (M. de Pontes) يخبره بأن أباه خوله مهمة الصويرة وأنه وصاه خيراً بالبرتغال وإعطائهم الامتياز كما يخبره بأنه توصل بالهدايا المرسلة... وأن نائبه بالصويرة هو القايد حيدة بن الحاج الهواري...[20] ونجد أخيراً رسالة تحمل طابعاً لأحد الأمراء المغاربة إلى نفس الشخصية المذكورة بتاريخ 21 رجب 1202 = 27 أبريل 1788 يقول فيها : إن البلاط المغربي سمع بأن مانييل دي بونتيش وصل إلى الصويرة يحمل معه الواجبات المترتبة على البرتغال إضافة إلى الهدية التي أرسلتها الملكة دونا مارية (Dona Maria) ملكة البرتغال.

إن المراسلات بين العاهلة البرتغالية وبين العاهل المغربي ظلت إلى آخر أيام هذا الأخير...[21]

☆ ☆ ☆

وبوفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله شعر الكل بفراغ، وخاصة بعد ذلك العمر الحافل بالاتصالات والانتصارات، ولكننا مع ذلك نلاحظ أن البرتغال أوعزت لقنصلها بطنجة بتقديم التهاني للعاهل الجديد المولى يزيد وأعدت هدية له بالمناسبة.[22]

---

(20) Lourido-Diaz, Le Commerce entre le Portugal et le Maroc Revue d'Hidtoire Marghrebine, Janvier 1976, Tunis

د. عبد الهادي التازي : دور السكة بالمغرب، مجلة الأكاديمية 1987.

(21) يلاحظ أن المراسلات بين كاسترو وبين عمر بن الداودي ظلت مستمرة.

(22) Lourido. Le Commerce... Revue, p. 45

لكن الظروف التي كان يعيشها المولى اليزيد لم تسمح بطول الحياة وقد كان الأمير مولاي سلامة في جملة من رشح بطنجة للملك بعده حيث وجدناه يبادر بالكتابة إلى «رينة البرطقيز مارية... يخبرها، بعد أداء السلام، بأن أخاه المولى اليزيد قد صار إلى عفو الله ورحمته «ونحن أورثنا الله ملكه فها نحن أعلمناكم وعزيناكم فيه» كما تقول الرسالة التي أرخت يوم 29 رجب 1206 = 23 مارس 1792.

كما كتب نفس التاريخ لسائر القناصل المعتمدين بطنجة يطلب إليهم أن يقدموا لحضرته على ما أسلفنا...

ومن المهم أن نشير هنا، اعتماداً على ما نشره الأُستاذ أريباس بالاو، للرسالة التي بعث بها السلطان مولاي سليمان إلى الملكة دونا مارية سلطانة البرتغال والغرب والبرازيل وباقي البلاد وتوابعها «...لقد عبرت هذه الرسالة عن أواصر المحبة الفائقة التي تجمع بين البلدين والتي لا تزيدها الأيام إلا رسوخاً...

والرسالة تحمل تاريخ 8 صفر 1207 = 25 شتنبر 1792 وهي أول رسالة تتحدث عن علاقاتنا أيضا مع البرازيل ولو أنها كانت ما تزال تابعةً للبرتغال.

وقد وجدنا في نفس المصدر رسالة باللغة العربية من القنصل البرتغالي جورج بيدرو كولاصو (G. P. Collaço) إلى محمد بن عثمان وزير خارجية المغرب ووالي السلطان مولاي سليمان على تطوان وتحمل تاريخ ربيع الثاني 1207 يهنئه على منصبه ويستبشر بالعلاقات في المستقبل...

كما نجد من جهة أخرى رسالة من محمد بن عثمان إلى القنصل البرتغالي المذكور يخبره بوصول رسالته ويطمئنه على مستقبل العلاقات المغربية البرتغالية ويغتنم هذه الفرصة ليثني على محرر رسالة القنصل المذكور الذي أبان عن تمكنه من اللغة الغربية ! والرسالة بتاريخ 15 ربيع الثاني عام 1207.

ومن المهم أن نجد رسالة بتاريخ 25 ذي الحجة 1207 تتعلق بموضوع طريف ويتعلق الأمر بثلاثة مراكب كانت تحمل بعض أفراد العائلة المغربية

بسم الله الرحمن الرحيم

رسالة الملك مولاي سليمان إلى الملكة مارية ملكة البرتغال والبرازيل.

الملكية أدت بهم العاصفة إلى جزيرة مديرة بالبرتغال حيث نرى أن هذه الدولة هيأت لأعضاء الأسرة الملكية أسباب الراحة حتى عادوا إلى المغرب في أمن وأمان...

وفي رسالة من الأمير مولاي عبد السلام إلى القنصل البرتغالي المذكور بتاريخ 11 محرم 1208 وجدناه يشكر القنصل على ما أبلغه من أخبار عن أفراد العائلة الملكية التي وجدت نفسها في البرتغال... والرسالة تفيض شكراً وعواطف على التفاتتة الكريمة. ولابد أن نعرف بهذه المناسبة أن الخليفة السلطاني بأكادير هو بالصدفة ابن الأمير مولاي عبد السلام....

ونجد بعد هذا ظهيراً من السلطان مولاي سليمان إلى وزيره محمد بن عثمان وإلى الخديمين القائد أحمد الدليمي والقائد عبد الله بركّاش وإلى القائد حماد الصريدي في التوصية بكل القواد البحريين الذين يردون من البرتغال والاهتمام بها، وهذه الرسالة تحمل تاريخ 18 محرم 1208.

ونسجل هنا وثيقة تحمل تاريخ 11 محرم 1208 = 19 غشت 1793 عبارة عن رسالة للسلطان... إلى السلطانة مارية تؤكد أواصر المحبة والود الذي يوجد بين البلدين وقد كتبت بالعربية وإلى جانبها ترجمة بالبرتغالية.

ولم يكن غريبا علينا أن نجد خطابا لاحقا يحمل تاريخ 18 محرم 1208 = من وزير السلطان مولاي سليمان إلى القنصل البرتغالي كولاّص (Collaço) في شأن مركب برتغالي حرث بين سبتة وتطوان، إن الوزير المغربي يعرب عن أسفه العميق لما حدث وقد فتح بحثاً سريعاً حول الموضوع... وإن العاهل المغربي لمهتم بنفسه بالأمر... فلتطيبوا نفسا...

☆ ☆ ☆

وتتميماً للموضوع نذكر أننا وجدنا السلطان المولى هشام الذي كان ظهر في الجنوب المغربي يبعث بسفارة بدوره إلى الملكة مارية برئاسة شخصية محترمة تنعتها الرسالة الملكية بصاحبنا الفقيه الشريف مولاي عبد الله بن

الحاج عهد إليها بحمل رسالة للملكة تخبرها بتمكّن مولاي هشام من استرجاع مراكش وعزمه على أن يستمر في علاقاته مع البرتغال على النحو الذي كان عليه والده السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وكانت الرسائل تحمل تاريخ 1 شعبان 1210 = 10 يبراير 1796 وهي محفوظة بأرشيف مدريد التي توجه إليها السفير المغربي بعد انتهاء مهمته في البرتغال...ا.

☆ ☆ ☆

وقد عثر في الخزانة الوطنية بريو دو جانيرو على خطاب دبلوماسي رقيق يحمل تاريخ 11 محرم 1213 = 25 يونيه 1798، من وزير خارجية المغرب محمد بن عثمان إلى نظيره في البرتغال دون رودريكّو يخبره بالاستقبال الممتاز الذي خصصه السلطان مولاي سليمان لسفير الملكة مارية الذي ورد لطلب إقرار الاتفاقية المغربية البرتغالية السالفة.[23]

☆ ☆ ☆

لقد عرفت العلاقات المغربية البرتغالية ظروفاً ممتازة استمرت طوال حياة السلطان المولى سليمان الأمر الذي نجد صداه في الجواب الذي بعثه الملك الذي تربع على كرسي الحكم بعد المولى سليمان، وهو السلطان المولى عبد الرحمن الذي كتب بتاريخ 17 ربيع الأول 1238 = 2 دجنبر 1822 مجيباً عن رسالة التعزية في العاهل الراحل والتهنئة أيضا بالمنصب الملكي، وهي التعزية التي بعث بها القنصل البرتغالي العام جورج كولاّصو سالف الذكر...

23) أقدر بهذه المناسبة اهتمام سعادة الزميل الأستاذ محمد العربي المساري سفير المغرب في البرازيل وأشكره على مساعدته.

بسم الله الرحمن الرحيم

الى محبنا الاعظم وصديقنا الافخم الاديب البليغ دون ردريكو وزير مملكة البرطغال
اما بعد فانه زاد على الاشتياق الى تلك الاحوال التي تتمنى كل [illegible] وكل مكرمة
[illegible] اعلامكم بوصول سطوركم الينا مع صاحب [illegible]
للوفادة على حضرة مولاي الملك [illegible] باشدور [illegible] مولاي السلطان
[illegible] سلطانة البرطغال [illegible] الجبل [illegible] مع
[illegible] المحبة من قبل دولتكم الدالة على اخلاص المحبة [illegible] كما
انه بلغنا سطوركم الينا مع ما [illegible] من [illegible] فقبلناها
قبول محبة خالصة [illegible] ان ما اشرتم به علينا
في الوقوف مع الباشدور المذكور [illegible] مع مولانا السلطان [illegible]
[illegible] الصلح القديم [illegible] الله [illegible] به وان يوضع عمله
[illegible] بين السلطان نصره الله [illegible] لنا باشدوركم [illegible]
باحتفال عظيم [illegible] بشطوركم [illegible]
وفضل [illegible] جميع اغراضه [illegible] ولو ان الوقت [illegible] حالة
من غلاء [illegible] في هذه السنة لكان ذلك اكثر [illegible] خاطر [illegible]
[illegible] اعتبار الدولتين [illegible] وتتم له عمله وما
[illegible]
[illegible] الدولة [illegible] جميع ما يمكننا
[illegible] وعافية [illegible] والسلام وكتب في 11 من المحرم الحرام فاتح اول
سنة 1213

[illegible]

رسالة من وزير خارجية مولاي سليمان (1792 ـ 1821) إلى وزير خارجية جواو السادس (1808 ـ 1821) عثر عليها في 1986 بالخزانة الوطنية بريو دوجانيرو.

العلاقات المغربية الإنجليزية
في صدر الدولة العلوية

- □ بين السلطان مولاي رشيد والبلاط الإنجليزي.
- □ سفارة ابن حدو أعطار لدى شارل الثاني.
- □ المغرب يشارك في مؤتمر طبّي دولي بطنجة !
- □ تسوية قضايا الأسرى...
- □ الملكة آن تجدد الصلات مع العاهل المغربي.
- □ سفارة ستيوارت بالمغرب.
- □ الملك محمد الثالث والملك جورج الثالث.
- □ المعاهدة المغربية الإنجليزية على عهد السلطان مولاي سليمان.
- □ بداية أيام السلطان مولاي عبد الرحمان.

العلاقات بين المملكة المغربية وأنجلترا... على عهد العلويين

إذا كانت أيام السلطان المولى محمد بن الشريف (محمد الأول) لم تسمح بربط اتصال بينه وبين أنجلترا، فإن أيام السلطان المولى الرشيد سجلت منذ البداية تدشين علاقات بين المغرب وأنجلترا، وهكذا فمن أجل تطوير تجارة طنجة التي كانت تحت السيطرة الإنجليزية فكر شارل الثاني في إرسال سفارة إلى العاهل المغربي للحصول على الإذن بتنشيط التجارة في طنجة من جهة، ولمعالجة قضية الأسرى الموجودين في قبضة السلطان من جهة أخرى...

وقد عين على رأس السفارة اللورد هنري هوارد (Henry Howard) الذي حمل معه إلى العاهل المغربي قِطَعاً من فاخر النسيج إلى جانب عشرة مدافع وأربعين نوعاً من المسدسات مع عدد من التحف...

وقد أورد الباحث البريطاني روجرز في كتابه حول (العلاقات المغربية البريطانية) نصَّ الرسالة التي كانت بمثابة ورقة اعتماد لهنري هوارد كسفير فوق العادة، ولكن الرسالة لا تحمل تاريخا...[1]

(1 P.G. Rogers : A History of Anglo-Moroccan Relations To 1900, London : Forein and Commonwealth office p. 49

وقد وصل إلى طنجة بتاريخ 11 غشت 1669 ضمن حاشيةٍ فيها الرسام العالمي فاكلاف هولار (Václav Hollar)[2] أُستاذ شارل الثاني.

لكن السفير لم يلبث أن توصل برسالةٍ من شارل الثاني تطلب إليه العودة إلى لندن حيث نراه يغادر طنجة يوم 9 يوليه 1670 متوجهاً لأنجلترا عبر قادس [3]

ولقد ذكر الفريد بيل أنه وقف عند كامبيني (Campini) على رسم نصفي للمولى الرشيد على جوانبه آثر لبعض الحروف الممحية. لكن يمكن أن تقرأ كلمة : (Souvenir Normand) «تذكار نورماندي»، وربما قرئ أيضا مدينة النواقيس (Villes des Cloches)، وقد افترض (بيل) أن تكون الكلمة الأولى تقديماً للصورة من طرف أحد التجار الفرنسيين الذين تحدثوا إلى مولاي الرشيد...[4]

☆ ☆ ☆

وقد وجدت أنجلترا نفسها وجهاً لوجه مع السلطان المولى اسماعيل الذي توجه بكل ثقله للضغط على طنجة فور قضائه على الخضير غيلان !

فبالرغم من اتفاقية الهدنة البحرية بين السير بّالميس فير بّورن (Palmes Fairborne) حاكم طنجة وبين الحاج عبد القادر مورينو حاكم سلا الجديدة (الرباط) بتاريخ 28 غشت 1676، قامت القوات المغربية بقيادة عمر ابن حدّو البطوئي في بداية سنة 1678 بمداهمة أطراف المدينة...

وقد أضيف إلى قائمة القتلى السير بّالميس نفسه الذي أُصيب يوم 24 اكتوبر 1680 فتوفى بعد ثلاثة أيام متأثراً بجراحه حيث عوضه في القيادة الكولونيل إدوارد ساكْفيل (Edward Sackville) الذي خطط لحيلةٍ انتقامية تتلخص في شنّ هجوم مباغت وقويّ على القوات المغربية...

---

2) Jan Korlnek : l'historique des Relations Tchecoslovaques avec le Maroc. IMP. Kawthar, Rabat : 1975 p. 18.

3) S.I.H.M. FRANCE, 2 S.T. 1 P. 287
PHILIPE de Cosé Brissac : quelques documents inédites sur le Maroc 1670 – 1680, Hesp 1950 p. 97.

4) أفترض أنا أن يكون القصد بمدينة النواقيس إلى فاس التي يحتضن جامعها الأعظم : القرويين عدداً من النواقيس المجلوبة من كنائس قشتالة والبرتغال...
د. التازي : تاريخ القرويين ج 2، ص 328. Alfred Bel : Inscriptions Arabes de Fez, Paris 1919 p. 61.

مما جاء في رسالة تقرير ساكْفيل بتاريخ أول يناير 1681

«من جانبي لا أدري إذا كانت المصلحة أو الخطأ كلاهما معاً هما اللذان حملا أسلافي على تزويد الوزراء في أنجلترا بمعلومات تساعد على تكوين آراء سيئة عن هؤلاء الناس، وأستطيع بكل تواضع أن أقول عنهم (أي المغاربة) بعد أن عركتهم في السلام والحرب، أكثر مما عركهم أي واحد ممن سبقوني... أستطيع القول : إن هذا الاعتقاد كان ضاراً بمصالح جلالة الملك (شارل)، ومع أني أتحدث عنهم كأعداء فإني لم أجد أشجع منهم في الميدان عندما يرون سبباً معقولاً للقتال، ولا أحرص منهم على تجنبه إذا رأوا أن الحكمة تقتضي ذلك، ولا أعتقد أن هناك بين أجناس البشر شعباً يقظاً مُتحملاً للمشاق، صبوراً، جاداً مثل هذا الشعب، وهي الصفات التي تعوز الجندي، ولو أضيف إليها النظام الذي اعتاده الأروبيون، فلن يكون هناك عدو أخطرَ منهم في العالم... وهم يبحثون الأمور أثناء التفاوض معهم بهدوء وحكمة، ومن ثم فلا أفهم أبداً السبب وراء الاستخفاف بهم».



السلطان مولاي اسماعيل كما تخيله الرسامون الأُروبيون المعاصرون

ومن هنا تجدّد التفكير في إرسال سفارة مغربية إلى إنجلترا لمفاتحة الملك شارل الثاني في قضية طنجة، حيث اختار السلطان مولاي اسماعيل لرئاسة هذه البعثة محمد بن حدّو الذي وصل إلى طنجة معززاً بوفد هام كان فيه الكاتب أحمد لوقّش والقائد محمد الحافظ وعدد من المساعدين، استقبل استقبالاً حافلاً على ما تذكره المصادر والتقارير الإنجليزية.(5)

وعلى العادة في مثل هذا الحال، رأينا الكولونيل كيرك يرفع تقريراً إلى بلاده يحمل تاريخ 8 دجنبر 1681 يتضمن نبذة عن السفير ابن حدّو.(6)

توقيع محمد بن حدّو

---

5) د. التازي : محمد بن حدو، مجلة أكاديمية المملكة المغربية عدد 2 1985 ـ عدد 3، 1986.

6) أورد هوبكينز (Hopkins) عدداً من الرسائل التي بعث بها محمد بن حدو إلى شارل الثاني كان منها رسالة مهمة طويلة الذيل تحمل تاريخ 11 شعبان 1094 = 5 غشت 1683 كتبها من مكناس وقد كشفت لي عن السرّ الذي كان يكمن في تعتيم أخباره من لدن المؤرخين المغاربة.!! ابن زيدان : المنزع اللطيف في التمليح لمفاخر مولاي اسماعيل الشريف، مخطوطة الخزانة الحسنية رقم 2019.

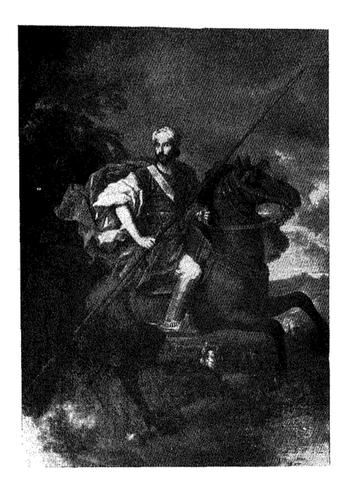
بسم الله الرحمن الرحيم العزة لله العلي العظيم



الى المبجل الاعظم الافخم عظيم مملكة الانجليز وامير اهل
ويغلتر واسكوسيا السلطان في مملكته شرلش سكند كرلش
سكند ... السلام على من اتبع
الهدى وبعد فالحمد لله واما بعد فاعلم ان مولانا السلطان
امير المومنين ايده الله وجه الينا خدامه الثلاثة الاعز سيد
محمد بن حدو والفقيه محمد الحافظ مقدم البحر والكاتب الحاج
محمد لكاش واوصاهم بالقدوم عليكم وجاءوا بالعهد الذي كان
سبق منا ومن اخينا المرحوم بكرم الله اذ فاية ... نعلمكم
انا فوضنا مولانا نصره الله في جميع الامور التي كانت بين
اخينا المرحوم بالله وزاد رضاه وما تحرر بهذه الافكار فلا شك
ان شاء الله خدامكم الذين بهذه البلاد وما يحتاجونه من
الاغراض عندنا تقضى بحول الله تعالى وكذلك فلا شك خدامكم
واهل بيتكم رعاية لاوجهكم واعتناء بامورهم والسلام
في رابع شهر الله ذي الحجة الحرام عام اثنين وتسعين والف

رسالة اعتماد محمد بن حدّو ومحمد الحافظ ومحمد لكاش

4 ذو الحجة 1092 = 15 دجنبر 1681.



السفير محمد بن حدو، نشر بإذن مكتبة صاحبة الجلالة البريطانية

ولقد عاد السفير ابن حدّو إلى طنجة ما بين الثلاثين غشت وتاسع شتنبر 1682ومن طنجة سافر ابن حدّو إلى مكناس حيث قدم تقريره إلى السلطان مولاي اسماعيل مع مشروع الاتفاقية التي كان السفير شرط لتنفيذها عرضها على السلطان ليبقيها كما هي أو يعدلها...

☆ ☆ ☆

بيد أن العاهل المغربي رفض المصادقة على اتفاقية (وايت هول) التي أبرمها سفيره محمد بن حدّو بسبب القلق الذي تملكه من تعامل التجار الإنجليز مع بعض العناصر المتمردة.

ومن هنا أصدر العاهل البريطاني أمراً بإخلاء المدينة وإفراغها بعد تحطيم المعالم والبروج والأسوار وبخاصة الرصيف (Le Mole) الذي أنشأته الحامية، وهكذا أرجع السلطان المولى اسماعيل لطنجة وجهها الإسلامي الناصع بعد أن كان الاستعمار حول مسجدها الأعظم إلى كاتدرائية تحت اسم (سان إيسبري) وغير مساجدها الأخرى إلى كنائس...

مؤتمر طبي بطنجة أيام الوجود الإنجليزي
بين الدراق وبعض الأطباء...
حول التداوي بالشيء المعتاد !

ورد في كتاب المحاضرات للحسن اليوسي ما يلي :

ومن أطرف ما وقع في هذا ـ أي التداوي بالأشياء المعتادة ـ ما حدثني به الطبيب المذكور وهو الفاضل أبو عبد الله محمد الدراق الفاسي، قال : كنت دخلت طنجة بقصد ملاقاة الأطباء ورؤية الشخص الذي صوّروه لتعليم التشريح معاينة، قال : فكان بعض أطباء الروم هناك يعجب من أكلنا الكسكوس المذكور، ويضحك منا ويقول : إنما تأكلون العجين في بطونكم !!

قال : فبينما نحن كذلك إذ دخلتُ عليه يوماً فوجدته عند رأس مريض محموم شديد الحمى وهو يسقيه الخمر ! قال : فقلت له : ما هذا الذي تصنع أنت ؟ وأيُّ مناسبة بين الخمر والحمَّى ؟ والكل في غاية الحرارة، فقال : إنها لن تضره شيئاً لاعتياده لها، فإنه قد كان يرضعها من ثدي أمه وهو طفل صغير، قال : فقلت له : سبحان الله ! ونحن هكذا نرضع ما تنكر من الكسكوس من ثدي أمهاتنا ونحن صغار، فأيُّ شيء يضرنا ؟! فقال : صدقت، ولم يجد ما يقول.

وإذا ما عرفنا أن طنجة سلّمت من البرتغال إلى إنجلترا أواسط 1661 = أواخر 1071، وعرفنا أن الدراق المذكور توفي في سابع ذي القعدة 1090 = 10 دجنبر 1679 أمكننا أن نفترض أن هذا اللقاء تم على الراجح أيام الوجود الإنجليزي في طنجة وليس أيام الوجود البرتغالي ؟

د. التازي : مع الطبيب الصيدلي عبد الوهاب أدراق في نظمه حول النعنع والكُبّر،
مجلة الأكاديمية المغربية ـ العدد 3 نونبر 1986



وقد تحسنت العلاقات المغربية الإنجليزية بالرغم من بعض أعمال القرصنة التي نذكر منها على الخصوص اختطاف الرايس عبد الله ابن عيشة وهو في عرض البحر من طرف مركب إنجليزي أواخر مملكة شارل الثاني..!

ولم يلبث المولى اسماعيل أن بعث بتاريخ 10 ذي القعدة 1101 = 15 غشت 1690 برسالة إلى ويليام الثالث حول افتداء الأسرى الإنجليز على نحو ما ذكره القنصل الهولاندي هيبّاندروب (Heppendrope)[7].

وقد ابتدأت المفاوضات بين الجانبين المغربي والإنجليزي حول الموضوع إلا أن الطرفين لم يتوصلا إلى اتفاق حول الشروط المقترحة من طرف المغرب لتحرير الأسرى الأروبيين، وهكذا توترت العلاقات بين السلطان المولى اسماعيل وبين ويليام الثالث الأمر الذي حمل السلطان المولى اسماعيل على مراسلة الملك جيمس الثاني في منفاه بفرنسا.!!

وهكذا نسجل الرسالة التاريخية التي أرسل بها اسماعيل بتاريخ 15 شعبان 1109 = 26 - 2 1698.[8]

لقد ذكرتنا رسالة المولى اسماعيل إلى ملك بريطانيا جيمس الذي كان يقيم في (سان جيرمان آن لي) ضيفاً على لويز الرابع عشر، ذكرتنا في نوع من السفارات الدينية التي تمت في العصور الإسلامية الأولى...

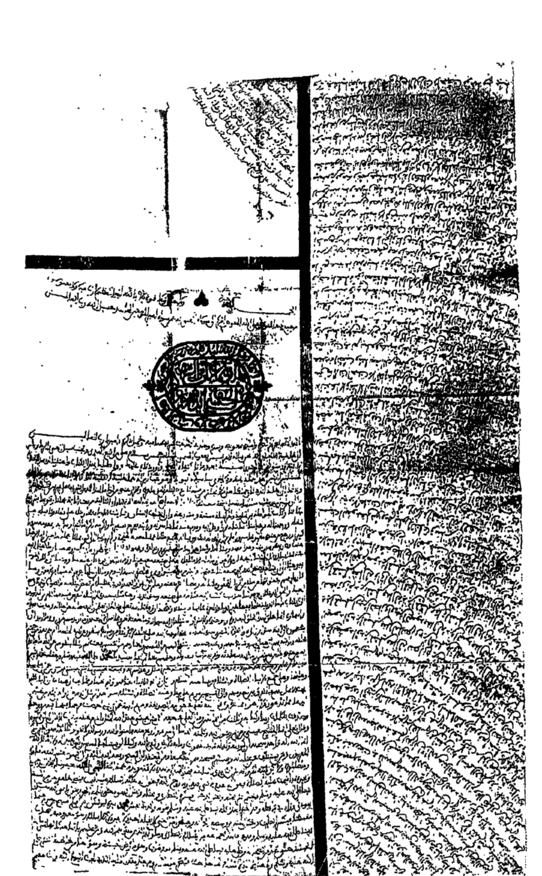
ويتخلص الخطاب للإعراب عن الرغبة في مناصرة جيمس لاسترجاع عرشه من يد ويليام والفلامنك وهم أجانب عن أنجلترا !

وقد كتب العاهل البريطاني للمولى إسماعيل بتاريخ 23 يونيه 1700 يقول له : إن دولافال (Delaval) الذي أرسل سفيراً للمغرب ليفاوض حول الأسرى الإنجليز قد أحاط ملك إنجلترا علماً بمهمته، وأن الملك مرتاح من النتيجة، ولذلك فإنه أصدر أوامره بمعاملة مبعوثي المولى اسماعيل الموجودين حاليا في

---

7) أورد هوبكينز رسالة اعتماد لحاييم طوليدانو كسفير لمولاي اسماعيل لدى الفلامنك والإنجليز، وهي بتاريخ 26 جمادى الثانية 1102 = 27 مارس 1691، انظر ص 30.

8) De castrie : Moulay Ismail et Jacque II Paris 1903



صورة من الرسالة التاريخية التي بعثها ملك المغرب السلطان مولاي اسماعيل إلى ملك أنجلترا جاك الثاني يدعوه فيها إلى اعتناق الإسلام وهي بتاريخ منتصف شعبان 1101 = أواخر يبراير 1698.

لندن معاملةً تليق بمقامهم، وأنه قبل الشروط المقترحة من لدن العاهل المغربي لفداء رعاياه وأنه سيبعث من جديد برسوله (دولافال) إلى قادس لتسلم الأسرى وتختم الرسالة الملكية بطلبٍ جديد إلى السلطان المولى اسماعيل ذلك أن تُمدَّد فترة الهدنة المفروض انتهاؤها في غشت، ستة شهور أخرى...

وبعد وفاة الملك ويليام 8 مارس 1702 ترك عبئاً ثقيلاً للملكة آن (Anne) وهكذا عينت بتاريخ 21 يبراير 1704 السير أندروليك (Andrew Leake) سفيراً مزوداً بسائر الصلاحيات لدى بلاط المولى اسماعيل من أجل عقد اتفاقية سلام وأمان، وقد أُعدت طائفة من الهدايا الثمينة والغريبة للعاهل المغربي وأعضاء حكومته كان من بينها باروميتر بحري، وميكرو سكوب يحمل نقوشاً باللغة العربية تقول : «خلق لنا أشياء جميلة من أجل تثقيفنا» هذا إلى تليسكوب مذهب، ونظارات للقراءة وساعة دقّاقة بأرقام عربية...[9]

وقبل أن يلتحق السفير (ليك) بالديار المغربية جد جديد في تاريخ أنجلترا العسكري، ويتعلق الأمر باحتلالها لجبل طارق الذي يوجد على مرمى حجرة من الأرض المغربية....

إن الملكة آن تحتاج المغرب ليساعدها في جبل طارق وهكذا عوضت سفارة (ليك) بسفارة أخرى برئاسة بول ميثوين (Paul Methuen) الذي زُود بسائر الصلاحيات وعزّز بالمستعرب جوزريل جونيس (Jozreel Jenes) الذي قام بعدة زيارات للمغرب والذي كان يعرف اللغة العربية.

ولقد رأى السلطان المولى اسماعيل في نزول أنجلترا بجبل طارق فرصةً سانحةً لطلب مساعدتها على تحرير مدينة سبتة التي ما انفك الجيش المغربي يحاصرها من جهة البر...

وهكذا نجده يبعث برسالته التاريخية إلى البرلمان الإنجليزي في شهر مارس سنة 1706 في الوقت الذي كان يوجد فيه بلندن فيه مبعوثه أحمد بن أحمد كارديناش (Cardenash) إلى الملكة آن بهدف اقتراح إرسال سفير جديد من قبلها

---

9) يترجّح لدى أنها هي الساعة التي أهداها الملك محمد الثالث للقرويين P.G. Rogers : A History p. 72-73 د. التازي : تاريخ جامع القرويين ج III ص 662.

والحصول على عون بريطانيا لتحرير سبتة من يد الإسبان... وحتى يبرهن على أنه لا يرغب من وراء تحرير المدينة في الحصول على كسب مادي لايتردد في التصريح بأنه يفضل تخريبها ومسْحَها من الخريطة دون أن تبقى في حوزة الأجنبي..!

☆ ☆ ☆

وبالرغم من فشل كارديناش في مهمته فقد بعث العاهل المغربي بسفيرٍ جديد عام 1710 وكان هذه المرة مسيحي العقيدة أرمني الأصل أملاً في إقناع أنجلترا، كان هذا السفير هو ابن توره دو زاري (Bentura de Zari).[10]

ولم تلبث أنجلترا ـ بعد أن مكنت أقدامها في جبل طارق باعتراف معاهدة أوتريخ (Utrecht) بالنمسا عام 1713، بملكية الجبل وذلك من طرف فرنسا واسبانيا وهولاندا... أن أرسلت من جديدٍ بوفادةٍ بقيادة جورج بادُّون (G. Paddon) تستهدف عقد هدنة بحرية بين البلدين وتحرير المزيد من الأسرى...[11]

وقد استقبل العاهل المغربي المبعوث الإنجليزي (بادُّون) صحبة القائد أحمد بن علي بن عبد الله الذي كان قد خلف والده، وعاد المبعوث مصحوباً بعدد من الأسرى البريطانيين...

وقد حدث أن لم يتفق الطرفان على طريق لتسوية المشاكل المطروحة فكتب السلطان المولى اسماعيل رسالة من مكناس بتاريخ 18 جمادى الثانية 1129 = 18 مايه 1717 إلى الأميرال كورنوال Cornwall يشكو فيها من الأسلوب الذي يحاول به المفاوض الإنجليزي أن يعالج المسائل المعروضة...

☆ ☆ ☆

ونتيجةً لهذا التدخل من المولى اسماعيل لإرجاع الأمور إلى نصابها تقرر إرسال سفارة هامة إلى العاصمة الاسماعيلية 1721 برئاسة شارل ستيوارت حيث

---

10) أورد هوبكينز (Hopkins)رسالةً من مولاي اسماعيل إلى الملكة آن حول هذا السفير، وهي بتاريخ 1 محرم 1125 = 28 يناير 1713.

11) أورد هوبكينز رسالة بتاريخ 22 محرم 1125 = 18 يبراير 1713 مرفوعة من السلطان مولاي اسماعيل إلى الملكة آن يذكرها بما كانت عليه العلاقات المغربية على عهد المنصور الذهبي وإليزابيث...

جرت المفاوضات والمحادثات التي أدت إلى اتفاقية السلام والتجارة الموقعة في فاس في تاريخ 23 يناير 1722 والمكونة من خمسة عشر فصلاً...

ومن حسن الحظ أن نجد ويندس (Wendus) أحد المرافقين للمبعوث البريطاني يقوم بتدوين مذكراته عن هذه الرحلة في كتابٍ صدر منذ ذلك التاريخ...

وهكذا فمن خلال هذا الكتاب الذي أصبح في حكم المخطوط نقف على صفحات مشرقة من التاريخ الدبلوماسي للمملكة المغربية نرى من الممتع الإحالة عليها بالنسبة للذين يهتمُّون بحديث الأًصالة في المغرب...

وقد كان في أبرز ما لفت نظر السفير البريطاني ورفاقه معرض كان يحتفظ به المولى اسماعيل ويضم فيما يضم أبواب مدينة العرائش التي اقتلعها المجاهدون حينما كانوا يقتحمون المدينة لمطاردة الجيش الإسباني المحتل ![12]

وفي يوم 16 رمضان من السنة 1133 = 7 يوليه 1721 بعث إليهم السلطان المولى اسماعيل قائد مشوره ليصاحبهم في جولةٍ ثانية يقومون بها للوقوف على معالم جديدة، وهنا نجد معرضاً آخراً يحتفظ به المولى اسماعيل من نوع يشبه المعرض السالف الذكر، ويتعلق الأًمر بمعدات حربية اغتنمها الجنود المغاربة في حملتهم ضد جيوش دون سباستيان في وقعة وادي المخازن أيام المنصور السعدي ! ومنها قطع أخرى استولى عليها الجيش المغربي بمناسبة حملة السلطان المولى اسماعيل ضد جيوش الاحتلال التي كانت بالأًمس تحاصر المعمورة وطنجة والعرائش وأصيلا.

ونذكر مما له تعلق بهذه السفارة ما حدث أن استهدفت له من بعض الصعوبات الأًمر الذي كاد يفضي إلى فشل المهمة لولا التجاء السفير الإنجليزي

12) Jhohn Windus : a Journey to Meknez د. التازي : مراسيم تقديم أوراق الاعتماد في القصور الملكية على عهد الأمبراطور السلطان مولاي اسماعيل دعوة الحق مارس 1969، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2 ص 74.

إلى مساعدة إحدى سيدات القصر الملكي كان يسمع عن مركزها وهو في ليشبونة من لدى أحد الأسرى السابقين العاملين في البلاط الإسماعيلي.

لقد كان القصر يتوفر فعلاً على طائفة من الأميرات اللائي يعززن المولى اسماعيل من أمثال الأميرة العالمة ربة الدار العلية أم العز خناثة التي كانت على جانب كبير من الثقافة والسياسة.

وهكذا حرر رسالة للأميرة المذكورة بتاريخ 20 يوليه 1721 يذكرها بما سمعه عنها من ذلك الأسير...

وكان أن توسطت أم العز لدى زوجها المولى اسماعيل، ومن الطريف أن نجد هنا نصّ رسالة جواب من الأميرة المذكورة إلى السفير ستيوارت تبشره بأنها رفعت الأمر لمولانا أمير المؤمنين حفظه الله وأنه الآن على بصيرة بحقيقة الموقف وقد وقعت الرسالة باسم أم مولاي عبد الله أم العز خناثة[13]

وقد تم بالفعل يوم 28 رمضان = 23 يوليه استقبال كبير للسفير الإنجليزي بمناسبة استئذانه للسفر وتمت المقابلة على ما كان في المرة الأولى من ترتيب وتقليد، وطلب العاهل المغربي للسفير - بعد أن طمنه على مهمته - إبلاغ سلامه إلى جلالة الملك جورج الأول، وجرت كالعادة أحاديث ودية بين السلطان المولى اسماعيل الذي كان قد استأنس بالسفير ستيوارت...

ولقد انتهت السفارة بالمصادقة على اتفاقيّةٍ للسلام بين «الملك جورج وملك بريطانيا وإيرلندا والأمبراطور مولاي اسماعيل ملك فاس وتافيلالت وسوس...»، وكان عدد فصولها أربعة عشر فصلا.. إضافةً إلى الخاتمة[14] وانتسخت منها عدة نسخ...

---

13) كان لأم العز خناثة ولد يحمل اسم مولاي عبد الله الذي كان اسماً محبباً لدى السلطان المولى اسماعيل وقد أعطاه لأربعة أمراء آخرين من أبنائه، وقد عاش من هؤلاء العبادلة واحد هو ابن الحاجة خناثة الذي أصبح ملكاً للمغرب بعد وفاة والده اسماعيل، التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 200.

14) تضمن الفصل الرابع عشر التزام كلا الطرفين بما ورد في بنود الاتفاقية المذكورة ورغبتهما في الاحترام المتبادل.

John Windus : a Jourmey to Megnez, Wilrid Blnnt :

Blacke Snnrise, Revue France Maroc, 1916

وهكذا نجحت سفارة ستيوارت وحرر الأسرى الإنجليز وعددهم مائتان وثلاثة وعشرون أسيراً... وقد أضفى العاهل المغربي في رسالةٍ بعث بها من مكناس بتاريخ 13 شوال 1133 = غشت 1721 حملها معه السفير ستيوارت إلى الملك جورج الأوّل أضفى فيها على الدبلوماسي الإنجليزي صفة العقل الراجح والنصح والنبل...

☆ ☆ ☆

وطبقاً لِمَا سبق للسلطان المولى اسماعيل أن وعد به مبعوث الملك جورج، فقد أرسل السيد عبد القادر بّيريس سفيراً لدى جورج يحمل خطاباً هامّاً بتاريخ 25 شوال 1135 = 29 يوليه 1723.

ولم يلبث أن اتبع بسفير آخر عام 1138 = 1725 كان هو محمد بن علي أبغلي (Abaghli) المعروف بالسفير، بمهمة عقد صفقة لشراء السلاح والتوصية خيراً بمعاملة المغاربة اليهود الذين يتّجرون في جبل طارق معاملةً حسنة، ومن المهم أن أذكر هنا أن (أبغلي) هذا كان ثاني سفير مغربي نجد أثر زيارته للأكاديمية البريطانية بعد محمد بن حدو سالف الذكر حيث كتب الجملة التالية بخط يده :

الحمد لله وحده وكتب هذا الأحرف خديم المقام العالي بالله محمد بن علي أبغلي رعاه الله. سنة بل في آخر شهر مارس عام 1138 = 1726 (31 مارس 1726 = 27 رجب 1138).

الحمد لله وحده
وكتب هذا الأحرف خديم المقام
العالي بالله محمد بن علي ابغلي
رعاه الله سنة بل
في آخر شهر مارس عام 1138
1726

وقد عاد السفير أبغلي - مع أخبار وفاة السلطان المولى اسماعيل - صحبة السفير البريطاني جوهن روسيل ورفيقه بريثوايت، وهكذا نسجل إرسال بعثة بتاريخ 1140 = 1727 من طرف جورج الأول للتعزية في المولى اسماعيل وتهنئة المولى أحمد الذهبي وكانت البعثة برئاسة هذا القابطان جوهن روسيل (J. Russell) يرافقه جوهن بريثوايط (Braithwaîte) السالفي الذكر...

لكن العلاقات عرفت نوعاً من الخمود بسبب القلاقل المترتبة عن التنافس في الحكم، بيد أن المياه لم تلبث أن عادت إلى مجاريها عندما جلس السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل على كرسي الحكم حيث نجده يبعث برسالة إلى جورج الثاني بتاريخ 25 ذي القعدة 1141 = 22 يونيه 1729 على ما يؤكده هوبكينز، كما نجد الملك جورج الثاني يبعث سنة 1729 برسالةٍ إلى العاهل المغربي، حملها إليه بظاهر فاس القنصل جوهن روسيل (John Russell) الذي سبق له أن زار المغرب قبل سنتين... وهناك حصل بتاريخ 13 ذي الحجة 1141 = 10 يوليه 1729 على تأكيد الاتفاقية التي عقدها ستيوارت مع المولى اسماعيل 1721...

كانت سفارة روسيل الثانية فيما بين شهر يونيه وغشت 1729 محلّ تعاليق ضافية في المصادر الأُروبية وبخاصة في الأرشيف البريطاني...

وكان من آخر ما قرأناه بحث يتعلق بالمبالغ المالية التي تكلفتها هذه السفارة سواء منها مصاريف التمثيل أو مصاريف السفر أو المصاريف التي تطلبها سير المفاوضات...[15]

☆ ☆ ☆

لكن سلوك الوسطاء الإنجليزيين لم يلبث أن أغضب السلطان المولى عبد الله، وخاصة فيما يتعلق بافتداء الأسرى والتعويضات المطلوبة لتسوية قضاياهم، وهكذا دخل في نقاشٍ مع القنصل البريطاني في طنجة على ذلك العهد جوهن ليونار صوللّيكوفر (John Leonar Sollicoffre).[16]

---

15) Le cout d'une ambassade Anglaise au Maroc au X V III Siecle, cahiers de la mediterrance Uuiversité de Nice Decembre 75 p. 79

16) Chantal de la Veronne: S.F.H.M. Revue d'Histoire maghrébine, V. 10 – Tunis 1983, Docu. 75

ومن المهم أن نسجل هنا رسالة من السلطان محمد بن اسماعيل (محمد الثاني) **إلى جورج الثاني بتاريخ 1 رمضان 1149 = 3 يناير 1737 أورد ترجمتها هوبكينز في مجموعه...**



نموذج من أختام الملك محمد بن اسماعيل : (محمد الثاني)

واستمرت العلاقات بين مدّ وجزر إلى أن كانت حادثة استيلاء مركب بريطاني على مركب فرنسي **على مقربة من مدينة** أسفي **في شهر جمادى الأولى 1166 = مارس** 1754 **فهنا ثارت ثائرة** الأمير سيد محمد بن عبد الله الخليفة المفوض **له من لدن والده في الجنوب، لقد استكبر ولي العهد أن يتم هذا الحدث في** منطقته، ودون علم **منه وهكذا أشهر الحرب على بريطانيا على ما تتحدث به المصادر الإنجليزية نفسها وعلى ما نقرأه مفصّلاً في تاريخ القنصل الدّانماركي جورج هوست لحياة السلطان سيدي محمد بن عبد الله...**

☆ ☆ ☆

وبتفْويضٍ من والده السلطان المولى عبد الله بعث، وهو ما يزال وليّاً للعهد بسفيرٍ عنه إلى جورج الثاني، كان هو عبد الكريم ابن زاكور الذي حمل رسالةً هامّةً جدّاً إلى ملك بريطانيا يحتج فيها باسم والده على تصرف حاكم جبل طارق الذي ثبت تواطؤه مع بعض العناصر المغربية المغرِّر بها...(17) معرباً عن أمنيته في أن يؤدب العاهل البريطاني واليّه على جبل طارق حتى تعود العلاقات بين البلدين كما كانت.

وقد أجاب جورج عن سفارة الأمير الشاب بسفارةٍ كانت بقيادة القابطان هايد باركير (Hide Parker) الذي وصل إلى قصر الأمير يوم ثالث عيد الفطر 1169 = 1 يوليه 1756 حيث سويت المشكلة بطريق حبّي على نحو ما طلبه وليّ العهد...(18)

وهنا كانت سفارة القابطان مارك ميلبانك (Mark Milbanke) بتاريخ 25 اكتوبر 1758 مصحوباً بجوزيف بوفان (Joseph Pophan) كقنصلٍ جديد عوض ريد (Read).

وقد كانت البعثة مزودة بسائر الصلاحيات اللازمة لعقد اتفاقية سلامٍ وتجارة، بيد أن المفاوضات لم تتوصل إلى نتيجةٍ إلا بتاريخ 4 ذي الحجة 1173 = 1760 حيث تم بالقصر الملكي بفاس إبرام المعاهدة...(19)

وهنا تم إرسال القابطان البحري أ. كليفيلاند (A. Cleveland) مبعوثاً من الملك الجديد لدى الملك محمد الثالث لمراجعة بنود الاتفاقية المبرمة بواسطة ميلبانك...

ولَدَى اكتوبر 1762 = ربيع الأول ـ الثاني 1176 بعث السلطان إلى أنجلترا بسفيره الحاج عبد القادر عديّل، وقد صادف وجوده بالديار الإنجليزية وصول

---

17) حكى عن هذه السفارة أسير سويدي كان آنذاك يشتغل بقصر دار الدبيبغ بفاس (شوال 1169 = يونيه 1756) Marcus Berg : Description de L'Esclavage... Stockholm 1757 p. 45.

18) أورد هوبكنز ترجمة رسالة من الأمير سيدي محمد بن عبد الله إلى جورج الثاني من مراكش بتاريخ 29 ربيع الأول 1169 = 2 يناير 1756 إلى رسالةٍ لاحقة أخرى بتاريخ 10 شوال 1169 = 8 يوليه 1756. Host : l'histoire... p. 7 - 8

19) J. Caillé : Les accords.. p. 167

أخبـار عن حجز مركبين إنجليـزيين، الأمر الـذي تسبب في حـادث اعتـداءٍ من بعض الرعاع على شخصية السفير الذي عاد يحمل رسالةً من الملك جورج الثالث بتاريخ 25 مايه 1764.

خديم الصالح عبد القادر عديل ابن اشنو

بتاريخ اثنا عشر يوم من ربيع عام ١١٧٧

وحسب رسالة بتاريخ 17 ذي الحجة 1179 = 27 مايه 1766 بعث السلطان محمد بن عبد الله بسفيرٍ جديد إلى لندن، كان هو الحاج العربي المستيري الذي كان يصحبه الحاج محمد الصعيدي حيث حملت السفارة رسالة إلى جورج الثالث،[20] ومن الطريف أن نسمع أن السفـارة راحت على متن سفينـةٍ مغربيـة كـانت تحمل اسم النّمر (Tigr)، وقد تجددت صلة العاهل المغربي بالملك جورج في نفس السنة حيث وجدنـا رسـالـة جميلـة من الملـك محمـد الثـالث إلى الملك جورج الثـالث بتاريخ 4 جمادى الثانية 1180 = 7 نونبر 1766...

☆ ☆ ☆

وفي أعقـاب تـأزم العـلاقـات بين المغرب وأنجلترا على إثر حجـز مركب إنجليزي على السواحل المغربية وأسر رجال بحريته في صيف سنـة 1772 بعث السلطان سيدي محمد بن عبد الله بمبعوث مغربي هو التـاجر اليهودي يعقوب بن يدر.

ومن الطريف أن نرى ملـك المغرب يكلف المبعوث المـذكور بـأن يحضر لـه كرة أرضيـة وآلـة اسطرلاب وتيليسكـوب الأمر الـذي يكشف عن اهتمـامـات العـاهـل المغربي على ذلك العهد...

وقد حققت السفارة أهدافها وعادت في أوائل دجنبر 1773 حيث نجد ملـك المغرب يبعث سفارةً جديدةً برئاسة السيد الطاهر فنيش الذي قصد لندن في جملـة

---

20) حسب المصادر المغربية نجد أن القائد العربي المستيري راح إلى لندن منذ تـاريخ 1177 = 1764 لغرض إصلاح مراكب مغربيـة واشتراء قطع الغيـار وتزويـد المراكب بمـدافع نحـاسيـة. الزّيـاني : الروضة ص 117 ـ الاستقصا 8، 19 الإتحاف 3، 260.

Host, L'histoire de L'Empreur de Maroc, Tradnc, Damgaard et Guignard, p. 26


بسم الله الرحمن الرحيم
ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

رسالة الملك محمد الثالث إلى الملك جورج
ملك أنجلترا حول سفارة الصعيدي،
بتاريخ 17 ذي الحجة 1179.

هدايا كان منها السباع والنمور والخيول مع تحف مغربية، وقد عهد إلى السيد الطاهر فنيش بإصلاح عدد من المدافع...

وقد كشف العاهل المغربي للعاهل البريطاني بواسطة التاجر مسعود عمّار أن موقف المغرب المتشدد كان نتيجةً لسوء تصرف القنصل الإنجليزي لوجي (Logie) الذي يرغب العاهل في تبديله، وهكذا نجد ملك أنجلترا جورج الثالث يستجيب لطلب ملك المغرب بتاريخ 16 يناير 1783 ويعين السير روجي كورتيس (Roger Curtis)) مبعوثاً لدى المملكة المغربية للتفاوض من أجل تجديد معاهدة السلام والتجارة المبرمة بتاريخ 28 يوليه 1760.[21]

لقد استُقبل المبعوث الإنجليزي في الرباط يوم 10 ـ مايه 1783 وافتتحت المفاوضات التي انتهت بإضافة فصول جديدة للاتفاقية السالفة الذكر...

وبهذه المناسبة تم تعيين جورج باين (George Payne) كقنصلٍ عام بالمغرب حيث زود برسالةٍ من جورج الثالث تحمل تاريخ 28 أبريل 1784 واستقبل من لدن العاهل الذي سلمه رسالةً منه إلى جورج الثالث تحمل تاريخ 20 شعبان 1199 = 5 يوليه 1785 حول السفن المغربية الثلاثة التي تصلّح في جبل طارق... وقد أصبح القنصل العام الجديد بتاريخ 6 مايه 1787 هوجيمس ماريوماترا (Jams Mario Matra) الذي استقبل من طرف العاهل لتقديم أوراق اعتماده يوم 29 مايه 1787، وبعد بضعة أيام من استقباله زاره محمد الزّوين صهر الملك ليفاتحه في شأن الوعود الإنجليزية التي ظلت حبراً على ورق الأَمر الذي قد يحمل الجهات المغربية على إعادة نظرها في الاتفاقيات المبرمة مع أنجلترا !

وقد تمت مقابلة ساخنة بين الملك والقنصل ماترا (Matra) يوم 6 يناير 1789 حيث جرى حديث حول العلاقات الثنائية بين البلدين.

---

21) ورد في تقرير بعث به كورتيس إلى لندن بتاريخ 19 أبريل 1783..! «وفيما رأيته من هؤلاء الناس خلال معاملتي معهم فإنه ليس من خطأ أكبر من النظر إليهم على أنهم متخلفون... فالمغاربة شعب فطن وحساس فيما يتصل بمكانتهم ويستفزهم أن يعاملوا بدون اعتبار..!».

لقد كان محمد الثالث بشعر بمرارةٍ زائدة وهو يسدي لحامية جبل طارق كل المساعدات بينما لا يلاقي منها أي جواب ولا تفاهم... ولابدّ أن نشير هنا إلى التصريح الذي صدر عنه بتاريخ 30 محرم 1204 = 20 اكتوبر 1789 والذي يشجب فيه تصرف الحامية البريطانية بل يندد بها...

وقد توفي العاهل المغربي قبل أن يتوصل بجوابٍ من جورج الثالث عن رسالته تلك وعن تصريحه هذا، وهكذا اختفى سيدي محمد بن عبد الله والعلاقات بين المغرب وأنجلترا على ما نرى....

وقد ابتهجت بريطانيا بتنصيب الأمير المولى اليزيد الذي نراه يستقبل القنصل (ماترا) أربع مرات بالرغم من قصر مدّة حكمه ! ولقد كتب اليزيد رسالة إلى جورج الثالث منذ 16 شعبان 1204= 27 أبريل 1790 يؤكد النية في احترام معاهدة السلام والصداقة ويطلب إرسال سفير إنجليزي لتأكيد ذلك...

لقد كانت مطامح اليزيد الرئيسية هي استرجاع مدينة سبتة وتخليصها من اسبانيا، ولذلك نراه يطلب العون من حامية جبل طارق حيث أرسل أحد ضباطه إلى الجبل لمعرفة إمكانية العون ولإحضار السلاح المطلوب محاولاً استغلال التوتر الموجود بين اسبانيا وأنجلترا ! لكن أملَه لم يتحقق على ما أسلفناه.

المغرب وأنجلترا أيام السلطان مولاي سليمان

وقد توقفت العلاقات، بسبب الظروف التي مرت بها البلاد، إلى سنة 1801،حيث نرى السلطان المولى سليمان يستقبل القنصل (ماترا) في صيف هذا العام حول مسألةِ تزويد الجبل ومساعدةِ الأُسطول البريطاني في البحر المتوسط، وقد انتهت المحادثات إلى عقد اتفاقية مغربية إنجليزية بمدينة فاس المحروسة بتاريخ أواخر المحرم 1216 = 14 يونيه 1801[22] رددت صداها

22) قال الإتحاف في ج 5 : وسيأتي نص المعاهدة السليمانية الجرجية في ترجمة صاحبها إن شاء الله ومن المعلوم أن الجزء الخاص بمولى سليمان لم يطبع لوفاة المؤلف وقد وقفنا على نصّها الكامل بالخزانة الحسنية وسنأتي بنصها في «ملاحق» الكتاب.

تقارير البعثات الأجنبية الموجودة في طنجة ورفعت نصها إلى دولها وقد كان المفاوض فيها من الجانب المغربي الحاج عبد الرحمن أشعاش العامل بثغر تطوان بينما كان المفاوض من جانب (كَريط بريطن) هو الباشدور جيمس ماتره القنصل بطنجة...

وبمناسبة زيارة العاهل لطنجة بتاريخ 18 جمادى الثانية 1218 = 5 اكتوبر 1803 ـ في أعقاب الأزمة المغربية الأمريكية، استقبل المولى سليمان (ماترا) يوم عاشر اكتوبر حيث جرى الحديث حول معونة جبل طارق بالأبقار والمواشي...

وبعد ذلك استقبل السلطان المولى سليمان جيمس كَرين J. Green الذي خلف ماتْرا، بمدينة فاس، ووعده بمساعدة جبل طارق والأسطول الإنجليزي، وقد وجدنا رسالة من مولاي سليمان بعثها من مراكش إلى المستر كَرين بتاريخ 28 ربيع الأول 1222 = 5 يونيه 1807 يعده فيها بالزيادة في الوسق من وقتٍ لآخر مذكراً ـ وهذا مهم ـ بأن بريطانيا إذا ساعدته في إجلاء الإسبان عن سبتة وإرجاعها إلى المغرب فإن مساعدته لأنجلترا ستتضاعف في سائر الميادين.

لقد كان السلطان المولى سليمان يتمنّى ـ كما تكشف عنه رسالة والي طنجة، أن تحاصر بريطانيا سبتة بحراً بينما تقوم الجيوش المغربية بمحاصرة الثغر المغربي برّاً، ولهذا كان موقفه صلباً مع سفارة نابليون لديه...

وبين أيدينا رسالة رفعها بن عبد السلام السلاوي للقنصل كَرين في منتصف ربيع الثاني 1225 حوالي 20 مايه 1810 بعد أن نزلت أنجلترا في مدينة سبتة بقوّتها... إن الوزير السلاوي يستغرب من عدم ظهور بادرةٍ من أنجلترا لمساندة المغرب المحتل. «أي فرصةٍ نجدها مثل هذه لاسترجاع سبتة وهي في حكمنا وفي بلدنا... إن عليكم أن تُجلو الإسبان عن المدينة بالقوة أو تتوسطوا لنا معهم ليرحلوا عنها وكل ما يريدونه منا نعطيه لهم، فإذا لم تستطيعوا القيام لإجلائهم ولا بإقناعهم فارحلوا أنتم عن سبتة واتركونا نحن وهم!!»



بسم الله الرحمن الرحيم وما حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

الى القونصو الاكبر النجليز اما بعد فان هذا الكتاب كتبناه اليكم في ثلاثة مسائل
وما بد تقبلوا واحدة منهم وتجيبونا عنها بما يطمئن به قلوبنا في امر سبتة فاعلموا ان سيدنا
نصره الله لما سمعكم نزلتم بسبتة سره ذالك واعجبه وقال اذا كانت في يد النجليز كانها
في ايدينا ولا جرى فيما بين ايدينا وما عندنا كانه عندنا ثم انه كان ذلك ثلاثة اشهر منذ
انزلتم بها الا من عسكر ولم يحدث ما ينفعنا انكم تمكنتم منها كما نعمكم وعرفنا ان ذالك
انكم ما زلتم تلاحظون الصبنيول وتباشرونهم ولم تزيدوا ان تاخذوا وتحوزوها منهم جميع الخراج
حيث انكم تلبنون فيهم وتحمون وتنهم فلم تزيدوا ان ينسبون لكم الشيء مثل البرانصيص اذ الناس
يعين احد ان غلب عليه فياخذ ما عنده ولا شك ان ذالك الامر [illegible] معاملتكم مع الناس
وربما عهدكم مع كل من خالطتموه كان في ذالك [illegible] ضرر [illegible] مسئلة اذا بقيت بينكم
وبين الصبنيول هاذه الاعانات حتى يحدث الله امرا يغنيكم عن اخذ سبتة ونبقى [illegible]
الذي يغلب على الصبنيول فيعوتنا [illegible] كما انه لولا انكم نزلتم فيها وظننا انكم
ملكتموها ما اخرنا امرها الى اليوم بالوجه الذي يريدون الصبنيول بالخير او بالشر
فلا وجه نجد لها مثل هاذه الساعة التي انتم فيها ملك الصبنيول ولم يشتغل
عليها احد وهي في حكمنا وفي بلادنا وكل من نازعنا عليها اخذناه بحوله ونعلاه ولا نحمل
معه ما افاء [illegible] الله عليه والان الكلام انحصر في ثلاث مسائل اذا انتم ملكتم
البلاد وصارت تحت فهمكم وغلبتكم فانقلوا من بها من الصبنيول يتوجه كل الى
بلده وتكون البلاد لكم خالصة وما عندكم كانه عند سيدنا نصره الله والامر الثاني
اذا وقع لكم عار الصبنيول ولم تزيدوا [illegible] بلادهم فادخلوا في الخير فيما بيننا
وبينهم يخرجون منها ويكنونها لسيدنا نصره الله وكل ما يريدونه من الملك وكانت
كلاعانة بلادهم مثل القمح والشعير والبقر والغنم والدجاج وكل ما هو فالة لسيدنا
نصره الله نعطوه لهم كيف يريدون وكيف [illegible] تقع لهم منفعة عظيمة تجبر بلادهم ولتعلم
ويصلح الله بلا جنسهم احسن من [illegible] سبتة واذا كانوا رجال اليوم يدفعون من بلادهم
العدو والذي اهلك حرثهم ونسلهم والامر الثالث اذا لم تقدروا على الدخول في هذا
الامر ولم يطاعوكم فيه فارحلوا عن سبتة واتركوها لنا [illegible] فلا نجد لهم [illegible] افضل
من هذا فليصبت اليوم كاحد [illegible] الاعانات مضت وبقيت وما بقي بيننا وبينهم الا الحرب
عليها اليوم افضل من [illegible] غير هذا احتج بحكم الله بيننا وبينهم فيها وهو خير
الحاكمين وبه كتب الكبير عمر بن عبد السلام السلوي وفقه الله في منتصف ربيع الثاني عام 1225

رسالة هامة حول محاولة مولاي سليمان لاسترجاع سبتة حوالي 20 مايه 1810

وعنـدمـا اضطر القنصل كَرين لترك وظيفتـه عـوض بـالقنصـل جيمس دوكلاص (J. Douglas) لكنه اضطر للعودة لجبل طارق بسبب الطاعون الـذي انتشر مرة أُخرى... وأنـاب عنـه أثنـاء تغيُّبــه إسحـاق ابن صـور (Issac Abnsur). وقـد حـدثت بتـاريـخ 22 ينـاير 1821 حـادثـة عكرت الأَجـواء بعض الشيء أيام كـان قنصل السلطان المولى سليمان بجبل طارق هو السيد أحمد بن عمر بجة.[23]

وفي مراسلة بتاريخ 26 أبريل 1822 سجل دوكَلاص انطباعاته عن السلطان مولاي سليمان قائلاً : إنه إنسان رقيق الحاشية وعلى درجة كبيرة من الأَنـاقـة، ويقول المغاربة : إنـه يصلح أمبراطوراً في السمـاء أكثر ممـا يصلح حـاكمـا لهـذه الأَرض حيث ينبغي عليه أن يمارس حكمها بدرجة من القسوة...».

وقد أدرك السلطـان أجلـه بمراكش يوم 13 ربيع الأوَّل 1238 = 28 نونبر 1822 حيث عوضه بطلب منه ابن أخيه السلطـان المولى عبـد الرحمن بن هشـام الـذي امتد حكمه زهاء سبع وثلاثين سنة.

وقد استقبل القنصل البريطـاني من طرف السلطـان الجديـد بمـدينـة فـاس أواخر سنـة 1823 حيث حمل إليـه رسـالـة من الملـك جورج الرابع مع عـددٍ من الهدايا.

وقـد كـان مـوضـوع المحـادثـات اقتراحـه بتعـديـل معـاهـدة أواخر المحرم 1216 = 14 يونيـه 1801 التي أبرمت في عهـد السلطـان المولى سليمـان حيث حصلت تغييرات الفصـل السـابـع الثـامن بتـاريـخ 18 جمـادى الأُولى 1239 = 19 يناير 1824، وحمل القنصل العام جواباً من الملـك المغربي إلى جورج الرابع أورد نصه النقيب ابن زيدان في كتابه الاتحاف.[24]

---

23) هكذا تسميه المصادر البريطانية P.G. Rogers : A History of Anglo – Moroccan Relations To – 1900 p. 134 – 37 – 140 – 204. ويحتفظ الأَرشيف بعدد من المراسلات حول هذا القنصل المغربي... وبخاصة بعد وفـاتـه حيث نجد رسـالـة من السلطـان المولى عبـد الرحمن إلى جورج الرابع يطـالب بممتلكـات السيد أحمد بجة، وفي رسالة بتـاريخ 7 يوليـه 1826 إلى الوزير الطـالب بن جلول نجد دوكَلاص يخبر بما آلت إليه مخلّفات القنصل المغربي محمد داود : تاريخ تطوان 8 ر 39.

24) الإتحاف 5 ر 185.

وقد حدث في أيام السلطان المولى عبد الرحمن أن طمحت نفس العاهل إلى إحياء الأسطول المغربي الذي كان عمه السلطان المولى سليمان أعرض عنه بعد الأزمة الأمريكية المغربية.

وهكذا تجددت في عهد مولاي عبد الرحمن بعض المراكب واقتني بعض آخر بيد أن هذه المبادرة تبعتها احتكاكات متوالية بين الرؤساء المغاربة وبين بعض السفن الأجنبية، وقد كانت المراكب الإنجليزية ضمن المراكب التي تعرضت للتفتيش الأمر الذي سبب بعض التوتر الذي لم يعرف القنصل الإنجليزي كيف يطوقه !

وقد تم تعيين القنصل الإنجليزي إدوارد دريموندهي (Edward Drumond Hay) الذي وصل إلى طنجة يوم 25 غشت 1829 حيث تم استقباله من طرف السلطان المولى عبد الرحمن يوم 20 جمادى الثانية 1245 = 17 دجنبر بمراكش، حيث أعرب عن الرغبة في الصفح عن الماضي والعودة إلى التعاون بين البلدين.

وقد تحدث دريموندهي مع الوزير الصدر السيد محمد بن ادريس العمراوي وبقي بمراكش إلى أن ودع العاهل يوم 6 يناير 1930 وهو يحمل رسالة ملكية إلى جورج الرابع...



علاقات المملكة المغربية
مع البلاد المنخفضة
في بداية الدولة العلوية

- المعاهدة الأُولى بين المغرب وهولاندا أَيام مولاي اسماعيل.
- حضور السفارة المغربية أمسيةً في بلاط لا هاي.
- رسالة عن السلطانة خناثة إلى الولايات العامة.
- القرصلة ومساهمتها في الدفع بالعلاقات.!!
- تجديد الاتفاقية المغربية الهولاندية...
- الدوك دوريببيردا يلتجئ إلى المغرب.
- لوحة رخامية على باب قصبة أكَادير نقشت عليها كلمات بالفلامنكية...
- دعوة العاهل لتعمير الصويرة.
- توتر في العلاقات تعقبه معاهدة صلح !
- السلطان مولاي سليمان يقرر إرسال سفيره إلى لاهي.

علاقات المملكة المغربية
مع البلاد المنخفضة
على عهد الدولة العلوية

القسم الأول

واستمراراً في الخطّ الذي كانت عليه العلاقات المغربية الهولاندية أيام دولة السعديين قامت الولايات العامة بإجراء اتصالاتها الأولى منذ تربع السلطان المولى رشيد ثاني ملوك الدولة العلوية...[1]

ولكن العلاقات لم تلبث أن أخذت طريقها بعد ما جلس السلطان المولى اسماعيل على كرسيّ الحكم حيث نجد بتاريخ 13 ذي الحجة 1093 = 13 دجنبر 1682 مشروعاً لاتفاقية مغربية هولاندية تتألف من واحد وعشرين فصلا تدارسها الجانبان...

وقد توج المشروع بطابع السلطان المولى اسماعيل، وجاء في صدره ما يلي :

«الحمد لله، تقييد شروط تقع الهدنة عليها بين الإمام الفخر، المقلد بسيف العز والنصر، السلطان الأفخم ملك العرب والعجم مولانا أمير المومنين وحامل راية المجاهدين في سبيل رب العالمين ذي المجد الأثيل، والحسب الأصيل أبي الفداء مولانا اسماعيل أيده الله تعالى بالنصر والتمكين وأبقى الخلافة فيه وفي عقبه إلى يوم الدين، وبين عظيم البلاد الأفلمنكية البرينس دُرَنْج...»

1) Colonel Justinard : Quelques Documents inédits sur le Maroc 1670-1680 Hesp. 1950 p. 97-99.



الاتفاقية المغربية الفلامينكية الهولاندية على عهد السلطان المولى اسماعيل، وهي بتاريخ 13 ذي الحجة 1093 = 13 دجنبر 1682.

وقد جاء في ختامها هذه العبارات التي لها دلالتها : «إن هذه الشروط التي يعقد الصلح عليها ويتم بها هي بموافقتنا وعن أذننا ورأينا ووفاق رعيتنا... وعقدناها بنيّتنا وعن طيب أنفسنا ورضيناها وقبلناها على حسن مرادنا وأنزلنا عليها طابعنا المعروف لنا».

وقد صدر ظهير من السلطان المولى اسماعيل بتاريخ 6 شعبان 1094 = 31 يوليه باعتماد الخديم يوسف طوليدانو ليبلغ هولاندا مقترحات العاهل وهو يكلف في نفس الظهير الخديم يوسف مميران بنتيجة الاتصال.

وجواباً عن سفارة السلطان المولى اسماعيل إلى هولاندا بعثت هذه بالسفير خوان سميث الذي كان مصحوباً بالتاجرين يوسف مشكيطة وحاييم طوليدانو، ومعهم ستمائة بندقية وستمائة قنطار من البارود وهذا ما تكشف عنه رسالة للمولى اسماعيل إلى «كافة الاصطادوش» وهي بتاريخ 10 رمضان 1095 = 21 غشت 1684 التي طمّن فيها هولاندا بأن شروط المهادنة في البحر بين الجانبين مضمونة وهو يطلب بالمزيد من البنادق والبارود، وباستيراد الأدوات اللازمة للأُسطول، وتتخلص الرسالة لتأكيد التّوصية بالمندوب المغربي في لاهي يوسف طوليدانو[2]

وكما أشارت إليه الرسالة المذكورة، فقد أصبحت الصيغة النهائية للاتفاقية المغربية الهولاندية التي تحمل تاريخ 10 رمضان 1095 = 21 غشت 1684 والتي تنص في أبرز ماتنص عليه على إدلاء كلٍّ من بحارة الطرفين للآخر (بالباسبورط)...

ويظهر أن السلطان المولى اسماعيل كان مرتاحاً من نتائج سفارته إلى هولاندا التي أرضت على ما رأينا مطالبه بواسطة السفارة الهولاندية...

---

2) حصلنا على الوثيقة من أرشيف هولاندا بواسطة السيدة هيلدا حرم السفير الهولاندي في بغداد : رونارديل دولاڤاليط (De Lavalette) وهي تحمل رقم 24 ـ 12594 وقد وقفتُ عليها في هولاندا أثناء زيارتي بتاريخ 31 ـ 7 ـ 1975. ريجيكس أرشيف (Rijiksarchef).

الحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله تعالى الإمام الغالب بالله والمتوكل على الله أمير المؤمنين المجاهد في سبيل رب العالمين

إسماعيل بن الشريف الحسني أيده الله ونصره آمين



فنشكركم بهذا إن شاء الله تعالى قد بعثنا لكم مع خديمنا الذمي يوسف طلطان الكتاب على تاريخ

[illegible] وأعلمنا على يد خديمنا الذمي يوسف بيرا [illegible] وزاد علينا اليوم من الانفصال

وقال لنا أنكم توقفتم في ذلك لبعض ما بلغ بكم [illegible] وحيث سعى في ذلك خديمنا

يوسف بيرا عقدنا معكم الصلح على العقد الذي عقد ثم على أهل الجزائر واشترطوا

[illegible] خيرا وتمكنوا منا [illegible] بقبضه منكم على [illegible] أجل بالعزم ثم العزم

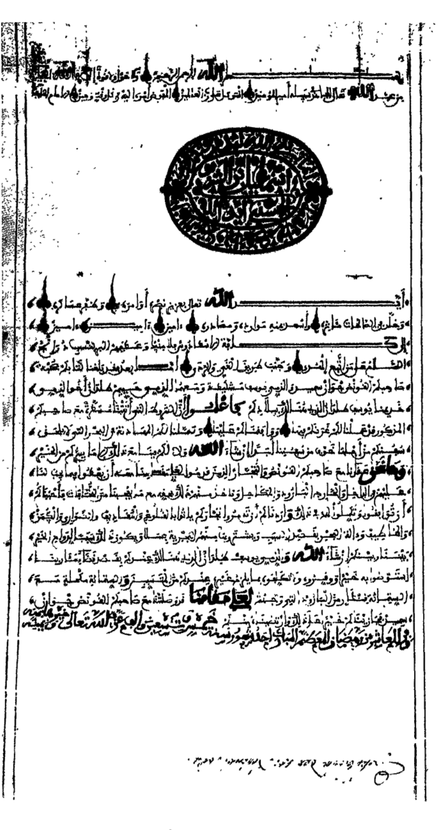
[illegible] وشرط العقد [illegible] على يد خديمنا يوسف طلطان

وهو الذي كلفناه بالكلام معكم [illegible] خديمنا وفي الهادي من شعبان المبارك

سنة أربع وتسعين وألف

استنزل الخير إن شاء الله يصلكم مع حاملها ثلاثة من [illegible]

رسالة من السلطان المولى اسماعيل إلى ولاة هولاندا يعتمد فيها يوسف طلطان الذي عهد إليه بالمفاوضات ـ وقد صحبه ثلاثة من الأسرى الذين أفرج عنهم السلطان المولى اسماعيل، وهي بتاريخ 6 شعبان 1094 = 1 غشت 1683.



رسالة 10 رمضان 1095 = 21 غشت 1684



الاتفاقية المغربية والولايات العامة (هولاندا) أيام السلطان المولى اسماعيل.

وهي بتاريخ 10 رمضان 1095 = 21 غشت 1684.

ويدلّ على الجو الممتاز الذي كانت تعيشه العلاقات بين المملكة المغربية والولايات العامة على عهد السلطان مولاي إسماعيل دعوة البعثة المغربية - لحضور أمسية كالا - من لدن الأميرة زوجة أمير أُورانج، وابنة كَيوم الثالث الذي أصبح ملكاً لأنجلترا، كانت البعثة تتألف من أربعة دبلوماسيين أرسلهم السلطان المذكور، وقد جرت هذه الأُمسية في قصر «وِيس طِن بوش (HUIS TEN BOSCH) - دار الغابة، القصر القريب من لاهي حيث تقيم اليوم الملكة جوليانة عاهلة البلاد المنخفضة.[3]

وقد وجدنا رسالة مسهبة للسلطان مولاي اسماعيل بتاريخ 10 صفر 1097 = 6 يناير 1686 توجَّه بها إلى الولايات القائد حسن أشكيرد حول صفقة أسلحة اشتراها المغرب لكنها لم توافق الغرض المطلوب، وتتحدث الرسالة عن السفينة الفلامنكية التي استولى عليها الرئيس عليّ حَكَم والتي أعادها العاهل إلى الولايات اعتباراً للصلات التي تجمع بين الطرفين...

كذلك نجد رسالة منه بتاريخ 27 جمادى الأُولى 1099 = 30 مارس 1688 تخبر بوصول جواب الولايات بواسطة حسن أشكيرد الذي نقل إلى العاهل عواطف الحكام، وهو يعد الفلامنك بإبرام اتفاقية أخرى متى ما استجابت الولايات لطلب العاهل المغربي.

وتأتي رسالة أُخرى بتاريخ 15 ذي القعدة 1101 = 20 غشت 1690 يهدد فيها السلطان مولاي اسماعيل بقطع الهدنة ! «إنّ ما ورد علينا من العدة مع المعلم ابن ديبة التطواني وحسن اشكيرد الرباطي لا خير فيها، لقد تكسَّرت سريعاً... يضاف إلى هذا أنكم لم تبعثوا لنا بالأسرى المسلمين الذين عندكم...

وقد ورد علينا قنصلكم جوان سميت يلتمس التريُّت وإبقاء الهدنة، وها نحن بعثنا لكم بخديمنا حاييم طوليدانو...

3) قدم نسخة اللوحة السيد سطرينجير سفير البلاد المنخفضة بالرباط إلى السيد عبد الرحمن بادو كاتب الدولة للشؤون الخارجية يوم 2 يونيه 1979 بمناسبة وداعه 27 Julu 2 (MAPI) المجلد الأول ص 215.

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله تعالى أمير المومنين المتوكل على رب العالمين الناصر لدين الله المجاهد في سبيل الله إسماعيل بن الشريف الحسني أيد الله أمره

وأعز نصره
وأدام تأييده
ونصره
بمنه
آمين



إلى جماعة اسطادوس اسطادس [illegible] الفلمنك

بعد السلام على من اتبع الهدى وسلك طريق الحق واهتدى، أما بعد فاعلموا

أننا كنا قبل هذه الساعة تغيرنا على قنصولكم جوان [illegible] واقتضينا له أمر المهادنة التي كانت بيننا

وبينكم وخرجت حينئذ سفوننا الجهادية [illegible] في البحر فالتقى فيها [illegible] رعاه الله وحفظه

بسفينة للفلمنك موسوقة بالسلاح وفيها ستة عشر نصرانيا فأخذها وأتى بها إلى [illegible]

الثغور المحروسة [illegible] الثغر بها جاءنا [illegible] بالله الزموري

[illegible] إبراهيم [illegible] واشتكيا علينا ورغبا من علي مقامنا [illegible] الله

فغاية الرغبة أن نرد السفينة المذكورة على أربابها فقبلنا رغبتهما في ذلك ورددناها على

أربابها [illegible] بجميع ما احتوت عليه من [illegible] وسلاح ولم يضع لهم منها شيئا [illegible]

[illegible]

[illegible] وكتبنا إليكم بما في غرضنا وجعلنا له أجلا في أمر المهادنة [illegible]

بالسلامة إن شاء الله من عندكم [illegible] ممتثلين [illegible] لجميع ما تضمنه

من أغراضنا [illegible] العلي بالله [illegible]

[illegible] والسلام

أوائل ربيع الثاني سنة اثنين ومائة وألف عرفنا الله خيره بمنه آمين

رسالة من السلطان المولى اسماعيل إلى الولايات العامة أوائل ربيع الثاني 1102

وفي هذا الموضوع أيضا وجدنا رسالةً من السلطان المولى إسماعيل إلى ديوان الفلامنك بتاريخ أوائل الثاني 1102 = 12 يناير 1690 حول توسيط حاييم طوايدانو وابن عمه إبراهيم ميمران لتحرير السفينة الفلامنكية الأمر الذي استجاب له العاهل المغربي الذي ينتظر نتيجةً هذه المبادرة من الديوان.

وإلى جانب عددٍ من الرسائل المحررة - بصفة استثنائية - باللغة الإسبانية تتصل بحوادث القرصنة ينتقل بنا الأرشيف الوطني إلى أيام السلطان مولاي عبد الله حيث نجد رسالة إلى الولايات العامة بتاريخ 22 ذي القعدة 1141 = 29 يوليه 1729 يخبر باعتماد سفيره التاجر إسحاق مشكيطة.

ومن الطريف أن نجد رسالة مرفوعة عن الأميرة خناثة بنت بكار إلى الولايات العامة بنفس التاريخ 22 ذي القعدة 1141 = 19 يونيه 1729 حول مهمة السفير السابق وكأنها تأكيد من «لالة سيدنا نصره الله وأدام وجوده».

ونقف بعد هذا بتاريخ 23 محرم 1142 = 18 غشت 1729 على التوجيهات التي بعثها العاهل المغربي إلى الباشاظور الرايس الحاج عبد القادر بيريس السلوى فيما يتصل بالعلاقات المغربية الهولاندية.

ثم نجد رسالة بتاريخ 8 شوال 1142 = 26 أبريل 1730 حول تكليف بيريس ورفيقه الذمى عازّر بالتوجه إلى الولايات لشراء بعض المعدات الحربية....

وقد وقفت على الترجمة الكاملة للاتفاقية المغربية الهولاندية التي تتألف من خمسة عشر فصلاً وهي بتاريخ 8 نونبر 1730 = 27 ربيع الثاني 1143 بالرغم من أن ابن زيدان لم يجعل لها تاريخا[4].

والفرق بين ما عثرنا عليه في لاهاي وبين ما يوجد عند ابن زيدان أن النص الهولاندي وقعه الحاج عبد القادر بن المحمَّد بيريس بتحفظ هكذا : إذا رضى سيدنا نصره الله، بينما النص العربي في «الإتحاف» يذكر في المقدمة أن وكيل

---

4) الإتحاف 4، ص 484.



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الى كافة الاصطادوا [illegible] السلام على من اتبع
الهدى اما بعد فاعلموا ان اخوانكم بكوا علينا
وتمرغوا بين ايدينا وطلبوا الكلام معنا في فدية اخوانكم
في القدوم الينا بهديتكم فتشفعنا فيهم واذنا بعد
ذلك لخديمنا الناجح اسماعيل [illegible] ان يفرح اليكم
ويتكلم معكم لانا [illegible] به وبعثنا له اليكم فتشفعوا به
فيما يقول لكم في جميع حوائجنا في الهدية والفدية
وكل من قدم معه الينا لا يكون الا في خاطر وحي في امان الله
ويرجع في امان الله والسلام وكتب في الثاني والعشرين
من قعدة الحرام عام واحد واربعين ومائة والف

رسالة من السلطان مولاي عبد الله إلى الولايات العامة بتاريخ، 22 ذي القعدة 1141 = 19 يونيه 1729.

رسالة من السلطانة خناثة إلى الولايات العامة بتاريخ 22 ذي القعدة 1141 = 19 يونيه 1729.
عن إذن لالاتْ سيدنا خناثة بنت بكار.

الملك هو القائد محمد لوقاش بينما كان وكيلا هولاندا هما الأخوان : لويس وفرانسيسكو باتلر (Butler).

وكتب خديم المقام العلي بالله الحاج
عبد القادر بن محمد بن بيسر وفقه الله
[illegible] سيدنا نصره الله

وقد صحب نصّ المعاهدة خطابٌ من السفير بيريس يفسّر فيه البواعث التي دفعت بالمغرب لإبرام هذه الاتفاقية بعد أن طالت المفاوضات حولها...

وقد سجل التاريخ المغربي اسم شخصيّةٍ وردت من لاهاي على المغرب بعد جلوس السلطان المولى عبد الله ابن اسماعيل على كرسي الحكم.

ويتعلق الأمر بالدوك دو رپيردا (DE RIPERDA) الذي كان من رجال السياسة والاقتصاد في عصره، والذي طلب إلى أحد سفرائنا في لاهاي أن يتوسط له لدى السلطان المولى عبد الله من أجل الالتجاء إلى المغرب والبقاء على دينه والاحتفاظ بحريته قُرب أمواله... الأمر الذي وافق عليه المولى عبد الله ، الذي عهد إليه في أواخر ولايته الأُولى بمهمة سرية لدى تونس أيام الباي حسين حيث وصلها في المحرم 1147 = يونيه 1734 على أن يعود للمغرب فيدركه أجله بمدينة تطوان.[5]



الدوك دي ريبيردا (El Duque de Riperda)
من أكابر رجال السياسة والاقتصاد في عصره طلب من أحد سفرائنا في لاهاي أن يتوسط له لدى السلطان المولى عبد الله بن اسماعيل من أجل الالتجاء إلى المغرب فسوعد على ذلك، ولم يلبث أن عهد إليه بمهمة سرية من لذن سلطان المغرب لدى تونس التي وصلها في يونيه 1734 = محرم 1147 وقد أدركه أجله في تطوان.

5) داود : تاريخ تطوان III، 37.

وتتجمد العلاقات بين المغرب وهولاندا أثناء فترة التنافس على الحكم إلى أن يعود السلطان المولى عبد الله لكرسي الحكم في ولايته الرابعة، حيث نجد أثراً لوجود خبراء هولانديين حوالي سنة 1159 = 1746 بحصن المنكّب على باب أكَادير (إيغير)، ويتعلق الأمر بالرخامة التي توجد إلى الآن على الباب تحمل ذلك التاريخ المهم في الحياة السياسية والدبلوماسية للمغرب... لقد نقش على تلك الرخامة من جهة اليمين : (الحمد لله، على خاطر سيدنا المنصور بالله) بينما نقش على جهة اليسار هذه الكلمات : Vreest Godende Eert Den Konig.(6)

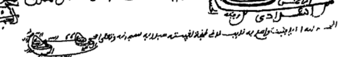


رخامة باب قصبة أكَادير

وبالإضافة إلى هذا نجد سفارةً هامة من هولاندا عام 1166 = أواخر عام 1752 برئاسة الآخوين الباشادور فرانسيسكو، ولويز بوتلير، (Butler) وردا على العاهل يحملان إليه رسالة الولايات مع فدية الأسرى الهولانديين... وكانت هذه مناسبة لعقد اتفاقية 14 محرم 1166 = 21 نونبر 1752.

وهو الأمر الذي تكشف عنه رسالة بتاريخ 28 محرم 1166 = 5 دجنبر 1752 بعثها السلطان المولى عبد الله إلى ليصطادوس السبعة ديوان الفلامنك المعظمين في جنسهم، تحمل بعد الحمدلة والتّصلية (عبد الله كان الله له)

6) د. التازي : أكَادير إيغير من خلال التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ندوة مدينة أكَادير الكبرى 10 - 12 أبريل 1986 جامعة القاضي عياض، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكَادير.



الاتفاقية المغربية الهولندية

وتختم بهذه العبارة : وما طلبتموه من المهادنة فها نحن معكم على عهد سيدنا الوالد قدّس الله روحه في الجنّة».(7)

وقد أورد صاحب الإتحاف(8) نص الاتفاقية 14 محرم 1166 = 21 نونبر 1752 كاملاً.

وقد وصلت في شهر شوال 1167 - يوليه، غشت 1754 رسالة من الولايات العامة مرفوقة بنص الاتفاقية المغربية الهولاندية بعد أن صادقت عليها الولايات إضافة إلى طائفة من الهدايا المرفوعة إلى السلطان المولى عبد الله...

وجواباً عن هذا كتب ملك المغرب برسالتين اثنتين بتاريخ 2 رجب 1168 = 14 أبريل 1755 إحداهما مرفوعة إلى الاصطادوس ديوان الفلامنك يخبر بأنه بأنه توصّل بالبراءة (الرسالة) صحبة الهدية بواسطة القنصل الهولاندي المقيم بتطوان ديميتري(9) وهو يشكر الولايات العامة على مبادرتها.

أما الرسالة الثانية فكانت موجهةً إلى القنصل المذكور نفسِه وتحمل نفس التاريخ، يخبره بتوصُّله بخطابه مع رسالة وهدية ديوان الولايات العامة... وقد وصل الجميع بواسطة أحمد المؤذن التطواني الذي أنفذه للقائد محمد لوكس (لوقاش)، ويطلب إليه العاهل بهذه المناسبة أن يعمل على أن يرسل للعاهل ألف قذيفة تكون من العيار الذي يتناسب مع المدفعين اللذين بعثت بهما الولايات

☆ ☆ ☆

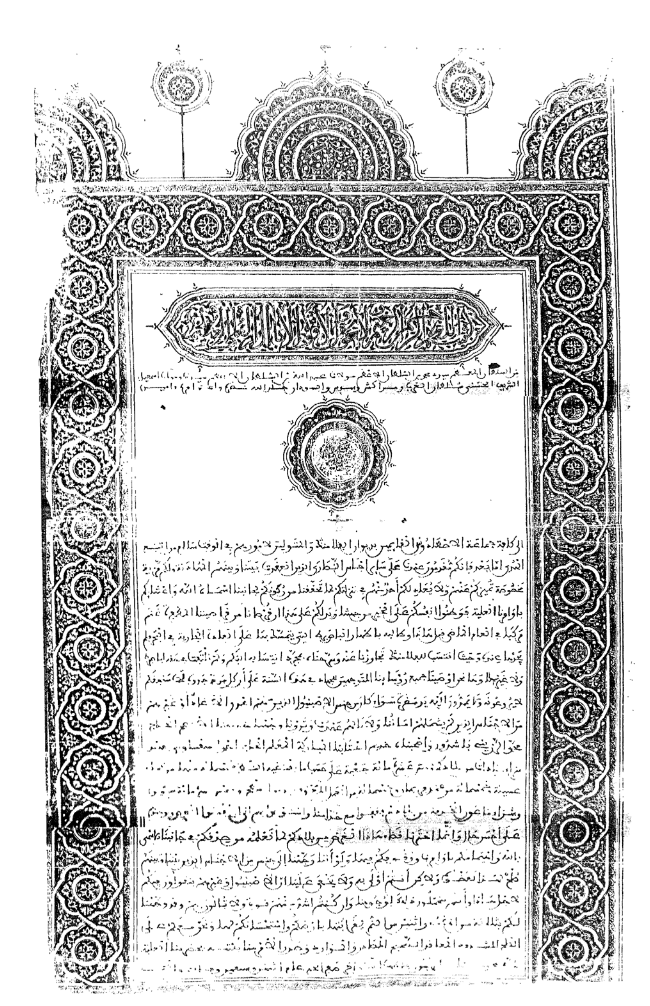
ولم يمض وقت قليل على جلوس الملك محمد الثالث على العرش حتى وجدناه يتابع الاتّصال مع أصدقاء أسلافه : حكام الولايات العامة، وهكذا وجدنا رسالة محررة بمكناسة الزّيتون بتاريخ أواخر صفر 1172 = أواخر اكتوبر 1758 وتتضمن تأكيد المودّة والإخبار بتحرير سفينةٍ فلامنكية من لدن المجاهدين المغاربة بمجرد ماعلموا أن ركابها يحملون «باص بُرط» فلامنكياً.. وهو يخبر بإرسال سفيره محمد الرزيني التّطواني مصحوباً بالحاج أحمد الشفشاوني، وقد

---

7) الاستقصا ج 7، ص 184 - 185.

8) الإتحاف 4 ر 484.

9) كان ديميتري كوليتي يعمل صحبة أخيه جورج باتيفياتي - وهما يونانيان في الأصل - كوسانط بين الدول والمغرب، من حكاية أسير سويدي عام 1756 ص 14.



رسالة سيدي محمد بن عبد الله إلى جماعة الاصطادوس، بتاريخ أواخر صفر 1172

أهدى العاهل المغربي ثلاثة من الأسود واثنين من النمر «لِغرابتها في تلك البلاد»...

وبعد رسالة أُخرى في نفس التاريخ تؤكّد مهمة الرزيني نجد رسالة بتاريخ 8 ذي القعدة 1176 = 22 مايه 1763 تعيّن يعقوب ولد ابراهيم بن يدير الفلامنكي واسطة بين الدّولتين مكان والده... ثم نجد أُخرى بتاريخ 6 رجب 1178 = 30 دجنبر 1764 تحمل طابع السلطان سيدي محمد وهي موجهة للرايس الفلامنكي الوارد على مرسى تطوان...

ثم تأتي رسالةٌ تحمل الطابع الكبير وهي تخبر بإنشاء مرسى (الصويرة) وتدعو لتعميره من لدن الولايات العامة، والرسالة تحمل تاريخ سادس عشر ربيع الثاني 1179 = 2 اكتوبر 1765.

وبعد رسالة من السفير الرزيني بتاريخ 19 جمادى الثانية 1180 = 22 نونبر 1766 نجد خطاباً ملكياً بتاريخ 20 محرم 1183 = 26 مايه 1769 كتب بحاضرة مراكش وهو يتصل بسفارة الرزيني كما أنه يتضمن عتاباً للولايات على إيثارها «للغير» ببعض المعدات حسبما رأى ذلك السفير أحمد الغزّال حين توجه للجزائر...[10]

ويتحدث أَبو القاسم الزَّيَاني عن اتّصالٍ تَمَّ بين قنصل لِلفلامنك من جهة وبين العاهل سيدي محمد بن عبد الله من جهة أُخرى في قصره بدار الدبيبغ[11] من مدينة فاس حيث أُثيرت قصة السلاح المزيَّف[12].

وقد أرسلت الأَراضي المنخفضة إلى جبل طارق قسماً من أُسطولها قام باعتراض المياه المغربية ولكن دون أن يقوم بأي عملٍ جدّي،[13] وقد اعتبر

10) هوست : تاريخ محمد بن عبد الله ص 59/43.

11) الترجمانة الكبرى، تحقيق وتعليق عبد الكريم الفيلالي، نشر وزارة الأنباء، المغرب، مطبعة فضالة (المحمدية) 1387 = 1967، ص 157.

12) مخطوط بالخزانة الحسنية رقم 1920.

13) Croisiers et Negociations de mr de Kinsbergen Amsterdam

هذا وأَغتنم هذه الفرصة لأشكر سعادة السفير المغربي الأُستاذ الحسن الفاسي سفير المغرب في لاهي، كما أشكر الزميل الأُستاذ صلوت (SLOT).



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

عن أمر مولانا المنصور بالله سلطان مراكش وفاس ومكناسة وتافيلالت ودرعة وسوس وكافة ممالك المغرب مولانا

الى جماعة اصطادوس من المتولين امر البلاد الفلامنك سلام على من اتبع الهدى اما بعد فان باشادوركم
ورد على حضرتنا العلية مصاحبا للهدية وقد تلقيناه بما يجب وقبلنا ما اتى به عنكم من
الهدية وقد كان غرض خاطرنا الاشتراط عليكم فيما تسلمه الا رجوع خمس من الحجاج من الريف
من قيد الاسر واقعة امرناه بغضا بها من بلادكم وجعلتم عوضهما ما لا على انكم تفكون الا
لفكهم وتبلغونه لهم في مراكبكم حسبما رايناه في كتابنا اليه اخبرنا الحين توجه للجزائر باشرنا
الكلام لفكاك الاسارى وقد شاهد مراكبكم من سلا الجزائر حاملة لاقامة العدد الكثير من البعض
مع ما ينضاف لها من قماش ومدافع وبارود وغير ذلك كما تعرفون وما في حكمها ولم يتولكم تذروية ما
تستحق ... بدلا من ذكرها لحسن سامحناكم وقد ارجعنا اليكم سفيركم بالخدمة والمهادنة على
الاجناس الطاليين والباشادوركم الجنبنا لعقله وتمييزه ونفس معكم على الصلح والمهادنة حد الامر
بكتبه من حضرتنا مراكش حاطها الله في العشرين من المحرم الحرام عام ثلاثة وثمانين ومائة والف

رسالة السلطان مولاي محمد بن عبد الله للولايات العامة حول مهمة السفير الزريني وهي بتاريخ 20 محرم 1183.

المغاربة السفن الحربية حوالي ثغورهم على أنّها أشباح تتحرك على ما يرويه هوست !

☆ ☆ ☆

ويبدو أن هذه الاحتكاكات التي يتحدث عنها كلٌّ من الكاتب المغربي الزّيّاني والقنصل الدانماركي هوست هي التي تشير إليها رسالة من العاهل المغربي إلى ديوان الفلامنك بتاريخ 11 ربيع الثاني 1187 = 2 يوليه 1773 وكان مما جاء فيها :

«... ولا يدخلكم رعب من سفننا الجهادية التي سمعتم أنها متوجهة لناحيتكم فإنه لا ضرر يلحقكم من ذلك، ومَن ذكر لكم أنا نريد بكم سوءاً فقد كذب فلا تثقوا إلا بما تسمعوه من جنابنا الأسمى...»

ولم تلبث العلاقات أن عادت إلى حالتها الطبيعية حيث وجدنا رسالة من العاهل المغربي إلى أميرال البحرية الفلامنكية دانييل بيشوط (P. PICHOT) تخبر بإرضاء الرغبة في الصلح التي أعرب عنها كينز بيرگان (KINSBERGEN)، يوم الأحد الرابع والعشرين من جمادى الأولى عام 1191 = (29 يونيه 1777).

لقد كانت الاتّفاقية تجديداً للعقد المبرم بين الولايات العامة والسلطان مولاي عبد الله بتاريخ 14 محرم 1166 = 21 نونبر 1752 وقد سلف الحديث عنه.

وقد تم اتفاق جديد بين المملكة المغربية وهولاندا بتاريخ 7 شعبان 1191 = 10 شتنبر 1777 يحتوي على خمسة فصول تتناول الفصول الأربعة الأولى منها تحرير الأسرى بينما يمنع الفصل الخامس تحريم أسر السفن المحملة بالحبوب الموجهة إلى «قوم جائعين». إن النبي ﷺ يقول : في كلّ ذي كبد حرّاء أجر...

وبين أيدينا رسالة بتاريخ 8 ربيع الثاني 1198 = 1 مارس 1784 تتحدث عن مهمة السفير الطالب عمر أيوب بوسدرة، وعن المواصفات المطلوبة لبعض أنواع السلاح.

وبين أيدينا رسالة بتاريخ 8 ربيع الثاني 1198 = 1 مارس 1784 تتحدث عن مهمة السفير الطالب عمر أيوب بوسدرة، وعن المواصفات المطلوبة لبعض أنواع السلاح.

ومن الطريف أن يقف المرء على الجرد الطويل العريض بمختلف للهدايا التي توجه بها الفلامنك للعاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله وفيها أنواع غريبة...

ويسجل تاريخ 20 ربيع الثاني 1200 = 20 يبراير 1786 مرسوماً ملكياً يسلم للقنصل الفلامنك بطنجة يتعرف منه أن العاهل المغربي أنعم عليه بالدار التي سكنها الفلامنك أول ما وصلوا طنجة عوضاً عن دارهم بثغر العرائش...

كما يسجل تاريخ 25 ربيع الثاني 1200 = 25 يبراير 1786 رسالة أبلغت الولايات عن طريق الطالب عمر أيوب السالف الذكر تتحدث عن فتح الولايات العامة احتكار التجارة بمرسى العرائش.

وتستمرُّ العلاقات بِصفةٍ جَيِّدة مع الفلامنك على ما نلاًحظه في التعليمات الملكية الموجهة إلى عمر بوسدرة من جهة والمتبادلة بين هذا وقنصل الولايات العامة من جهة أُخرى...

وقد سجل تاريخ 25 من ذي القعدة عام 1202 = 27 غشت 1788 رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى كافة الاصطادوس يخبرهم بأنّه توصل بكتابهم صحبة السفير هرنمان وأنه معهم «المهادنة والصلح التامين..[14]

وبعد جلوس السلطان مولاي يزيد على العرش وجدناه يجدّد مع الفلامنك العلاقات التي كانت مع والده وذلك عندما استقبل القنصل الفلامنكي بلونت...

وقد وقفنا على الرسالة التي تحمل تاريخ 18 ذي الحجة 1204 = 29 غشت 1790.

---

14) هوست : محمد بن عبد الله ص 127 ـ 128.

ومن الطريف أن يقف المرء على الجرد الطويل العريض بمختلف للهدايا التي توجه بها الفلامنك للعاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله وفيها أنواع غريبة...

ويسجل تاريخ 20 ربيع الثاني 1200 = 20 يبراير 1786 مرسوماً ملكياً يسلم للقنصل الفلامنك بطنجة يتعرف منه أن العاهل المغربي أنعم عليه بالدار التي سكنها الفلامنك أول ما وصلوا طنجة عوضاً عن دارهم بثغر العرائش...

كما يسجل تاريخ 25 ربيع الثاني 1200 = 25 يبراير 1786 رسالة أبلغت الولايات عن طريق الطالب عمر أيوب السالف الذكر تتحدث عن فتح الولايات العامة احتكار التجارة بمرسى العرائش.

وتستمرُّ العلاقات بِصفةٍ جَيِّدة مع الفلامنك على ما نلاحظه في التعليمات الملكية الموجهة إلى عمر بوسدرة من جهة والمتبادلة بين هذا وقنصل الولايات العامة من جهة أُخرى...

وقد سجل تاريخ 25 من ذي القعدة عام 1202 = 27 غشت 1788 رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى كافة الاصطادوس يخبرهم بأنَّه توصل بكتابهم صحبة السفير هرنمان وأنه معهم «المهادنة والصلح التامين..[14]

وبعد جلوس السلطان مولاي يزيد على العرش وجدناه يجدّد مع الفلامنك العلاقات التي كانت مع والده وذلك عندما استقبل القنصل الفلامنكي بلونت...

وقد وقفنا على الرسالة التي تحمل تاريخ 18 ذي الحجة 1204 = 29 غشت 1790.

ويلاحظ أن الطابع الملكي يحمل في دائرته الآية : ﴿وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لايُبصرون﴾ كما يحمل في داخله عبارة : «الله حق ناصر الحق، لا إلاه إلا الله محمد رسول الله.

---

14) هوست : محمد بن عبد الله ص 127 ـ 128.

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله أمير المومنين وناصر ملة المسلمين ابن عبد الله مولانا اليزيد المنيف الحسني كان الله



إلى اشطاتدوس جنرل البلاد الفلمنك سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن قونصو
بلدكم نال في خدمتنا وأقررناه على مرتبته عندكم وطلب منا ابقاء الصلح
على ما كنتم عليه مع والدنا رحمه الله فأجبناه إلى أنه لا بد من إتيانه باشدور من عندكم
لنجدد معه الصلح في أول مملكتنا الشريفة كما أعلمنا بذلك جميع الأجناس
ولكم إن شاء الله منا ما يسركم وتحمدون عاقبته والسلام في 18 ذي الحجة عام
1204

رسالة من السلطان مولاي يزيد إلى الولايات العامة، بتاريخ 18 ذي الحجة من عام 1204

وعندما جلس السُّلطان مولاي سليمان على العرش عام 1206 = 1792 سجلنا كذلك بعض المخاطبات بين الجهات المغربية والفلامنكية كان منها رسالة من وزير خارجية الأمير مولاي الطيب أخي السلطان مولاي سليمان يخبر فيها الولايات العامة بأنّ أخاه مستمرّ على الحالة التي كان عليها والده، وانه أي مولاي سليمان يريد أن يبعث سفيراً من المغرب إلى الولايات العامة لِقضاء بعض الأغراض ولذلك فهو يطلب مساعدة السفير المغربي والوقوف معه... وكانت الرسالة بتاريخ 28 ربيع الثاني 1209 = 22 نونبر 1794.

بسم الله الرحمن الرحيم

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم



إلى كبير جنسه البريزيدينتي [illegible] وكافة الاصطادوس
[illegible] السلام على من اتبع الهدى أما بعد فلتعلموا أن
مولانا وأخانا المنصور بالله أعلى الله أمره [illegible] هو معكم
على الحالة التي كنتم عليها مع مولانا وسيدنا الوالد قدس الله روحه ونور
[illegible] وهو أعزه الله جانبه يريد أن يبعث إلى عندكم باشادورا
من أهل خدمته الشريفة في قضاء بعض أغراضه السعيدة بالله [illegible]
[illegible] معه وتعتنوا به في ذلك [illegible]
[illegible] من جانب أخينا السلطان نصره الله كل ما تريدون وتطلبون
إن شاء الله وبتاريخ الثامن والعشرين من ربيع الثاني عام 1209

رسالة من الأمير مولاي الطيب وزير خارجية مولاي سليمان إلى الولايات العامة بتاريخ 28 ربيع الثاني 1209.



بسم الله [illegible] صلى الله على مولانا من لا نبي بعده ولا حول ولا قوة الا بالله

من المتوكل على [illegible] عبد الله أمير المؤمنين على الافانيم المغربية المجاهد في سبيل رب

العالمين [illegible] الرحيم سيدي محمد [illegible] للمزيد زاد الله [illegible]

[illegible] عظيم [illegible] ما بين جماعة [illegible] سلام على من اتبع

الهدى [illegible] وصل [illegible] الوجيه [illegible] الحاج باشدور

مركيزة [illegible] عنكم [illegible] ما كان بينكم وبين سيدنا الوالد رحمه الله

من [illegible] المرموقة بينكم وبين سيدنا الوالد [illegible]

قبلنا [illegible] بالشروط [illegible] التي بعثتموا لاجلها وقبلنا ذلك منه

وعن [illegible] عليها مع سيدنا الوالد وعند الباشدور الواردة من عندكم

المتوصل به [illegible] ما وجهتموا لاجله وفي [illegible] ربيع الاول

عام ستة ومائتين [illegible]

من الوثائق المغربية الهولاندية

العلاقات بين المغرب وبين :
بروسيا ـ النمسا ـ الروسيا
في صدر الدولة العلوية...

- ◻ هامبورغ ـ بريم ـ لوبيك، ومراسلات العاهل المغربي...
- ◻ صدى الإصطدام النمساوي العثماني في المملكة المغربية.
- ◻ سفارة الملك محمد الثالث إلى جوزيف الثاني بفيينا.
- ◻ وساطة المغرب بين النمسا وتركيا ؟
- ◻ الإصطدام مع الأساطيل التي لم تف بالتزاماتها...
- ◻ العلاقات بين الأمبراطورة كاثرين الثانية وبين الملك محمد الثالث.
- ◻ توالي المراسلات بين العاهل المغربي والأمبراطورة الروسية...
- ◻ موسكو تزود المغرب بالقمح في عهد السلطان مولاي سليمان.

العلاقات بين المغرب وبين بروسيا ـ ألمانيا على عهد الدولة العلوية هامبورغ بريم ـ لوبيك.

لقد كان على العلاقات بين هذا الأطراف أن تنتظر أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي تمت في عهده عام 1782 بواسطة التاجر الفرنسي المعروف أوديبير كايّ (Audibert Caillé) «قنصل من لا قنصل له» اتفاقيات بينه من جهة وبين بروسيا وهامبورغ من جهة أخرى على أن تؤدّى للمغرب تعوضات عند رأس كلّ سنة.

وهكذا فبعد الإذن لبروسيا وألمانيا في التجارة مع المغرب، توصل إلى اتفاق بين المغرب وبين الجهتين المذكورتين في العام المذكور[1] بل إن العاهل أمر باشا طنجة بإخبار السلك القنصلي والأجانب المقيمين بطنجة وكذلك رؤساء السفن بتعليماته.

والواقع أنه منذ بداية سنة 1781، ولاجل أن يبرم اتفاق بين المدينة الحرة هامبورغ وبين السلطان سيدي محمد بن عبد الله أخذ السيد رييك (Rieck) قنصل الهيئات التجارية الأُروبية المتحالفة بقادس، أخذ على عاتقه مفاوضة أُوديبير كَاي (A. Caille) قنصل من لا قنصل له بالمغرب، في شأن الوصول إلى اتفاق مع هامبورغ وقد استمرت هذه المفاوضات إلى نهاية سنة 1782.[2]

ومن المؤسف أن عدداً كبيراً من تقارير القنصل رييك (Rieck) وكذلك أعمال البر حول الموضوع تعرضت كلها للضياع أثناء حريق 1842 مع أرشيف هامبورغ،...

---

1) Caillé : Les Accords... p. 223 Host : L'histoire p. 91 – 188

2) J. Caille : Les accords.. p. 40

ومع ذلك فإنه من المهم أن نعرف أن الكونط دوكاستري تحدث عن الإتاوة التي كانت تؤدى للمغرب من طرف هامبورغ كل سنة بأنها بلغت خمسة آلاف دينار...

وتتحدث المصادر الألمانية عن مفاتحة هامبورغ للمغرب بواسطة سفير البرتغال في طنجة السيد كولاصو (Collaço)[3] وقد تبودلت الرسائل بواسطة القنصل في قادس وبين الوزير البروسي فينكيلستن (Finchelstein) من جهة، وبواسطة أوديبير كاي وباشا دكالة من جهة أخرى. وقد كتب الوزير البروسي إلى مراسليه بأن ملك بروسيا يتمنى أن يعيش في سلام مع العاهل المغربي.

وقد بعث حاكم مراكش إلى الملك فريديريك الثاني باسم ملك المغرب، أربعة جوازات من أجل تمكينها للبواخر البروسية حتى لا تجد مصاعب عند رسوها بالموانئ المغربية...

وبمقتضى رسالة تفويض بتاريخ 27 يناير 1784 رشح قنصل لبروسيا بالمغرب لكن أمام رفض فريديريك الثاني أداء الإتاوات إلى المغرب رفض قبول اعتماد القنصل البروسي وعادت العلاقات على ما كانت عليه...

☆ ☆ ☆

وقد كان للمدينة الحرة بريم (Brême) التي تقع في جوار هامبورغ نفس العلاقات التي كانت تقريباً مع هامبورغ، وهكذا - حسب الكونط دوكاستري - تمت اتفاقية بين مدينة (بريم) وبين المملكة المغربية على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله كانت (بريم) تؤدي بمقتضاها للمملكة المغربية ألفي ريال سنوياً... والتحقت لوبيك (Lubek) بمدينة بريم...

لكن الصلات التي لم تلبث أن توقفت بين هذه الجهات وبين المغرب بسبب حروب فرنسا، ولم تعد إلا يوم سقوط نابليون حيث نجد هامبورغ تجدد مهمة كولاصو (Collaço) الذي عمل على إحياء اتفاقية 1806[4] وفي يونيه 1829 تعهدت بريطانيا بحماية الهيئات التجارية المتحالفة (Hanseatique) ووصلت في الوقت نفسه

(3 Pierre – Guillen : L'Allemagne et le Maroc, PARIS 1967 p. 95

(4 Pierre Guillen : L'Allemagne et le Maroc p. 5

رسالة من السلطان مولاي عبد الرحمن إلى المدن الثلاث هامبورغ، بريم، لبيك (Lubek) تطلب الإتاوات المترتبة، وقد تبعث هذه الرسالة رسالة ثانية حملها مبعوث يهودي من الصويرة يحمل اسم أفالو...

وبينما المفاوضات جارية في ربيع سنة 1830 إذا بفرنسا تنجح في انتزاع الجزائر من تركيا ! الأمر الذي وجه ضربة موجعة للأسطول المغربي وهكذا اضطر المغرب لتغيير لهجة حديثه مع الدول الأوروبية جميعاً ! وأعلن المغرب على لسان مليكه أنه يرغب في العيش بسلام مع الهيئات التجارية المتحالفة وهكذا فتح البحر المتوسط على مصراعيه أمام الدول الأوروبية...

العلاقات المغربية النمساوية على عهد العلويين.

وكان للجولات المغربية في عرض البحار أثر قوي على إلفات نظر دول العالم إلى هذا «المغرب الأقصى».[5]

وهكذا فعلى إثر قنص المغاربة لسفينة نمساوية في محرم 1175 = غشت 1761 على عهد الملك محمد الثالث ارتفعت أصوات الإحتجاج بأمبراطورية النمسا[6] ضد «قلة الأمن» بالبحر المتوسط.. !

ولدى سنة 1194 = 1780 جدّ عنصر مهم في العلاقات المغربية النمساوية، فقد حرّر القنصل العام النمساوي الموجود في قادس مذكرة إلى بلاده يقترح عليها إبرام معاهدة مع المغرب على نحو ما فعلته الدول الأربية الأخرى وذلك إذا كانت النمسا ترغب في سلامة تجارتها البحرية بالمنطقة...

وبهذه المناسبة أخبر القنصل النمساوي بلاده بأن العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله قد قام بمبادرةٍ رائعةٍ من جانبه لتخفيف حالة الحذر الموجودة بين الطرفين، وذلك بقراره إرسال سفارة هامة إلى فيينا تستهدف ثلاثة أغراض.

5) Jean Korinek : L'Historique des Relations Tchecoslovaques Avec Le Maroc RABAT 1975 p. 9

6) Jacques Caille : une Ambassade Autrichienne A Vienne en 1783 Hesp. 1962 p. 35

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
من عبد الله المتوكل على الله محمد بن عبد الله كان الله له



الى عظيم الدولة نسكوس لنبلاد وز قيصار يوسف سلام على
من اتبع الهدى اما بعد فقد وجهنا لكم باشادورنا
وهو خديمنا القائد محمد بن عبد المالك وقد كنا عزمنا على
توجيهه لكم في العام الفارط ثم إنا أخرناه لسبب اقتضى
ذالك وها نحن امرناه بذكر لكم مشافهة منه اليكم
وبه كفاية التعريف وقد ذكر لنا خديمنا المذكور أن أخاك
الراي اقرانه وكذا كشكانه حين كنا وجهناه اليه فيما
مضى فرح به الفرح التام واعتنى به غاية الاعتناء ووصف
لنا محبته في جانبنا فاعجبنا ذالك ونحن معكم على
الصلح والمهادنة التامة وانت عندنا متميز عن سائر
ابناء جنسك وكل ما يفعل معكم باشادورنا القائد
محمد بن عبد المالك فنحن امضيناه في تاسع عشر شعبان
عام ... [illegible] امهاجلة عمال [illegible] اصيلا من انه [illegible] كتب من
من [illegible] اليهم يحسنوا اليه ويعطوه كل ما يطلبه [illegible]
واجب امتثال [illegible] والتمام به الكتب

رسالة اعتماد السفير المغربي لدى ملك النمسا

فهي تهنىء الأمبراطور جوزيف الثاني من جهة، وتقدم له من جهة ثانية التعازي بمناسبة وفاة والدته الأمبراطورة مارية ثيريزيا (MARIA THEREZIA) يوم 29 نونبر 1780 كما أنها من ناحية ثالثة تدعو الأمبراطور لعقد اتفاقية ثنائية بين الطرفين...

وقد أخبر القنصل بلاده في رسالته بتاريخ رمضان 1196 غشت 1782 أن السفارة المغربية تحمل معها عدداً من الهدايا الفاخرة فيها عشرة جياد من خيرة الخيول.

ومن جهةٍ أخرى فقد تحرك القنصل النمساوي في ليفورنو (Livorno) (الطوسكان) حيث نراه يرفع تقريراً إلى الأمبراطور يعلق فيه أهميةً كبرى على مثل تلك الزيارة...

وقد أبرز بأن المغرب الدولة الوحيدة التي استعصت على الباب العالي... وانه لا بدّ من الاهتمام بالسفير المغربي الذي يوجد في طريقه إلى فيينا، وتخصيصه بأنواع الاحتفال لكونه يمثل ملكاً يضاهي سلطان تركيا...![7]

وقد وقفت في فيينا على لائحةٍ بأسماء أعضاء البعثة المغربية ووظيفتهم ومراتبهم... كان منهم علاوة على ابن عبد الملك، الحاج محمد المهدي، أمين الصائر وسيدي محمد الكاتب الخاص ومحمد بن عبد الرحمن القابطان العسكري الذي كان يرأس تسعة ضباط مكلفين برعاية الخيول العشرة التي حملوها معهم...

وقد عد منهم ثلاثة موسيقيين : أحمد الشيخ وأحمد الحليق وأحمد كينيكسي...

وهكذا تم استقبال السفير المغربي من طرف الأمبراطور يوم 28 يبراير 1783 وأخذ له رسوم ملون جميل أثناءاستقبال من لدن الأمبراطور، وكان الرسّام الذي قام بالمهمة هو لوشينكول Loschenkohl على ماوقفت عليه في متحف مدينة فيينا Museum der Stadt.

وقد نصت الاتفاقية على «امتياز النمسا على سائر الدول الأُخرى، كما عالجت قضايا تحرير الأسرى من الجانبين وهي القضايا التي كانت تشغل بال السلطان سيدي محمد بن عبد الله كما اهتمت المعاهدة بحقوق الديوانة، والاحترام المتبادل بين

7) Ramon Lourido Diaz : Relacioues Del Alawi Sidi Muhammad B. Abd Allah con el imperio turco en el segundo periodo de su sulṭanato 1775/1790 hesp. tamuda 1986 p. 231.



رسم السفير محمد بن عبد المالك

الدولتين على نحو الاتفاقية المبرمة بتاريخ 1192 = 1778 مع مملكة الطُّوكسان، كما نصت على أن النص اللاتيني للمعاهدة يبقى هو الأَصل...

وقد أبرمت الاتفاقية المذكورة في (فيينا) بتاريخ 14 أبريل 1783 = جمادى الأُولى 1197 وصودق عليها يوم 24 من الشهر المذكور من طرف الأَمبراطور النمساوي وتمت مصادقة العاهل المغربي عليها في منتصف سنة 1784 = شعبان 1198.

وقد تم استقبال السفير المغربي للوداع يوم 22 أبريل 1783 = 19 جمادى الثانية 1197، حيث حمل التّحايا والتّقديرات وعبارات المودة لِملك المغرب كما سلمت إليه على سبيل الهدية ألف بندقية علاوة على الهدايا الأُخرى، وقد وقفت في استانبول على جرد مفصل يحمل تاريخ 22 شعبان 1197 بما أهدى للمغرب من طرف النمسا الأَمر الذي يدل على اهتمام تركيا آنذاك بأَمر هذه السفارة على ما أسلفناه في العلاقات المغربية العثمانية...

وثيقة من اسطانبول تكشف عن اهتمام العثمانيين بأمر السفارة المغربية لدى فيينا !

وساطة مغربية لدى أمبراطور النّمسا لتطويق الخلاف بين العثمانيين وبين النمسا ؟

كلّ الذين يمارسون تاريخ العلاقات الدولية للمغرب يدركون جَيِّداً عن مدى الوشائج الروحية التي تربط المملكة المغربية بالأمبراطورية العثمانية.

يدل على ذلك مراسلات السلطان مولاي اسماعيل مع لويز الرابع عشر ملك فرنسا (1110 = 1698) كما يدل عليه مختلف السفارات المغربية التي كانت تتعاقب علىاستانبول ابتداء من البعثة الأولى برئاسة عديّل سنة 1175 = 76 ـ (1762).

ولقد كان دخول العثمانيين الحرب مع الروسيا في سادس اكتوبر 1768 = 24 جمادى الأولى 1182 بتواطؤ مع النمسا وبروسيا ثم انهزام السلطان مصطفى الثالث أمام الأمبراطورة كاترينا مما زاد في تعميق ذلك الاتّصال بين المغرب وتركيا...

وبمجرد ما استرجع العاهل المغربي الملك محمد الثالث مدينة الجديدة (1182 = 1769) اتجه نحو مساعدة تركيا بكل ما يستطيع عسكرياً واقتصاديّاً على ما نقرأه في مختلف المصادر...

وبمقتضى معاهدة قينارجه (Kaïnardja) عام 1774 أرغمت الروسيا العثمانيين على التخلي عن بلاد القرم حيث ألحقتها بها في غضون 1773 ولم تلبث أن امتلكت كافة سواحل البحر الأسود الأمر الذي احتج ضده العثمانيون !

وقد نصحت فرنسا حليفتها تركيا أن لا تخوض حرباً مع الروسيا آنذاك نظراً للإستعداد الضخم الذي اتخذته الأمبراطورة كاثرينا التي كانت قد عقدت اتفاقية سرية بينها وبين الأمبراطور النمساوي جُوزيف الثاني.

لقد بات جلياً أن مؤامرة كبرى كانت تهيأ للإجهاز على العثمانيين، وأخذ «طريق بيزنطة !!»

كل هذه الأخبار كانت تصل عن طريق فرنسا للسُّلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان يتصوّر الوضع الدّقيق لأخيه السلطان عبد الحميد الذي جلس على كرسي الملك عام 1774.

وهذا ما حدا به، أي ملك المغرب، إلى أن يقوم بعملٍ مّا من أجل تطويق ذلك الخلاف... فالكلّ يعرف أنه لم تكن لنا نشاطات تجارية مع النمسا تستدعي إرسال تلك السفارة في ذلك الحجم ومصحوبة بمثل تلك الهدايا، ولكن القصد ـ على ما يتأكد لدي ـ هو قيام العاهل المغربي بعمل مّا لصالح التخفيف عن إخوته وحلفائه العثمانيين. «إن سلطان المغرب كان يجعل نصب عينيه مصالح الإسلام والمسلمين» كما قال السفير المغربي الطاهر فنيش للعثمانيين عندما سفر لديهم على ما قلناه في العلاقات المغربية التركية.(8)

والاتصال بالأمبراطور النمساوي على ذلك العهد كان يعني الاتصال أيضاً بالأمبراطورة كاثرينا التي نرى العاهل المغربي يعجل الاتصال بها منذ 19 ذي القعدة 1191 = 20 دجنبر 1777 عندما أذن للتجار الروس بدخول الموانئ المغربية، قبل أن يبعث للأمبراطورة شخصياً برسالة مؤرخة في يوم 20 جمادى الثانية عام 1192 = 16 يوليه 1778 على ما نقرأه في العلاقات المغربية الروسية...

ومعنى كلّ هذا أن المغرب الذي يهمه جداً مصير العثمانيين لم يتردد في القيام بمساعيه الحميدة من أجل تطويق الخلاف وتلطيف الجو، ونحن نعلم عن عدد الأسرى الأتراك الذين حررهم العاهل بهذه المناسبة من النمسا وتوجه بهم هدية إلى الباب العالي...(9)

ويتحدّث هوست الدبلوماسي الدانماركي عن العلاقات بين الأمبراطورية المغربية وبين الأمبراطورية الرومانية «كما يسميها» فيذكر إنه بتاريخ 15 يوليه

---

8) التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 165/20/15 ج 2 ص 61 ـ تاريخ الدولة العلية العثمانية ص 173 حسين فوزي (وكالة أنباء المغرب) : تخليد الذكرى 90 لإقامة العلاقات الدبلوماسية بين المغرب والاتحاد السوفييتي، جريدة الأنباء 22 اكتوبر 1987. Journal Maroc – Soir 12 1987

9) نغتنم هذه الفرصة لتقديم جزيل الشكر لكلّ الذين ساعدوني على أداء مهمتي في الأرشيف الوطني بفيينا..

1783 (14 شعبان 1197) وصل القنصل الروماني ڤون تساره (V. TESSARA) مع حاشية كبيرة، أربعة أيام بعد عودة سفير العاهل المغربي من ڤيينا وطوسكان...

وقد احتفظ الأرشيف الوطني النمساوي أيضاً بالرسالة التي بعث بها السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 8 رجب 1198 = 28 مايه 1784 إلى جوزيف الثاني أمبراطور النمسا جواباً على الهدايا التي بعث بها الأمبراطور ومصحوبة بنص الإتّفاقية المبرمة بين النمسا والمغرب التي حملت تاريخ 10 رجب على مانذكره في الملاحق.

وقد أبى القائد ابن عبد الملك إلا أن يشفع الرسالة الملكية والاتفاقية النهائية برسالته المؤرخة يوم 16 شعبان 1198 = 5 يوليه 1784 ويخبر بالإذن لطسارة بالعودة إلى ڤيينا مصحوباً بنصّ المعاهدة...

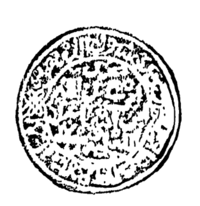
وقد كتب القائد محمد بن عبد الملك كذلك برسالة إلى الأمير كاونيتز بتاريخ 22 ربيع الأول 1199 = 2 يراير 1785 يخبره بأن ضومباي (Dombay) ورد عليه[10] وأخبره بوصول المصادقة على الاتفاقية... وينصح القائد ابن عبد الملك الأمير النمساوي بتعيين قنصلٍ جديد يحل محل طاساره حتى لا يبقى مكان النمسا فارغاً في طنجة !

وقد كانت العلاقات آخذةً سيرها الطبيعي من تبادل الرسائل لولا ماجد على الصعيد الدولي من نشوب الحرب بين العثمانيين والنمسا في أوائل عام 1788، فهنا وقف العاهل المغربي إلى جانب الباب العالي... حيث وجدناه يُصدر بتاريخ 23 جمادى

---

10) درس فرانزفون ضُومباي (Farnz Von Dombay) في أكاديمية اللغات الشرقية وكان هو ترجمان القيصر جوزيف الثاني. وقد ذكر لي المستشرق المجرى فوضور (Fodor) أنه ورد على المغرب باقتراح من السفير ابن عبد الملك الذي كان يستعين به هناك...
وبالرغم من «الوسائل» التي كان يستعملها ضومباي للحصول على الوثائق باستغلاله لحاجة بعض المواطنين، فإنه - والحق يقال - ترك ثروةً نافعةً لمن تهمهم الدراسات المغربية من سائر مناحيها... وقد قام الزميل نورمان ستيلمان (Norman A. Stillman) بدراسة جيِّدة لأوراق ضومباي كمصدر جديد لتاريخ المغرب في القرن التاسع عشر...
د. التازي : وثيقة لم تنشر تتحدث عن إنشاء معهد قبل قرنين لتلقين في الكتابة والتزويق والتجدويل... مجلة معهد المخطوطات العربية - العدد الأول - السنة الأولى، ربيع الأول شعبان 1402 = يناير - يونيو 1982.

بسم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله



هذه اتفاقية شروط الصلح التي
جعلها سيدنا ومولانا المنصور
بالله سيدي محمد بن عبد الله
سلطان المغرب مع عظيم
الدوك ويشك الانبلاعوز

أي وجه من أوجهها من على عهد الله و...

المنعقدة لا ينقضها أحد أو يحدث

بعدها إن شاء الله ولا ينفع فيها حول

الله ربنا إياه لا ... والانفصال والسلام

وكتب في الحادي عشر من رجب

عام ثمانية وتسعين ومائة وألف

عام 01198

من رسائل السلطان مولاي سليمان إلى أمبراطور النمسا

بتاريخ 4 شعبان 1218

الصفحة الأولى والصفحة الأخيرة من الاتفاقية المغربية النمساوية

الأُولى 1202 = 1 مارس 1788 منشوراً إلى كافة القناصل الأجانب الموجودين بالمغرب يقول من جملة ما يقول : «...كل من هو صلح مع السلطان العثماني فهو صلح معنا وكل من هو (كَيرا) معه فهو (كَيرا) معنا...».

وقد قام باشا طنجة بشرح هذا المنشور مؤكداً أن القصد إلى الروسيا وحليفتها النمسا...(11)

ولم تعُد الحياة السياسية بين البلدين إلى مجراها الطبيعي إلاّ في بداية القرن التاسع عشر أيام السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله حيث وردت رسالة من الأمبراطور فرانسيسكو الثاني تحمل تعزية بلاده في وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله، وإذ تعتذر الرسالة عن تأخر العزاء بظروف الحروب الطويلة، تقدم التهنئة للسلطان الجديد، وقد كانت تحمل تاريخ 30 غشت 1803 = 12 جمادى الأُولى 1218 على ما وقفت عليه في أرشيف ڤيينا...

وقد أجاب السلطان المولى سليمان على هذه الرسالة من مكناس بتاريخ 4 شعبان 1221 = 19 نونبر 1803 على ما يوجد في الأرشيف الوطني...

وقد بدأ التّفْكيرُ من النّمسا في استعادة الإتّصال الجدّي بالمغرب عندما أصدر السلطان المولى سليمان إنذاراً للسُّفن التي تحمل العَلَم النّمساوي بأنه سيعْطيها مهلة أربعة شهور حتى تهيء نفسها للمغادرة... لقد أخذت النمسا تتقاعس عن أداء الأتاوات المعهودة بمقتضي الإتّفاقية السالفة وأخذت تعتبرها «عاراً» يخدش في سمعة الأمبراطورية ! على حد تعبير التّقارير المحفوظة...

ولقد كان ڤون پويِّي (Von Pouilly) رئيس البعثة الدبلوماسية النّمساوية وصل إلى طنجة يوم 23 مايه 1805 فاتّجه إلى مكناس حيث كان يقيم السلطان المولى سليمان، وقد تمت المصادقة على الاتفاقية يوم 6 ربيع الثاني 1220 = 4 يوليه 1805 حيث كتَبَ السُّلطان المولى سليمان في نفس التاريخ رسالةً إلى القيصر فرانجسقوس يخبره بوصول سفيره المذكور حاملاً الخطاب وكناش الصلح الذي وقع بين سيدنا الوالد وبين السلطان قيصر في مدة حياتها مع إضافة شرطين آخرين يوافق عليهما العاهل المغربي...

---

11) عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 2، ص 205/204.

بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
من أمير المومنين المجاهد في سبيل رب العالمين عبد الله المعتصم بالله سليمان بن محمد بن عبد الله
بن إسماعيل الشريف الحسني العلوي أعلى الله أمره ومهد له بمنه وفضله أمين



لملك الروم وعظيمهم السلطان قيصر فرنسيسكوس الثاني أما بعد فقد ورد على حضرتنا الشريفة
كتابكم وتعرفنا منه تأسفكم على وفاة سيدنا ومولانا الوالد سقى الله ثراه وفرحكم بما قلده
الله به من أمر عباده وأن سبب تأخير وفودكم على مقامنا العالي بالله ما كنتم فيه من الحروب والعوايق
التي عاقتكم عن ذلك فقد قبلنا عذركم في ذلك لما تقدم لكم من الخير مع أسلافنا الكرام رضوان
الله عليهم وإنا أبقيناكم على الصلح والمهادنة التي سبقت وتقدمت لكم مع سيدنا الوالد
رضوان الله عليه وأنا من أتباعكم وتجاركم آمنون على أنفسهم وأموالهم في البر والبحر وقد أمرنا من أمكننا
الكبرا ورياسيننا المعروفة بذلك بأن يكونوا في ذلك على يقين وبه مطمئنين ووجهوا رسولا إلى بابنا
الشريف وعقب ذلك يعين لكم من يكون واسطة بيننا وبينكم فيما يعرض إن شاء الله في المستقبل وكتب إليكم
من حضرة مكناسة الزيتون في 4 من شعبان المبارك عام 1218

من رسائل السلطان مولاي سليمان إلى أمبراطور النمسا بتاريخ 4 شعبان 1218

الحمد لله وحده   ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم



إلى الملك الأعظم والسلطان المؤيد الأفخم سيد ملوك أجناس النصارى
ورئيس عظمائها بما أوليه من الدهاء وبطانة الذي من إصابة
الرأي وسلامة الفكر والذكاء السلطان قيصر فرانجسقوس
الثاني [illegible] الله له في أقطاره ورزقه علو القدر ورفعة الشان
من أبناء جنسه وأهل أعصاره أما بعد فقد وصلنا بشدور الذي
وجهت به لحضرتنا وبيده كتابك وكناش الصلح الذي كان
وقع بين سيدنا الوالد وبين السلطان قيصر يوسف الثاني في
مدة حياتهما ووقفنا على ما فيه من الشروط وتأملناها فو
جدناها شروطا حسنة كلها فيها الخير والمصلحة للجميع فو
وافقنا عليها وأمضيناها مع بشدور وطلب منا شرطين
آخرين نزيدهما له في الشرط الخامس والثامن فزدناهما له في
فيهما حسبما تقف على ذلك في نسخة الصلح الواردة عليك
وهذا البشدور لما ورد علينا وتلاقينا معه واختبرناه وجدنا
ه عاقلا حازما ضابطا مثله من يوجه لمهمات الأمور و
وعظائم الأشياء وزادنا فيه معرفة برجاحته كونك ا
اخترته وجعلته واسطة بيننا وبينك في عقد هذا الصلح الـ
المبارك وعلمنا أنك لا تسند هذا الأمر إلا لمن هو في
غاية المدينة والثبات من أهل رعيتك والله يصلح بكم أمـ
أموركم [illegible] م ويرزقكم الظفر والنصر على من عاداكم
من أهل ملتكم وبه كتب بقاعدة مكناسة الزيتون في 6 ربيع الثاني
عام 1220

رسالة العاهل المغربي مولاي سليمان إلى قيصر الثاني

6 ربيع الثاني 1220 = 4 يوليه 1805

من مولاي سليمان إلى السلطان قيصر فرانسيسكو أو فرنسوا الثاني... وصلنا باشا دورك وبيده كتابك وكناش الصلح الذي كان وقع بين سيدنا الوالد وبين السلطان قيصر يوسف الثاني في مدة حياتهما... مع إضافة شرطين آخرين.

وقد كان على العلاقات أن تستمر في طريقها لولا حادث وقع أيام السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام، وبالضبط يوم 20 محرم 1244 ثاني غشت 1828 حيث استولى بعض الرؤساء البحريين المغاربة على باخرة نمساوية تحمل اسم (Veloce) فِيلُوصي كانت محملة بالشراب والزيت وعددٍ من الصنادق آخذة طريقها من تريست إلى (ريُّودي جانيرو) وسيقت إلى الرباط[12]

وانتهت الأزمة الحادَّة في الأخير إلى إبرام اتفاقية صلح صدر بها الأمر المعتزّ بالله يوم 29 شعبان 1245 = 23 يبراير 1830 على ما ورد في التصدير الذي يبتدئ بالبسملة والحوقلة والطابع الكبير للسلطان مولاي عبد الرحمن.[13]

وقد حصلت من أرشيف ڤيينا على صورة كاملة للاتفاقية المغربية النمساوية مكتوبة بخط مغربي جميل وتحمل تاريخ 10 جمادى الأُول 1246 = 18 اكتوبر 1830 أي بعد المصادقة النهائية عليها من الطرفين...

ونظراً لما حصل فيها من عطب عند صاحب الإتحاف، وحصل فيها من خطأ في التاريخ في النسخة المحفوظة بالخزانة الحسنية فإني آتي بنصّها في «الملاحق».. مع البلاغ الذي أصدره العاهل بتاريخ 4 رجب 1246 = 19 ـ 12 ـ 1830 حول الشرط الثامن...

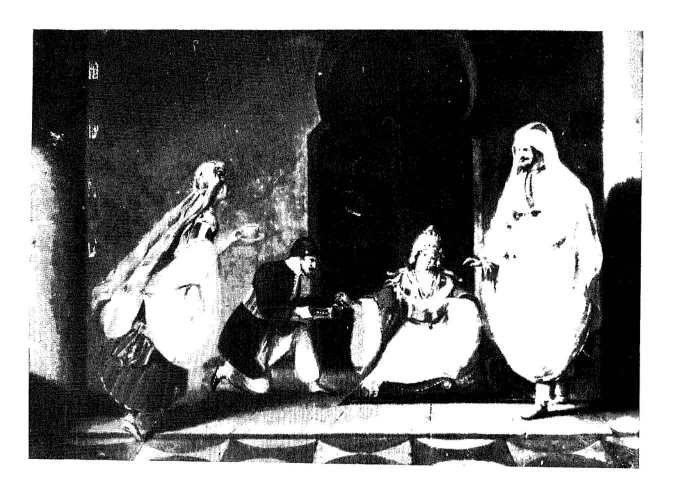
☆ ☆ ☆

ومن دون شك فقد كان لطرق فرنسا أبواب الجزائر أثرٌ على قبول العروض أو بالأحرى على تجميد الأُسطول المغربي الذي كان على حد تعبير المؤرخ البريطاني باربر «أُسطورة البحر المتوسط !».

---

12) J. Caillé Les Derniers Exploit... Hesp 1950 p. 434

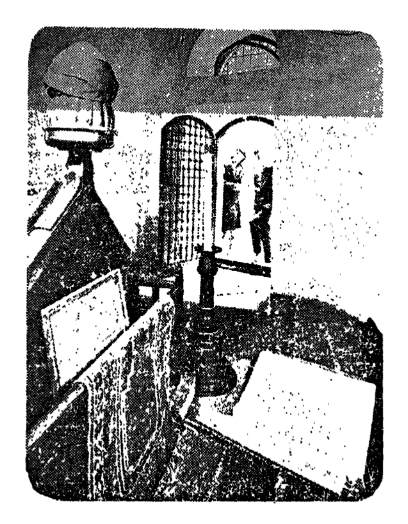
13) لقد اعتذر الأمناء : الطالب بن جلون والعربي السعيدي والطيِّب البيَّاز في رسالة تحمل تاريخ 2 شوال 1244 = 7 أبريل 1829 عن هذا الحدث الذي كان وراء الهجوم على العرائش على ما تحدثت به صحف جبل طارق حيث جرت المفاوضات التي ناب فيها عن المغرب يهوذا بن عليل والتي انتهت إلى توقيع الاتفاقية مع الدبلوماسي النمساوي فلوكّل (Pflügl) الاستقصا 9 ر 26 ـ التاريخ الدبلوماسي للمغرب 2 ر 203 ـ 204 ـ 205.



رسم من الأرشيف الوطني بفيينا قال عنه مدير الأرشيف الدكتور جيرهارد ريل G. Rill إنه أخذ عام 1830 بمناسبة سفارة فلوكّل (Pflügl) لدى ملك المغرب بمكناس حول حجز الباخرة النمساوية...
الرسم يمثل سيدة مغربية ذات مركز يقف إلى يسارها قائد، وهي تتلقى علبة من يهودي وقفت وراءه يهودية.

وبالرغم من أن «المجر» كانت تذكر ضمن الممالك التابعة للأمبراطور فإننا نرى المغرب ـ اعتباراً منه لمركزها المتميز ـ يثبتها مع الدول التسع التي اعترف بها وأعطاها امتياز التزود من مراسيه .

وقد ورد اسم (المجر) كذلك في الاتفاقية التي أبرمها السلطان مولاي سليمان مع الأمبراطور النمساوي فرانسيسكوس الثاني بتاريخ 4 يوليه 1805...



ضريح «تربة» بابا أحد رؤساء الفرق الصوفية وكان نشطا في مدينة «بودا» التي تكون الآن نصف بودابست ومات هناك، حوالى عام 1540 ميلادية، ويزور هذا الضريح اليوم أتقياء المسلمين.

بالرغم من أن بوهيميا (Bohême) كانت كذلك إمارة تابعة لأمبراطور النمسا على حسب ما نراه في الألقاب الخاصة بالأمبراطور، فقد كان لها - كما كان الشأن في الإمارات الأخرى - تعلّق بكسب صداقة المغرب...

وهكذا نجد البروفيسور كورينيك (Korinek) يكشف النقاب عن الرسام العالمي فاكلان هُولار (Faclan Hollar) سنة 1669 الذي ورد على طنجة صحبة اللورد هنري هوارد (H. Howward) وزار المدينة التي كانت لا تزال أسيرةً، وكانت مناسبة للرسام المذكور أن يسجل مناظر لمدينة البوغاز نذكر منها منظراً أخذ من الجبل للقسم الشمالي للمدينة، ومنظراً كذلك أخذ من الجبل للقسم الأسفل من المدينة... ومنظراً لداخل المدينة... وقد كانت هذه مناسبة أيضاً ليضع فيه رسماً متخيلاً للسلطان المولى الرشيد ظلت المصادر الأوروبية تعتمد عليه، وهو الذي وقفت على أصله في الأرشيف الوطني بفيينا...[1]

(1) Jan Korinek : L'Histoire des Relations Thecoslovaques avec le Maroc, Introducton par Dr. ABDELHADI TAZI, Imprimerie Kawtar – Rabat 2975.



العلاقات المغربية الروسية
على عهد العلويين

في 23 دجنبر 1777 أرسل موتسينيغو القنصل الروسي في طوسكان رسالة مستعجلة إلى نائب المستشار أوسترمان يخبره فيها عن وصول حاكم مدينة (المعمورة) والسفير فوق العادة للأمبراطورية المغربية محمد بن عبد الملك إلى (ليفُورنو) لعقد معاهدة صلحٍ مع طوسكان، وقد قام القناصلة المحليُّون بزيارة السفير المغربي ولكن القنصل الروسي موتسينيغو لم يقم بما قام به القناصلة المحليون لعدم وجود آية علاقة آنذاك بين روسيا والمغرب فأرسل يطلب تزويده بتعليماتٍ في هذا الصدد...

ومن جهة أُخرى فقد كتب نينكوف أميرال البحرية الروسية في المتوسط بتاريخ 29 مارس 1778 إلى الوزير الأَول تْشيرنيشوف (Tchernichov) نائب رئيس الهيئة الأَدميرالية العليا ينبئه بأنه قام بزيارة محمد بن عبد الملك وأخبره بأمْر الملكة كاثرينا الثانية بانتهاج سبيل الصداقة بالنسبة للسفن المغربية، وقد أعلن السفير المغربي بدوره عن قرار السلطان المتعلق بفتح الموانئ المغربية أمام السفن الروسية.

وبعد فترةٍ من تبادل الرسائل وضع كازيليا نينكوف تحت تصرف السفير المغربي وبطلبٍ منه (فركَاطتين) مركبين هما «بافل» و «كونستانتيسيا» بقيادة الكابتان سكوراتوف وذلك لكي تنقلا السفير المغربي مع حاشيته إلى مدينة طنجة، وهي المرة الأُولى التي تصل فيها سفن روسية إلى ميناء طنجة...(14)

ويستفاد من الوثائق المحفوظة أن السفير محمد بن عبد الملك طلب عند سفره من طنجة إلى مدينة مراكش طلب من سكوراتوف التريُّث لحين استلام رسائل توجه إلى الملكة كاثرينا الثانية وإلى الوزير الأَول تشيرنيشوف.

---

14) د. التازي : الوساطة المغربية بين الروسيا وتركيا ـ ندوة الرباط شتنبر 1988

وقد تحدثت هذه الرسائل عن تطلع المغرب إلى إقامة علاقات ودية مع روسيا ورغبته في عقد اتفاقية تجارية معها كما عبرت عن الامتنان للتكريم الذي ناله السفير المغربي.[15]

كما كتب محمد بن عبد الملك في رسالته إلى تشيرنيشوف عن الود الذي يكنه العاهل المغربي تجاه روسيا واستعداده للترحيب باستقبال سفيرٍ روسي تبعثه جلالة الملكة...

كما كتب جلالة الملك محمد الثالث إلى كاثرينا مؤكداً على «السلم في البر والبحر» مشيراً إلى أنه حين يجئ سفيركم إلى مرابعنا سنعقد معه مواثيق السلم...

وهذه صورة الرسالة التي بعث بها العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله إلى الكونت تشيرنيشوف الوزير الأول بتاريخ 20 جمادى الثانية 1192 = 16 يوليه 1778 يخبره بتوجيه خطابٍ ملكي إلى الملكة كاثرينا يتضمن المهادنة...

الحمد لله

ولا حول ولا قوة إلا بالله

إلى الكونت دشرنيش وزير عظيمة الموسكوبس
السلام على من اتبع الهدى أما بعد فقد وجهنا لسلطانتكم
كتابا مضمنه أننا نهادن جنسكم برا وبحرا وحين يرد على بلادنا
السعيدة باشدوركم نكمل معه الصلح بشروطه إن شاء الله
وكتب به 20 جمادى الثانية عام 1192

15) هوست : تاريخ محمد بن عبد الله ص 91، تعليق 1.

وكان العاهل المغربي حرر فعلاً رسالة إلى الملكة كاثرينا بعثها إلى الوزير الأول وهي تحمل كذلك تاريخ 20 جمادى الثانية 1192 = 16 يوليه 1778 لم نقف على صورتها ولكننا نسوق ترجمتها[16] استناداً على أرشيف الخارجية السوفيتية :

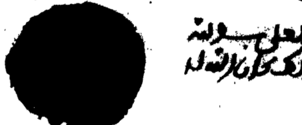
الحمد لله وحده   ولا حول ولا قوة إلا بالله

من عبد الله المتوكل على الله محمد بن عبد الله بن اسماعيل الشريف حفظه الله وأعانه آمين إلى إيكاترينا إليكسيفنا الثانية عظيمة سائر موسكو هداها الله إلى طريقه المستقيم.

لقد علمنا بما راج بين خديمكم كوزليانوف وبين خديمنا محمد بن عبد الملك وتأكدنا من دلائل محبتكم فينا وقد تأثرنا لما نقله إلينا خديمنا المذكور، ولهذا نبعث إليكم رسالتنا المولوية لنؤكد لكم عن مسالمتنا ومهادنتنا لكم في البر والبحر، وعندما يرد سفيركم على أعتابنا الشريفة سنعقد بعون الله معكم اتفاقياتٍ للسلام. وإذا ما كانت سفنكم ترغب في الوصول إلى موانئ مملكتنا فإنها ستلقى الترحيب الذي يلقاه أصدقاؤنا رعياً لكلمتنا الشريفة، وقد أعطينا بهذا الصدد تعليماتنا الملكية إلى سائر مراسينا بالمملكة.

وهذه صورة الرسالة التي بعث بها السفير المغربي محمد بن عبد الملك إلى الوزير الأول تشيرنيشوف بتاريخ أول رجب 1192 = 26 يوليه 1778 وهو يخبره بأنه بعث إليه مع الكابتن سكوراتوف بثلاث رسائل الأولى إلى الأمبراطورة والثانية للوزير الأول والثالثة لكوزليا نينكوف، ويوعز إليه أن باستطاعته أن يتصل بالمغرب على يد سيمون لوكاس سكرتير القنصلية الإنجليزية بطنجة .

16) كانت الرسائل بتاريخ فاتح رجب 1192 = 26 يوليه 1778.



1 رجب 1192 = 26 يوليه 1778

رسالة إلى الوزير الأول تشيرنيشوف من السفير محمد بن عبد الملك يخبر فيها بأنه عاد وأخبر العاهل المغربي بفرح كسلاينوف، وهو ـ أيده الله ـ كتب للأمبراطورة الروسية...

ويذكر أن سبب تعطيل الكابتن الروسي بطنجة اسكرطوف... ويرجع لكون ابن عبد الملك كان في مشورة مع السلطان بمراكش... وها سيدنا اليوم أجاب بثلاث كتب : الأول للملكة كاثرين الثانية، والثاني للوزير الأول، والثالث لكسلاينوف، والثلاثة تصل مع الرايس أسكرطوف الذي يوصي به العاهل خيراً، وإذا أردتم أن تكتبوا لنا فيمكن لكم أن تراسلونا بواسطة السفارة الإنجليزية في طنجة... وهذه الرسالة مكتوبة في ثغر المهدية بتاريخ 1 رجب الفرد 1191 = 26 يوليه 1778.

ولا تتضمن الوثائق والمصادر المعلومة لدينا معلوماتٍ عن رد فعل قيصر بطرسبورغ تجاه المبادرات المغربية الأُولى إلا أن الاهتمام بالمغرب وخصوصاً شخصية السفير المغربي في طوسكان ضلّ قائماً بلا شكّ،[17] نظراً للدور الذي كان قام به في ميدان العلاقات الروسية المغربية.

وفي يوم 12 دجنبر 1782 (24 حسب التقويم الجديد) وصل كتاب إلى أوسترمان حول وصول السفير المغربي إلى طوسكان ورغبته في الاستعجال بإرسال المكاتيب الجديدة التي بعث بها السلطان إلى كاثرينا الثانية، وقد أرسلت هذه المراسلات فعلاً عن طريق السفارة الروسية في فيينا.

وقد كتب السفير محمد بن عبد الملك بتاريخ 24 محرم فاتح 1197 = 29 دجنبر 1782 يقول من جملة ما يقول لأوسترمان :

إني لا زلت على ما تقدم بيننا من الوداد والصحبة المبعوثة في المكاتب حيث إن «القلم ينوب عن القدم»، ونطلب منك أن تنوب عني فيما هو واجب عليّ حين تبليغ كلامي إلى لانبريدْ ريشة (الأمبراطورة) كما يجب...

ولم يطرح السلطان في رسالته إلى الأمبراطورة كاثرينا الثانية المؤرخة في 10 شعبان 1196 = 22 يوليه 1782 قضية عقد المعاهدة التي أشار إليها السفير محمد بن الملك، ولكن الخطاب الملكي الموجه إلى عظيمة الروسية الأمبراطورة ورد فيه بعد السلام على من اتبع الهدى :

إننا لا زلنا معك على المهادنة والصلح المتقدم الذي جعل معك باشادورنا القائد محمد بن عبد الملك، ولما أردنا توجيهه لتلك الناحية بقصد الوصول إلى الأمبراطور (في فيينا) والكَراند دوك (في طوسكانا)، كتبنا لك كتابنا هذا لتتعرفي منه أننا لا زلنا معك على ما تعتادينه من المهادنة والصلح، وكل ما تحتاج إليه مراكبك التي ترد لمراسينا فلا يمنعهم أحد من خدامنا في كل ما يتوقفون عليه، وكل من ورد من تجار بلادك لمراسينا فيكون له التمييز عندنا على غيره.

---

17) بعث إلي بنص الترجمة سعادة الزميل الأُستاذ عبد الهادي الصبيحي سفير المملكة المغربية بالاتحاد السوفياتي 1977 ـ 1970..

وهذا جواب الملكة كاثرينا الثانية على رسالة العاهل محمد الثالث، ومن الملاحظ أنها مؤرخة بيوم 21 يونيه من السنة الموالية 1783 :

وهذه ترجمتها :[18]

نحن كاثرين الثانية بفضل الله أمبراطورة سائر روسيا... وموسكو وكييف وفلاد مير ونوفكورود ومالكة قازان واستطرخان وسيبيريا وملكة بسكوف والدوكة العظيمة ليسمولينك وأميرة ديسطاند وليفلاند وكارولي وطيفر ويوكوز وبيرم وفياطكا وبلغاريا والياقي وملكة ودوكة أراضي نيوفوسكي نوفوكورد، تشيرنيكوفسكي وملوك كارطالينسكي وأميرة ولاية العهد.

إلى : الملك العظيم سيدي محمد بن عبد الله بن اسماعيل ملك المغرب وفاس وسوس ودرعة وتافيلالت وبلاد السودان...

لقد توصلنا برسالتكم المؤرخة بعاشر من شعبان 1196 = 22 يوليه 1782 التي سلّمها سفيركم محمد بن عبد الملك في بيزا إلى القائم بأعمال سفارتنا مستشار الدولة الأمير مورتيك، وقد لاحظنا بارتياح نياتكم الحسنة للسهر على السلم والصداقة مع أمبراطوريتنا، وكذلك أوامركم لسائر العمال والأمناء في المراسي بأن يقدموا المساعدة للسفن الروسية التي تصل للمراسي المغربية، ثم تعليماتكم للترحيب بالتجار الروس الذين يردون على المغرب وتمتعهم بما يتمتع به التجار الآخرون عند الورود والصدور.

وإن هذه الأخبار أدخلت علينا من جنابكم سروراً ومن أجل ذلك فإننا - استجابةً لمبادرتكم الودية - نشعر بواجب معاملتكم بالمثل على أراضي أمبراطوريتنا الشاسعة الأطراف وهذا ما أريد أن تتأكدوا منه تمام التأكيد متمنين لمملكتكم دوام الازدهار والتقدم.

☆ ☆ ☆

18) تتحدث بعض المصادر عن أن الروسيا كانت ضمن البلاد التي يتوجه إليها ابن عبد الملك كما تتحدث عن الهدايا المخصصة لطوسكانا وفيينا وموسكو من أسرجة مطرزة وثياب مقصبة وتتحدث عن أن البعثة المغربية كانت تتألف من نحو عشرين شخصاً.

Jaques Caillé : une Eambassade Marocaine à Vienne en 1783 Hesp. Tamouda 1962

عبد الهادي التازي - : العلاقات المغربية الروسية : مجلة البحث العلمي مايه - دجنبر 1967.

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

من عبد الله المتوكل على الله محمد بن عبد الله كان الله له



الى عظيمة الروسية والموسكوبية إيمبراطريشة قتلينة

أنوفينة سلام على من اتبع الهدى اما بعد فإننا لا زلنا معها

على المهادنة والصلح المتفق عليه الذي كان جعل معها باشادور

[illegible] بن عبد الملك [illegible] توجيهه لتلك

[illegible] الوصول [illegible] وزالكيدسكوس وأخبره [illegible]

[illegible] وكتب الى كتابنا هذا التعريف منه انا لا زلنا

[illegible] من المهادنة والصلح وكل ما تحتاج اليه

[illegible] ترد مراسينا فلا يتعرض احد من خدامنا في كل

[illegible]

[illegible] مراسينا [illegible]

[illegible] صدر امرنا بهذا في عاشر

[illegible]

رسالة من العاهل المغربي إلى امبراطورة روسيا، بتاريخ 10 شعبان عام 1196

Божиею Поспешествующею Милостию Мы ЕКАТЕРИНА Вторая,
Императрица и Самодержица Всероссийская: Московская, Киевская,
Владимирская, Новгородская, Царица Казанская, Царица Астраханская, Царица
Сибирская, Государыня Псковская и Великая Княгиня Смоленская, Княгиня Эстлянд-
ская, Лифляндская, Корельская, Тверская, Югорская, Пермская, Вятская, Болгарская,
и иных; Государыня и Великая Княгиня Нова-города Низовския земли, Черниговская,
Рязанская, Ростовская, Ярославская, Белоозерская, Удорская, Обдорская, Кондийская и всея Северныя
страны Повелительница и Государыня Иверския земли, Карталинских и Грузинских Царей и Кабардин-
ския земли, Черкасских и Горских Князей и иных наследная Государыня и Обладательница. Пре-
светлейшему Князю Сиди Магомету сыну Сиди Абдаллы, сыну Сиди Измаила, Султану Мароккскому,
Фецкому, Суцкому, Дарайскому, Тафилетскому и Африки Северныя Наше Императорское поздравление.
Получа ваше Султанское Грамоту от 10го дня луны Шабана 1196, которую Посол ваш Магомед Бен
Абдела вручил в Пизе Нашему полномочному в делах Статскому Советнику Графу Моценигу, усмо-
трели Мы из оной с удовольствием, какое благое ваше расположение сохранять всегда рачительно и твердо
искренний мир и дружбу с Империею Нашею, так и действительное в том начало данными от вас
повелениями Градоначальникам и Приставам портов ваших снабдевать и доповоливать приходящия
в оныя суда Российския, в чем они будут иметь нужду, и сверх всякой купец из Империи Нашей в
портах ваших в приезд и отъезд отличаем и предпочитаем был всякому другому народу. Таковое
изъявление не могло быть Нам неприятно с стороны вашей и Мы конечно, взаимствуя ваших дружелюбных
поступках, не оставляем в пространных областях Империи Нашей подавать вам и подданным вашим
равное рвение, в чем вы совершенно уверены быть можете. В прочем желаем Мы вам всякого блага.
Дано в престольном Нашем Граде Санктпетербурге в . . дня Майя месяца 1783, Года и Госу-
дарствования Нашего Двадесять Первого Лета.

جواب الملكة كاثرين الثانية على رسالة السلطان سيدي محمد بن عبد الله... وهي تعرب عن ارتياحها من سماح الأمبراطور المغربي للسفن الروسية بالتردد على الموانئ المغربية.
والجواب مؤرخ في 21 يونيه 1783 (20 رجب 1197).

وبالرغم من أن المصادر التي نتوفر عليها إلى اليوم تقتصر على أن الغرض من مراسلات ابن عبد الملك هو «السلام والتجارة» إلا أنني مع ذلك واعتماداً على أن المغرب، على ذلك العهد، كان يتمتع بسمعةٍ دولية طيبة فإني على مثل اليقين من أن المغرب كان يعتزم - إن لم يكن قد فعل - القيام بمساعيه الحميدة من أجل تطويق الخلاف بين السلطان عبد الحميد والأمبراطورة كاثرين على نحو ما قلناه في العلاقات المغربية النمساوية...

ويستأثر (مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام) بذكر إفادة تاريخية لم تردد صداها المصادر الأخرى التي بين أيدينا، ويتعلق الأمر بتزويد الروسيا للمغرب بالقمح في أعقاب جفاف البلاد... عام 1238 = 1822 - 1823 أواخر أيام السلطان مولاي سليمان... لقد جلب هذا القمح من مصر ومن إفريقية ومن أرض الموسك «يقول أبو العلاء صاحب المخطوط».(19)



19) مخطوط الابتسام تقديم د. التازي ص 80/78، مجلة المناهل المغربية عدد 36 - 1987.

المغرب وبولونيا
عند طلائع الدولة العلوية...

خلال القرن الثامن عشر أخذنا نشاهد أثر الرحالة البولونيين على ساحل إفريقيا الشمالية وقد كان - في أبرز هؤلاء الكونط جان بوطوكي (J. Potocki) الذي حكى في مذكراته المكتوبة بالفرنسية عن أيام مقامه بالمملكة المغربية.

وبالرغم من حرصي على الحصول على نص هذه المذكرات... فإني لم أقف سوى على ما ساقه الأستاذ إدوارد زيمانسكي (E.SZYMANSKI) وعلى ما أشار إليه زميلي السفير د.الحراقي في رسالته إلي بتاريخ 10 يوليه 1974.[1]

إن (بوطوكي)، يقول زيمانسكي، كان **شخصية أدبية وعلمية** وكان يتوفر على نصيب كبير من المعرفة ولو ان مخطوطاته ظلت مجهولة، لقد كان في حديثه عن المغرب **واقعياً**، وقد انتقد في البداية أولئك الرحالة الذين لا يتمكنون من رؤية الأشياء **بعيونهم الحقيقية** والذين ينظرون إلى البلاد التي يزورونها بنظارات حملوها من مساقط رؤوسهم دون أن يجرؤا على تحسين ومسح **زجاج** تلك النظارات في البلاد التي يذهبون إليها وهكذا يتعرضون للأخطاء !!

لقد قدم **بوطوكي دروساً** مفيدة حول تاريخ المغرب وجغرافيته، وقد كتب أحد الأدباء البولونيين المشهورين أليكساند بروكنير (A. Bruchner) - قرب عقد الحماية الفرنسية، وبالضبط سنة 1911، كتب يقول عن كتاب بوطوكي : «إن ترجمته إلى البولونية ضرورية سيما وأن القضية المغربية لم تخرج عن **الاهتمام اليومي للمجتمع الدولي**».

---

1) نغتنم هذه الفرصة لنشيد بالمدرسة البولونية وما تحتضنه من مستشرقين أعلام أسهموا في كتابة تاريخ علاقات بلادهم ببلادنا من أمثال السادة لويكي (T. Lewicki) ودزينبيتكسي (A. Dzinbinski) وزيمانسكي (E. Zymanski) ولقد كان الفضل في التعرف على خدمات هذه النخبة لسعادة الزميل الدكتور عبد السلام الحراقي سفير المملكة المغربية في فارسوفيا بداية السبعينات.

EDWARD SZYMANSKI : Les Premiers Relation Polono – Marocaines de 17e et 18e Siecle Dapres des Sources Inedites 1965

Jan Korinek : L'Histoire des Relations Thecoslovaqqes Avec le Maroc. Introduction Par dr. ABDELHADI TAZI. Imprimerie Kawtar / Rabat 1975.

وبالرغم من أن (بوطوكي) لم يزر المغرب كله حيث إنه لم يصل لا إلى فاس ولا إلى مراكش، وبالرغم من ان رحلته اقتصرت أولاً على شاطئ البحر المتوسط حيث كان يقيم بطنجة أيام قصف المدينة من طرف الإسبان في بداية عهد السلطان المولى يزيد بن عبد الله الذي كان اتخذ من طنجة معتقلا لسائر الإسبان الموجودين بالمغرب تمهيداً لمطالبة اسبانيا بإرجاع سبتة للوطن الأم !

ومن طنجة تحرك نحو الساحل الأطلسي إلى الرباط وسلا حيث كان العاهل المغربي يخيم وهكذا تمكن (بوطوكي) من الوقوف قريباً من الناس والتعرف على العادات والأخلاق، لقد كان مهتما بالتربية والمشاكل التي تعيشها البلاد معتمداً على المؤلفات الفرنسية وعلى ما كان يتلقاه شفوياً، لم تكن معلوماته صحيحة مائة بالمائة لأن البلاد بعيدة عنه جداً فقد كان مهتما بتاريخ الصقالبة[2] وبوطنه الأول.. لقد كان يهمه من المغرب أن يستمتع بهدوء الصحراء وباصطخاب الأمواج وأن يردد ما تحكيه المعالم التاريخية لهذه الشواطىء القديمة...

ومع ذلك فإنه ليس من المستبعد أن يكون مكلفاً بمهمة من قبل الدولة، فإننا نعلم ان مروره كان على باريز وأنه عاد إلى فارسوفيا صحبة الإيطالي مازي (MAZZEI) الذي كان طوال سنوات يقوم بوظيفة وكيل للملك البولوني سطانيسلاس أوكيست (Stanisles-Auguste).

وان مما يعزز - في نظري أنه كان مكلفاً بمهمة ما يحكيه عن اتصاله بالسفير المغربي المعروف محمد بن عثمان الذي تعرف عليه أولاً بالشرق أثناء سفارته إلى القسطنطينية عام 1197 = 1782 موفداً من طرف السلطان سيدي محمد بن عبد الله، والتقى به ثانية بمدريد عندما كان ابن عثمان سفيراً للمولى يزيد ابن السلطان محمد بن عبد الله، لدى كارلوص الرابع ملك اسبانيا بطلب من هذا الأخير...[3]

---

2) نعرف جيّداً عن مقام عدد من الصقالبة بالمغرب اعتنق عدد منهم الإسلام وأصبحوا آباء أو أمهات لأبناء مغاربة فكانوا جسراً بذلك لبناء علاقات إنسانية بين المغرب وبلاد السلاف.. ولا تزال كلمة (الصقلبية) مستعملة إلى الآن في بعض المدن المغربية، وهي تعنى غرفة خاصة في الدار مخصّصة أصلاً لسكنى الصقلبي الذي يساعد أصحاب الدار. التاريخ الدبلوماسي للمغرب 1 ر 310.

3) الإكسير لابن عثمان نشر محمد الفاسي المركز الجامعي للبحث العلمي 1965.

علاقات المملكة المغربية مع الدانمارك ـ السويد ـ النرويج في بداية الدولة العلوية

- بعثة الملك فريدريك الخامس ملك الدانمارك والنرويج إلى المغرب.
- الاتفاقية المغربية الدانماركية.
- مذكرات القنصل الدانماركي هوست.
- موقف المغرب من انضمام الدانمارك للمعسكر الروسي...
- تهادي الصقور بين ملوك المغرب وملوك الدانمارك.
- أسير سويدي يفتح الطريق للعلاقات المغربية السويدية !
- المفاوضات المغربية السويدية تؤدي إلى الاتفاق.
- العاهل المغربي بدرس الكرة الأرضية المهداة له...
- تجديد الاتفاقية على عهد مولاي سليمان وانضمام النرويج إلى السويد.

العلاقات المغربية الدانماركية
على عهد الدولة العلوية

بالرغم من أن العلاقات بين الدولتين لم تواكب الأعوام الأولى لظهور العلويين لكنها لم تلبث أن تمكنت واستحكمت أيام السلطان المولى عبد الله عندما شعر كلّ من الطرفين بضرورة حوار الطرف الآخر...

وقد كانت الشخصية التي تولت إنشاء هذه العلاقات بين البلدين، هو الأمير سيد محمد بن عبد الله الذي دخل منذ سنة 1165 = 1751 أيام والده، الحياة الدولية، لقد وجّه نشاطه فعلا وبصفة أساسية للخارج...

ومن هنا تحركت بعثة من الملك فريديريك الخامس في اتجاه الجنوب المغربي وكانت برئاسة ج.ب. دولونكّفيل (J.B. de longueville) حيث وطئت ميناء آسفي يوم 13 يوليه 1751...

لقد عقدت اتفاقية بين الدانمارك والمغرب، وهكذا قرأنا رسالةً رقيقة موجهة من الأمير سيدي محمد بن عبد الله إلى ملك الدانمارك والنرويج الخ... بتاريخ 6 شوال 1164 = 30 يونيه 1751، يخبر فيها العاهلَ الدانماركي بأنه استقبل السفير لونكّفيل وأرضى رغبته على ما نقرأه في المصادر الأجنبية.[1]

ولم يَحِن تاريخ 5 يوليه حتى أعلى لونكّوفيل (Longuville) عن الاتفاقية المغربية الدانماركية، ولم يكتف بهذا ولكنه قام برفع راية الدانمارك على مبنى إقامته الأمر الذي سبّب بعض الاضطرابات التي كان في الإمكان تلافيها...[2]

ولم تظهر بوادر الإنفراج إلا عندما شجب العاهل الدّانماركي تلك المبادرة التي أقدم عليها مبعوثه دون أخذ رأي الأمير المغربي.

---

1) H. DE CASTRIE : Le DANIMARK et le maroc, hesp 1926 p. 327

2) Host : L'histoire de L'Empereur du Maroc, Traduc, DAMGARD. p. 4

وبهذه المناسبة نجدد الشكر للسفير الدانماركي بالمغرب (1987) فريلسفيك (FRELLESVIG).

وهكذا يفرج عن (لونكفيل) ويصدر مرسوم ملكي بتاريخ 16 شعبان 1166 = 18 يوليه 1753 إلى الملك فريديريك الخامس يتضمن المصادقة على اتفاقية كانت نتيجة تفاوض اتيان ري (Etienne Rey) الذي خوله محمد بن عبد الله التباحث مع لوتزو (Lützau) السفير الدانماركي الجديد...

وقد صدر بعد بضعة شهور من اتفاقية (16 شعبان 1166 = 18 يوليه 1753) مرسوم جديد للأمير سيدي محمد بن عبد الله يحمل تاريخ 27 ربيع الثاني 1167 = 21 يبراير 1754 في شأن تأمين سُفُن الدانمارك مما يلحقهم من سفن أهل العدوتين سلا والرباط وكان هذا الظهير بمثابة تتميم الاتفاقية السابقة.

وقد وجدنا اتفاقية أُخرى مع الدنمارك، من ستة بنود بتاريخ 24 شعبان 1169 = 24 مايه 1765 وقد أكدها الأمير بكتاب طويل بتاريخ 4 شوال 1169 = 2 يوليه 1756.

وقد زاد في حظ الدانمارك أن أصبح صديقُها الأمير، ملكاً بالفعل منذُ يوم 24 صفر 1171 = 7 نونبر 1757 حيث امتد نشاط الدانمارك في المراسي الأُخرى، وفي سنة 1759 بعث العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله بالقائد الحاج التهامي بن علي مدّون للدانمارك يحمل بعض المطالب من ملك المغرب.

وقد استقبله الملك فريديريك استقبالاً حافلاً في كريسترانبورغ (Kristransborg) وعين السيد كاس (Kass) لمفاوضته.

☆ ☆ ☆

وفي هذه الأثناء كان المباشر ـ بالنيابة ـ لأعمال القنصلية الدانماركية هو جورج هوست (G. Host) الذي اشتهر بكتاباته حول المغرب[3] والذي كان صديقاً للعاهل المغربي الذي وجدناه يصدر ظهيراً يوصي فيه بعض القواد بحصانة هوست، وكان هذا المرسوم بتاريخ 2 ذي القعدة 1179 = 12 أبريل 1766.

---

3) كان كتابه الأول الذي برّز فيه بهذا العنوان :

Efterretninger om Maroks og Fez Samlede Der Landee Par 1760 – 1768 Copenhague 1779.

وكان من كتبه كذلك : Den Marokanshe Kaiser Mohahed Ben Abdallah s. Histoire Copenhague 1791.

وقد ترجمه للفرنسية دامكّارد (Damgaard) وكّينيار (Guignard) وعنه ننقل بعض هذه المعلومات.

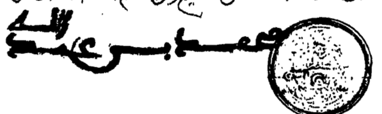


بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما

الاتفاقية المغربية الدانماركية - 16 شعبان 1166 = 18 يونيه 1753.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم



هذا ظهير محفوظ العز ان شاء الله شامخ البناء ملحوظ بعون الله بعين
التعظيم والقبول والاعتناء تمتثل بفضل الله اوامره وتتبع احكامه
ويدوم بحول الله وقوته تخليده وانتصار امره كتبناه بحضرتنا العلية المراكشية
حرسها الله وحاطها ووفر بها انواع الخيرات واصناف المسرات
اشرنا بمضمنه السلطان الكبير ... خامس سلاطين اهل الدنمارك
من اجناس النصارى ... على عهدنا ... عزمنا واسترعى
رايناه ... وحزمنا لما هي لنا فيه من المصالح والمنافع ... والمناجح
مع رؤساء العمرونيين المباركين اهل سلا واهل رباط الفتح حرسها الله بفضله
وا... سلا ورفعتهم وامنا به الجنس المذكورهم اهل ... من بعض
اهل العمرونيين المذكورين امانا يوسعهم انبساطا ويشملهم ... ابا وايابا
غدوا ورواحا وجعلنا تتميما للصلح الذي قبله ... عشر ...
على سنة ... الموافق ... ربيع ... ثامن عشر ... سنة ثلاث
وخمسين وسبع مائة ... ما بين ... العمرونيين المذكورين لم ... لا ولا ذكرنا
فيه وكل ما ضاع لاهل الجنس المذكور بسبب اهل العمرونيين المذكورين من مالهم بعد
هذا الصلح فقد تحملنا باداء ... لهم من مالنا الخاص ... زمانه
... والبطاقات وعلى ... والا ...
وان ... بهم هذه ... عليهم ... ما لم ينقضوا
الصلح لا قدر الله ... هذا المؤخر وهذا شرط ... ومعتبر
والله على ما نقول وكيل وهو حسبنا ونعم الوكيل وربنا تعالى جلت قدرته يبقي ...
المسلمين ... وهذا الصلح الواقع
منا مع سلطان ... المذكور كان بواسطة صاحبه النائب عنه القونصول
... ربيع الثاني من عام 1167

ظهير يتعلق بالاتفاقية المغربية الدانماركية، 29 ربيع الثاني 1167

الحمد لله وحده صلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

الله

محمد بن عبد الله

رسالة الملك محمد الثالث إلى ملك الدانمارك، بتاريخ 4 شوال 1169



رسم للسلطان سيدي محمد بن عبد الله 1766 = 1179 يستقبل بعثة ديبلوماسية دانماركية يتقدمها السفير.. وقد أحاط بالعاهل المغربي ثلة من العلماء وكبار الدولة. والرسم من كتاب للقنصل الدانماركي الذي عمل في البداية وكيلاً للشركة الدانماركية بآسفي ثم بسلا قبل أن يصبح قنصلاً للدانمارك بالمغرب، عن كتاب Host حول المغرب صفحة 142 ـ 143.

وقد وصل يوم 29 يوليه 1767 قنصل كوبنهاك السيد جانس كوسطروب (Jens Koustrup) لمفاوضة المغرب من أجل إبرام معاهدة جديدة، وكان الذي عهد إليه من طرف العاهل بالتفاوض مع القنصل الدانماركي هو الأمير مولاي ادريس ابن عم السلطان سيدي محمد بن عبد الله.

وقد تمّ التوقيع فعلاً على الاتفاقية يوم 28 صفر 1181 = 26 يوليه 1767. وبمقتضاها سلم الدانمارك للمغرب عدداً من المواد الحربية، وكانت الاتفاقية لصالح المغرب وبخاصة الفصل التاسع عشر الذي ينص على ما يجب أن تسلمه الدانمارك سنوياً إلى المملكة المغربية...(4)

وحدث في منتصف جمادى الأولى 1189 = أواسط يوليه 1775 أن استقبل العاهل المغربي قنصل الدانمارك شوماكير (Shumacher)... ولما كان هذا القنصل لا يبصر من بُعد (Myope) فقد التمس من العاهل أن يأذن له بالاقتراب منه وأن لا تبقى المسافة بينهما عشرين خطوة ! إنه يحب أن يتعرف على ملامح العاهل العظيم عن كثب !! فابتسم العاهل وأذن له بالاقتراب من عربته على نحو من ثلاث خطوات فقط.. مخاطباً إياه : في المستقبل يمكنك أن تراني عندما تريد.(5)

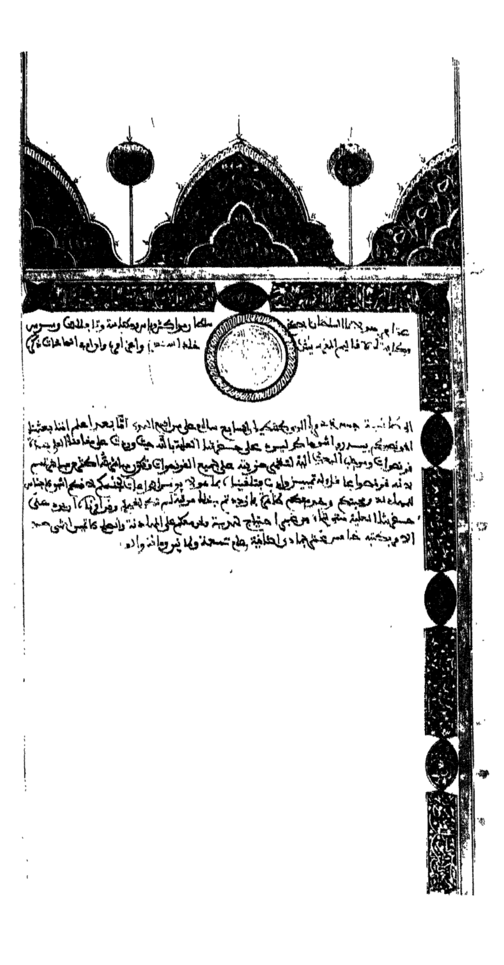
وهنا زود القنصل برسالة تحمل التاريخ السابق إلى ملك الدانمارك كريستيان السابع.

ومن جهة أُخرى فإنه من الطريف أن نذكر هنا كذلك رسالةً ملكية بعث بها العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 22 ذي الحجة 1202 = 23 شتنبر 1788 إلى نائبه بطنجة وأمره أن يوزع نسخاً منها على سائر القناصل المعتمدين في العاصمة الدبلوماسية، وفي هذه الرسالة يطلب ملك المغرب من الدانمارك على مرأى ومسمع من المجموعة الدولية أن تساعد السويد

---

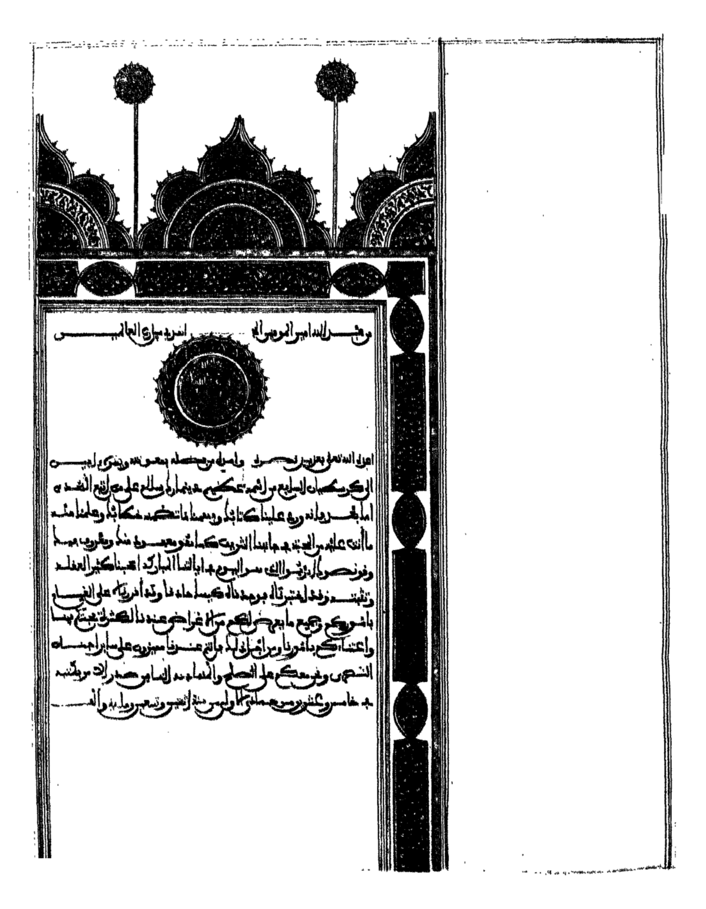
4) ابن زيدان : الإتحاف 3، 283 ـ 290 ـ كايي : الأوقاف الدولية ص 195، هذا وإن كناش شروط الأجناس الذي تحتفظ به «الخزانة الحسنية» تحت رقم د. 1964 يكتفي بذكر مضمن الشروط باختصار...

5) وكالة أنباء المغرب العربي : لوماتان ـ الأنباء ـ 15 يبراير 1988.



[illegible] مولانا السلطان [illegible]
[illegible] المغرب [illegible]

أما بعد [illegible] اعلم اننا بعثنا [illegible]
[illegible] بالله [illegible]
[illegible] على جميع [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] جمادى الثانية عام [illegible]



من الوثائق الجميلة التي يحتضنها الأرشيف الوطني في كوبنهاكن : رسالة موجهة من الملك محمد الثالث إلى الملك كريستيان السابع بتاريخ 25 جمادى الأولى 1192 = 25 يونيه 1771 هـ، جواباً على رسالة للعاهل الدانماركي مجدداً عواطفه نحو ملك المغرب الذي أخبر نظيره بأن القنصل إيربو AIRBOE وصل إلى المغرب وأنه سيلقى كامل المساعدة نظرا «لكثرة محبتكم فينا واعتنائكم بأمورنا... ونحن معكم على الصلح والمهادنة التامّين...».

عوض مساعدتها للروسيا (الموسكوس) التي هاجمت السويد بدون موجب على حد قول الرسالة...

إن موضوع محاربة الدانمارك ـ وهي صديقة للمغرب ـ للسويد، ووقوفها بذلك إلى جانب الروسيا التي تحارب العثمانيين، كل هذا أزعج العاهل المغربي وعقّد الحلول أمامه...

وهكذا توجهت رسالة أُخرى من مكناس مكتوبة بالإيطالية إلى السلك القنصلي حررها فرانسيسكو شياب الجنْوي أحد المكلفين بالعلاقات الخارجية.

ومن المهم أن نعرف أن الذي أبلغها هو الشخصية المغربية المعروفة أبو القاسم الزّاياني الذي عهد إليه بشرح الرسالة وقد عهد إليه أيضاً بأن يصرح شفوياً بأنه يحترم الدانمارك وإنما يعتب عليها موقفَها الذي لا يتناسب وحقوق الجوار مع السويد...

لقد تبين أن الدانمارك كانت ملتزمة بحلفٍ سابق مع الأمبراطورة كاثرينا... وظهر أن وقوف السويد مع تركيا لم يكن يباعث غير الباعث المادي..!

ومن هنا نرى العاهل ـ حرصاً على كسب الفريقين وإشعارهما بأنه لا يفرق بينهما في المعاملات ـ يبعث لهما بهدايا متساوية بتاريخ 26 صفر 1203 = 25 نونبر 1788 وقد تولى حمل الرسائل هذه المرة لكل من ملك الدانمارك والسويد السفير الطاهر فنّيش الذي حمل معه للملكين المذكورين معطفين رفيعين من الفرْو كانا أهديا للملك من الخليفة العثماني... واختار العاهل المغربي هذه الهدية على الخصوص نظراً لما سمعه عن حالة الطقس في كلّ من البلدين !!

ومن المهم أن نشير في ختام الحديث عن علاقات السُّلطان سيدي محمد بن عبد الله مع الملك كريستيان السابع إلى نوع من الهدايا المتبادلة كانت ـ كما نعلم سلفاً ـ تعبر عن وصول العلاقات الثنائية إلى قمّتها في التعاون والتفاهم، ويتعلق الأمر بمهاداة الصقور التي تعتبر في الاصطلاح الدبلوماسي أسْمَى تعبير عن الصداقة المتينة...

لقد كان للعاهل المغربي عدد من الصقور على ماهي عادة الملوك المغاربة من قديم، وحدث ذات يوم أنه قرر أن يتخلص من صقوره فحرّرها جميعاً لكنه وقد توصل اليوم (أول عام 1789) من ملك الدانمارك بنماذج من الصقور، عاد إليه الحنين لِتلك الهواية...! فعاد إليها بعد أن أفتاه العلماء... وقد أكرم البازيار الذي صحب الصقور وكان يحمل اسم ڤيرهوڤن (VERHOUVEN) وبعث هو بدوره بصقرين من المغرب... على ما نقرأه في الرسالة التي نشرناها في كتابنا حول الصقور بين المشرق والمغرب...(6)

ولما اعتلى السلطان المولى سليمان على العرش المغربي بعثت الدانمارك بسفير لها إلى العاهل لتقديم الهدايا التقليدية، وبعث مع هذا بهدية تعيد إلى ذاكرتنا ذلك التقليد الجميل الذي أشرنا إليه، وأقصد بذلك المهاداة بالصقور والبزاة على ما قلنا...



6) عبد الهادي التازي : القنص بين المشرق والمغرب، المطبعة العصرية 1890 ص 49.

George Host : L'Histoire de L'Empereur de Maroc, Traduc. damgaard et Guinnard.

وهكذا ورد مبعوث الدانمارك ينقل معه نحو الثلاثين قنطاراً من المعدات الحربية مع عشرة أنفاض إلى جانب بازين... وكان السفير مصحوباً بورقة اعتماد مكللة ومطوقة بالذهب تسلمها العاهل ووضعها على سرجه حسبما يرويه المؤرخ المغربي الضُّعيف في كتابه عن تاريخ المغرب[7]

وعلى نحو ما حدث - بعد سقوط الجزائر في يد السلطات الفرنسية - من مفاتحة عدد من الدول الأُروبية للمملكة المغربية في أن تسقط عنها الإتاوات التي كانت تؤدى سنوياً للخزينة المغربية، فقد وجدنا أن الدانمارك يقوم بدوره بالمحاولة.

وقد أورد النقيب ابن زيدان ترجمةً لكتابٍ وارد من كوبنهاجن إلى قنصل الدانمارك بطنجة يتضمن اقتراح الحكومة الدانماركية على الوزير ابن ادريس التوسط لدى العاهل المغربي لمراجعة المعاهدة المعقودة بين البلدين... وكانت هذه الرسالة بتاريخ 10 مايه 1844 = 20 ربيع الثاني 1260.

ثم نجد بعد هذا الاتفاق المنعقد بين الطرفين في العرائش حول هذا الموضوع بين القنصل الدانماركي كريسطليس وبين القائد بوسلهام ابن علي بتاريخ 27 ربيع الأول 1261 = 5 أبريل 1845.

العلاقات المغربية السويدية على عهد الدولة العلوية

لم يُنَبّه الملك أدولف فريديريك ملك السويد إلى بلاد المغرب الأقصى سوى الأخبار التي وصلت سطوكولم عن الأسرى الذين يوجدون بفاس في بلاط السلطان المولى عبد الله !!

وهكذا نجد جماعة من أولئك يقعون في يد بعض المجاهدين البحريين المغاربة في صيف عام 1754 = قعدة 1167 حيث ينزلون مدينة تطوان ليقصدوا منها برّاً ظاهر مدينة فاس وبالضبط في «دار الدبيبغ» التي كانت مقرّاً للعاهل المغربي...

7) تاريخ الضُّعيف، تحقيق أحمد أحمد العماري دار المأثورات ص 308.

ومن الطريف أن نجد أحد هؤلاء الأسرى وهو ماركوس برك (Marcus Berg) يقوم بتدوين مذكراته عن السنتين والسبعة أيام التي قضاها أسيراً ببلادنا، وقد ترجمت هذه المذكرات مؤخراً إلى الفرنسية من طرف جاك مكّو[8] (J. Macau).

وبصرف النظر عما حكاه عن ظروف حياة الأسر، وبصرف النظر عمّا تشتمل عليه هذه المذكّرات أحياناً من لغو القول وافتراض الأشياء[9] فإنها من جهة أخرى تكتسي أهميةً بالغة لما تستأثر به من حقائق، وما تقدمه إلينا بخاصة أثناء السنتين اللتين تصادفان أواخر سلطنة المولى عبد الله... وأيام التفويض لابنه الأمير سيدي محمد، وقد كان ماركوس ينعت مولاي عبد الله بسلطان فاس وينعت ابنه بأمير المغرب...

وقد قدّم (ماركوس بيرك) حديثاً مسهباً عن الزلزال المروّع الذي ضرب مدينة فاس وسائر قواعد المغرب : مكناس - سلا - الرباط... هذا الزلزال الذي شوه معالم المغرب تشويهاً تشهد به أطلال مكناس وعوالي منار حسان...[10]

8) الكتاب يحمل اسم : (Barbariska Slaferiet) وقد طبع طبعة أولى عام 1757 ثم طبع طبعة ثانية 1961 وكلاهما باللغة السويدية. واغتنم هذه الفرصة لأقدم شكري للسفير السويدي في بغداد أوائل السبعينات الزميل كَونار بيرينكَ (G. Jering) والسفير السويدي في الرباط أواسط 1976 السيد أكَ سيولان (Ake Sjoiin) الذي تفضل وأهداني نسخة من الترجمة الفرنسية مطبوعة على الآلة الكاتبة بعنوان : ...Description وشكري كذلك للسفير السويدي المتقاعد والمقيم بالعرائش السيد كونت بيرنسطروم (Knut Bernstrom) الذي دلّني على الأصل بمناسبة زيارة المستشرق السويدي للمغرب السيد كنوتصن (Knutsson) في أبريل 1986 وأخيراً شكري للسفير الذي ودعنا عام 1987 لوندكيست ارن (Lundqrist Arne)...

9) كان مما حكاه وهو يفسر لمواطنيه سرّ ذبح الكبش بمناسبة عيد الأضحى : أن نبي الإسلام كان يأمر كل واحد من أصحابه بذبح يهودي في ذلك اليوم ولكنه لم يلبث أن عدل عن ذلك إلى الكبش بعد أن تزوج ﷺ بيهودية !!

10) حديث ماركوس عن المليون نسمة يعطي فكرةً عن قوة هذا الزلزال الذي اشتهر في التاريخ بزلزال ليشبونة، وقد تحدث عنه محمد بن الطيب بن عبد السلام القادري في النصف الثاني من نشر المثاني ص 266 عند الكلام عن العام التاسع من العشرة السابعة... ابن زيدان : الإتحاف 4 ، 464.

كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة تحقيق سعيد النجار، مطبعة الرباط 73 - Magali mag 1974

Morsy : le Tremblement de Terre de 1755 d Apres des Temoignages d Epoque. Hesp. 1975 p. 89.

القادري : حوليات نشر المثاني، نشر المركز الجامعي للبحث العلمي 1976 ص 77 - 78.

الترجمة الفرنسية لماركوس ص 32 - وبالسويدية ص 45.

الإتحاف 4، 482.

وقد كان مصدر اهتمام (ماركوس) بالوقاش أن هذا ـ وهو مكلف بالعلاقات الخارجية ـ هو الذي كان يتخابر في شأن تحرير الأسرى سواء من الإسبان أو البرتغال أو الإنجليز أو الفرنسيين أو السويد...! لقد كان بفاس زهاء مائة وستة وستين أسيراً من أروبا على هذا العهد..!

ويتخلص ماركوس بعد هذا لتذييل مذكراته بمعلوماتٍ عن المغرب آنذاك لا تخلو من فائدة،... فهو يتحدث عن ملك تمتد سلطنته إلى غينيا بالرغم من الظروف القلقة التي كانت تعيشها المملكة، وهو يتحدث عن العاهل على أنه من هواة الموسيقى وهو الأمر الذي تسنده المصادر المغربية على ما أسلفنا...

ويتحدث بعد هذا عن التسامح الديني في المغرب وعن عدد الكنائس التي كانت بمختلف المدن المغربية الكبرى...

☆ ☆ ☆

ويتحدث المؤرخ المغربي الضُّعَيْف (1165 ـ 1233 = 1752 ـ 1818) عن أن سنة 1172 = 1758 ـ 59 شهدت الاستيلاء من لدن الرايس محمد عواد مانيطة السلاوي والرايس محمد عواد قنديل السلاوي والرايس العربي المستيري الرباطي على سفينة سويدية... في أعقاب مطاردة استدعتها بعض الظروف حيث نجد العاهل يكافئ الرؤساء بوسام «الياتاغان» الأمر الذي شجع المستيري على الكرّة مرة ثانية على سفينة أُخرى للسويد...!

ويظهر أن هذه الأحداث هي التي كانت وراء قرار البرلمان السويدي في أن ينشيء علاقات سلام مع المملكة المغربية فيما يتعلق بالتجارة والملاحة.

وقد عهد إلى السيد بيتركريستيان وُولف (P.C. Wulff) أن يدخل في مفاوضاتٍ مع المغرب وبالذات مع نائب السلطان بطنجة القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي...

وكان وصول وُولف إلى المغرب في نهاية شهر مارس 1763 = 3 ذي القعدة 1176 حيث أُبرمت اتفاقية بين محمد الثالث وأدولف فريديرك.

Beskrifning
Öfwer
Barbariska
Slafweriet
Uti
Kejsaredömet
FEZ och MAROCCO,
I korthet författad
Af
MARCUS BERG,
Som tillika med många andra Christna det samma utstådt Twenne År och Siu Dagar, och derifrån blifwit utlöst tillika med Atte stycken andra Swenska den 30 Augusti
1756.
Under wår Allernådigste Konungs
KONUNGS
ADOLF FRIEDRICHS
Milda Regering.

Stockholm,
Tryckt hos LOR. LUDV. GREFING, 1757

مذكرات الأسير السويدي

ولم يلبث الطرفان أن أمهرا اتفاقية من ثلاثة وعشرين فصلا تحمل تاريخ 3 ذي القعدة 1176 = 16 مايه 1763 تحتفظ بنصها المكتبة الوطنية في سطوكولم، وقد استعملت فيها بعض المفردات الأجنبية. كان منها كلمة باشاجير، بمعنى (Passagers).[11]

11) د. التازي : المعجم الدبلوماسي، بحث قدم لمجمع اللغة العربية بالقاهرة يبراير 1988 ـ مجلة البحث العلمي العدد 37 ـ 1928.

ذكر الشروط المشار إليها

[illegible]

الاتفاقية المغربية الدانماركية بتاريخ 3 ذي القعدة 1176

ومن الطريف أن نقرأ في «تاريخ الملك محمد بن عبد الله» الذي ألفه هوست أن أميرة مغربية معروفة باسم لالة الكبيرة تتوسل للسفير السويدي وولف (Wolf) ليحظي باستقبال العاهل الذي أعطاه مهلةً جديدة للوفاء بالالتزامات التي قطعها على نفسه...

وبمناسبة اعتلاء الملك كَوستاف الثالث العرش عام 1771 بعث السلطان سيدي محمد بن عبد الله بوفادة تهنئة برئاسة القنصل وولف تحمل الهدايا والتحف... وقد ابتهج عاهل السويد لهذه الالتفاتة من ملك المغرب وأجاب ببعثة تحمل الهدايا والمعدات البحرية برئاسة الماجور ابراهام فون سطاندن(Stenden).

وقد سجل شاهد عيان : هوست (Host) الدانماركي أن العاهل المغربي عند استقباله لهذا السفير السويدي عام 1186 = 1773، كان جالساً أمام كرتين أرضيتين وهو يضع إشارته على موقع مملكة السويد سائلاً الماجور سطاندان (Stenden) عن حدود بلاده ومميزاتها، ويتحدث عن الصداقة التي تربط بينه وبين العاهل السويدي... وهذا هو موضوع رسالة العاهل المغربي إلى ملك السويد كُشْطَب بتاريخ 20 ذي القعدة 1186 = 3 يبراير 1773.

وخلال السنوات اللاحقة تتابعت سفارات من سطوكولم على ملك المغرب وهكذا نسجل عام 1777 اسم الكولونيل البارون سطرو مفيلت (Strömfelt) الذي شهد الاتفاقية الجديدة التي عقدت بين المغرب والسويد بتاريخ 7 شعبان 1191 = 10 شتنبر 1777 وهي تتألف من خمسة فصول تماماً على نحو اتفاقية المغرب مع هولاندا في نفس اليوم...

وفي سنة 1785 ورد الماجور فون روزانسطين (V. Rosensteen) يحمل معه ما ترتب على السويد وقد كان فيما صحبه من الهدايا عددٌ من الآلات الحسابية والعلمية التي كان العاهل يهتم بها على ما يذكره هوست في تاريخه للسلطان سيدي محمد بن عبد الله...

وفي شهر غشت سنة 1791 في أعقاب وفاة السلطان سيدي محمد رحمه الله كانت سفارة السويد إلى المغرب برئاسة الكولونيل فون روزانسطان السالف

الذكر الذي جدد الاتفاقية المتقدمة مع العاهل المغربي المولى اليزيد بالرغم من ظروف هذا الأخير.

وتتابعت في السنوات اللاحقة السفارات بانتظام على ما هو محفوظ :

وهكذا ففي سنة 1798 ورد بليسينكّ (Blessing) الذي استقبله المولى سليمان - بعد أن غادر قصره بدار الدبيبغ - بباب البوجات يوم ثاني محرم 1213 = 16 يونيه 1798 حيث أهدى للعاهل نحو المائة قنطار من المعدّات إلى صناديق فيها نفائس الثياب والملف والكتان وزع بعضها على العلماء على ما يذكره المؤرخ الرباطي الضُّعيف...[12]

ولابدّ أن نلاحظ أنه بعد عام 1814 أصبحت النورفيج والسويد متحدة، ومن ثمت فإن علاقات المغرب بالنورفيج كانت عبْر السويد إلى أن استقلت عام 1905 حيث سيخبر المغرب بحلّ الاتحاد واستقلال النورفيج.

وقد سجل التاريخ اسم قنصلٍ مساعد للسويد والنورڤيج بالمغرب على عهد السلطان المولى سليمان ابتداء من سنة 1811 إلى عام 1822 حيث أصبح شخصية غير مرغوب فيها وقد كان يحمل اسم جاكوب كرابيرج دي هيمسو (J. G. de Hémsö).[13]

وأخيراً نذكر أنه بعد إسقاط الإتاوة عن الدانمارك جاء دور السويد الذي طالب هو الآخر بإسقاط الأداء عنه «إحساناً مِن مولانا وإنعاماً وتفضيلاً...».

وقد أبرم عقد حول هذا الموضوع يحمل تاريخ 8 رجب 1261 = يوليه 1845.

---

12) تاريخ الضُّعَيف تحقيق العماري 1986 ص 307.

13) عرف هيمسو بكتابه باللغة الإيطالية حول تاريخ المملكة المغربية جغرافياً وإحصائياً وهو يعتبر من المراجع التي يستشيرها المهتمون بالحديث عن المغرب وقد طبع في جنوة عام 1834 ويحمل عنوان : Specchio, Geografico, e Statistico Dell Impero di Marocco.



صورة لقنصل السويد بطنجة، جاكوب دي هيمسو (1821 ـ 1822)
لقد ألف كتاباً عن المغرب باللغة الإيطالية وطبع في جنوة.

علاقات المملكة المغربية مع : جنوة - طوسكان - البندقية - سردينية وموناكو - صقلية ونابولي علاقات المغرب مع حاضرة الفاتيكان

خطاب السلطان مولاي اسماعيل لحاكم جنوة.

- □ صدى محمد بن عبد الله في أرشيف الدولة بجنوة.
- □ الاتفاقية المغربية الجنوية - جنوي يعهد إليه بمهمة الاتّصال بالخارج.
- □ محمد بن عبد الملك سفير المغرب في طوسكانا
- □ الاتفاقية المغربية البندقية.
- □ مراسلات السلطان مولاي سليمان مع حاكم ڤينيسيا...
- □ الاتفاقية المغربية مع صقلية ونابولي.
- □ مولاي عبد الرحمن يجدد الاتصال بالصقليتين.
- □ استمرار الملوك العلويون في مساعدة مبعوثي حاضرة الفاتيكان.

علاقات المملكة المغربية
بجمهورية جنوة
على عهد الدولة العلوية

ولقد وقفت في أرشيف الدولة بجنْوة على منْجم من الوثـائق المغربيـة فيهـا مـا كان مترجماً إلى اللغة الإسبانية تسهيلاً على رجالا الدولـة في جنوةً.. وفيهـا مـا كان مكتوباً فقط باللغة العربية...

وفي صـدر مـا استرعى انتباهي خطـاب من السلطـان مـولاي اسماعيـل إلى رئيس جمهوريـة جنـوة، وقـد كتب بـاللغـة الإسبـانيـة مصـدّراً بـالطـابـع الكبير للسلطان المذكور، وقد حرر بمكناس ويحمل تاريخ 1122 هـ = 1710م ويتعلّق الأمر بسفارة مغربية تتفاوض لبناء قواعد السلام والتجارة بين البلدين...

ومن ضمن الوثائق المغربية التي وقفت عليها في جنوة رسالة من السلطـان مولاي زيـدان ابن السلطـان مولاي اسماعيل موجهـة إلى دوك جنوة حول إرسـال بعثـة مغربيـة، وهو يطلب أن يعتني بـالمبعـوث ويُقضى الغرض الـذي من أجلـه راح، وقد كـان الموضوع يتلخص في تسهيل القيـام بزيـارةٍ لصلـة الرحم بين أخ من جنوة يقيم في المغرب وأخيه الذي يقيم في جنوة !

وكانت الرسالة تحمل تاريخ أول محرم سنة 1112 = 18 يونيه 1700.

وبعد هذا نجد رسالةً من العاهل المغربي سيدي محمـد بن عبـد اللـه مؤطّرة بـألـوان زاهيـة وقـد حُفظت في غـلاف أخضر مطرز بهـلال من خيـوط ذهبيـة، ويحمل تاريخ 7 شوال 1181 = 2 يبراير 1769 يُمضي فيهـا العـاهل المغربي مـا

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم الواحد الأحد

إلى فنسلنيشم دوك جنوة سلام على من اتبع الهدى [illegible]

أما بعد فاعلم أنا لم نكتب اسمك لأنا لم نعرف من هو هنالك [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

أول محرم الحرام فاتح سنة اثني عشر ومائة وألف

من الأمير مولاي زيدان إلى دوك جنوة أول محرم 1112

طلبه حاكم جنوة من حاكم تطوان القائد محمد عاشر[1] ثم نجد بعد هذا أثراً لمنح جمهورية جنوة حقّ امتياز من قبل السلطان سيدي محمد بن عبد الله سنة 1182 = 1768 في مقابلة الخدمات المعتاد تقديمها للمغرب»،[2] ونجد في نفس الظرف تفصيلاتٍ لهذا الإجمال، ويتعلق الأمر برسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى الحاج محمد عاشر تحمل تاريخ 22 جمادى الأولى 1182 = 4 اكتوبر 1768 تعهد له في التفاوض مع جنوة من أجل تعزيز العلاقات...

ويذكر هوست في تاريخه لأمبراطور المغرب محمد بن عبد الله أن سنة 1771 (1184 - 85) شاهدت التاجر الجنوي ماركيز فيالي (M.Viali) يؤسس شركة تجارية بمراكش، ولكنه لم يلبث أن أغلقها وأقام بالصويرة واشتغل بالتجارة في الحبوب... وهناك سيستقبله العاهل في تافيلالت يوم 9 نونبر 1783 (13 ذي الحجة 1197) حيث قدّم له البارون شوارتز Schwartz الذي كان يُدعَى أسقف البوصنة والذي ورد فقط من أجل الاستطلاع والسياحة على ذلك العهد.

ثم بعد هذا نجد نصوص الاتفاقية المبرمة بين الطرفين بتاريخ 7 شعبان 1191 = 10 شتنبر 1777 وكانت من ستة عشر بنداً، على مانجده في المصادر الإيطالية.[3]

ولا بد أن نشير بالإضافة إلى هذا، إلى المنشور الذي أصدره العاهل المغربي بتاريخ 20 دجنبر 1777 والذي يعطي فيه لعدد من الدول امتياز الدخول للموانئ للتزود بالحاجيات ومباشرة التجارة وكان منها جنوة...

وقد عثرنا على رسالةٍ من القائد محمد بن عبد الملك إلى أمير جنوة يخبره فيها بالعزم على إرسال سفيرٍ عن السلطان سيدي محمد بن عبد الله، هذا السفير هو الحاج محمد السراج الذي يصحبه اثنان من الموظفين... كانت هذه الرسالة بتاريخ 11 محرم 1194 = 18 يناير 1780...

1) راجع المجلد الأول من هذا الكتاب - ص 185 وصفحة 294.

2) Ibn Azzuz : Pactos 217

3) Maria Nallino : Documenti Arabi... Rivisita degli Studi Oreantal XXI p. 51-76



حاكم جنوة يعطي تعليماته لسفرائه - عن أرشيف الدولة جنوة

Il Doge consegna le "Istruzioni" ai "Ministri"

Archivio di Stato di Genova, aut. 5.1.1982 N° 3261 V/9.81

ثم تأتي رسالة أخرى إلى حاكم جنوة، وهي تحمل تاريخ 23 شعبان 1196 = 3 غشت 1782 ويتعلق الأمر باعتماد السفير القائد محمد بن عبد الملك من أجل مفاتحة جنوة في أمر تحرير الأسرى...

ثم رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الله إلى عظيم جنوة بتاريخ 24 شوال 1198 = 10 شتنبر 1784، وهي أيضا في موضوع تحرير الأسرى المسلمين حيث يقول العاهل : «إن تحرير مسلمٍ واحدٍ أفضل من كل هدية تقدمها إليّ..!».

وها نحن الآن مع أحدهم ممن ينتمي لجنوة ويتعلق الأمر بفرانسيسكو شياب F. Chiappe الذي كان يحرر الرسائل إلى السلك القنصلي باللغة الإيطالية والذي كان رفيقاً لابن عثمان وأبي القاسم الزّيّاني..[4]

وإلى جانب هذا نقف على أمر ملكي للقنصل الفرنسي بابتيسط بتاريخ 3 ـ 1202 = 1787 ـ 1788 ليفتدى الأسرى المغاربة في عددٍ من الجهات، منها جنوة وروما ومالطة.[5]

علاقات المغرب بالطوسكان

وفي إطار السياسة الخارجية للمملكة نجد العاهل سيدي محمد بن عبد الله يكتب بتاريخ 30 رجب 1181 = 8 دجنبر 1767 إلى حاكم طوسكان بيير ليوبولد الأول Pierre Liopold I) الذي ينعته ملك المغرب بعظيم الطليان الكراند دوك.

لقد كتب إليه بواسطة التاجر المغربي الحاج علي مدينة التطواني الذي تعرّض المركب الذي يحمل فيه وسقه لعملية قرصلةٍ بالرغم من أنه يحمل علم الطوسكان، إن قانون البحر يقول : «إن البنديرة ضامنة،[6] ولذلك فإن الملك يطلب من عظيم الطليان أن يعمل على إرجاع متاع الحاج علي مدينة !

4) د. التازي : العلاقات بين المغرب وجنوة، المؤتمر العالمي الثالث للدّراسات التاريخية في جنوة (3 ـ 5 دجنبر 1987).
Miscell Anea di Storia Delle Esplorazioni Studi di Storia Delle Esplorazioni Genva.

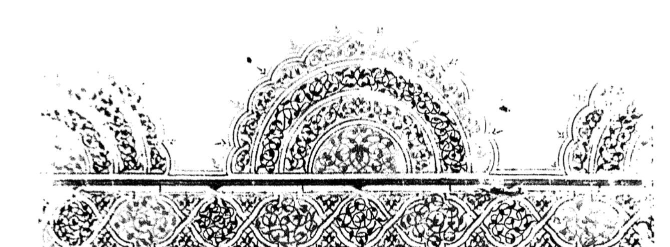
5) المجلد الأول من هذا التاريخ ص 295 ـ والمجلد الثاني ص 61 ـ 62.

6) ورد في المجلّد الخامس : «الراية تحمي البضاعة» صفحة 238.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

ليعلم الواقف على هذا المكتوب الشريف من عمالنا وولاة أمرنا

ظهير تعيين كياب الجنوي في خدمة المخزن بتاريخ أول صفر، 1199 = 14 دجنبر 1784



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

[illegible] البلاد ونحو مراكش سلطان فاس حاطهما الله سيدنا ومولانا

الى عظيم الطليان الكرنده وذوق تشقن [illegible] سلام على من اتبع الهدى اما

بعد فان حامل هاذا الكتاب الكريم خديمنا الحاج على مدينة التطاوني هو منه

ظامنه البنديرة البحار ومن كريو اخذ ثم بندرتكم وسوقه وفد [illegible]

حتى لا [illegible] الكريو فاجعلوا بنديرتكم باهانة ترسو [illegible]

[illegible] اواخر مكناسة من كتبه صدر الامر [illegible]

[illegible]

من العاهل المغربي إلى حاكم طوسكان 30 رجب 1181

ولم تلبث العلاقات أن تطورت بعد التصريح الذي أصدره العاهل بتاريخ 19 ذي القعدة 1191 = 20 دجنبر 1777[7] والذي يمنح فيه حرية الرسوّ بالموانئ المغربية لعددٍ من الجهات، كان من ضمنها (ليفورن).

وهكذا نجد اتفاقيةً تعقد بين محمد الثالث وبين ليوبولد الأول بتاريخ 8 محرم 1192 / 6 يبراير 1778 تحتوي على اثني عشر بنداً : ينص الأول على أنه من يوم التوقيع على هذه الاتفاقية فإنه يمنع العدوان بين رعايا الدّوق الكبير للطُّوسكان ورعايا الأمبراطورية المغربية بحيث يسود الأمن والسلم الدائم بين الطرفين...[8]

ويقدم لنا هوست في تاريخه للسلطان سيدي محمد بن عبد الله معلومات جد مفيدة عن هذا الموضوع حيث يذكر أن الدبلوماسي المغربي الذي كان مفاوضاً هو محمد بن عبد الملك الذي سنرى أنه ستكون له زيارة أخرى لطوسكانا عندما اتجه نحو فيينا على ماقدّمنا عند الحديث عن علاقاتنا مع النّمسا...[9]

☆ ☆ ☆

نعم على نحو ما قلناه فإن العاهل المغربي عهد مرة أُخرى لسفيره محمد بن عبد الملك بمهمةٍ أُخرى في طوسكانا قبل أن يأخذ طريقه إلى فيينا...

وبعد قضاء، غرضه في فيينا عاد على مثل طريقه عام 1983 = 1197 حيث وجد في طوسكانا حليفة المغرب المساعدة المطلوبة للعودة إلى المغرب.

وهكذا نعرف خلفيات حديث الأُستاذ ابن عزوز عن وجود اتفاقية ثانية للمغرب مع طوسكانا عام 1784 كما نعرف الحقيقة في رد الأُستاذ كايي علي ابن عزوز اعتماداً على ما نقله عن مدير الأرشيف في فلورانسا.[10]

---

7) Host : L'histoire de Sidi Mohamed ben Abdellah

8) Caille : les accords p. 224

9) Host : Histoire... p. 90،

10) (Caillé : Accords. p.50) ـ الحسين فوزي من وكالة أنباء المغرب : جريدة الأنباء 22 اكتوبر 1987.

علاقات المملكة المغربية بالبندقية

لقد عقدت البندقية اتّفاقيتّها مع المملكة المغربية بواسطة أحد مبعوثيها الذي كان من أصلٍ يوناني ويحمل اسم جيوڤاني كومّاطا (Gionvanni Comata).

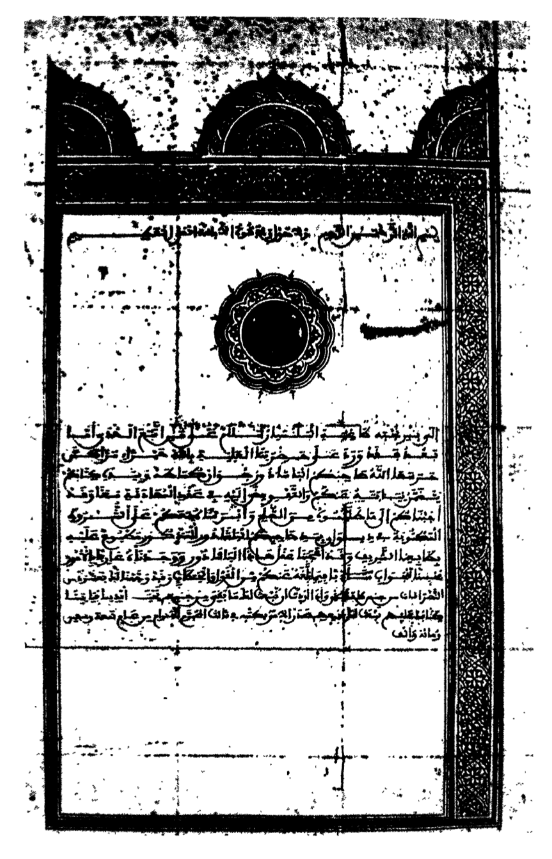
وقد أصبحت البندقية بمقتضى هذه الاتّفاقية التي كانت بتاريخ 25 ذي الحجة 1178 = 15 يونيه 1765 ضمن أصدقاء المملكة المغربية.(11)

وهي تتألف من ثلاثةٍ وعشرين بنداً نوقشت ووقعت بمدينة مراكش، وقد وقفتُ على صورتها مع ترجمتها في أرشيف الدّولة بڤينيزيا وتحمل طابع السلطان الذي ينعت نفسه بأنه ملك تنبكتو وإقليم السودان... على ما أوردته في المجلد الأول من هذا الكتاب(12)

وبالرغم من أن هذا الاتفاقية لا تتضمن ما يشير إلى (الإتاوة السنوية) التي اعتادت الدول الأوربية أداءها للمغرب في مقابلة ضمان نشاطها التجاري عبر البحر، فإن وجود اتفاقية إضافية تتعلق بالإتاوة أمر محقق، لأن الكتاب المعاصرين للعاهل المغربي تحدثوا عن وجودها في نفس السنة، وقد وقفت على رسالةٍ جميلةٍ جداً تحمل نفس الطابع الذي تصدر الاتفاقية المذكورة وهي بتاريخ 3 محرم 1179 = 22 يونيه 1765، وتصحب نص الاتفاقية بعد المصادقة عليها في مراكش من لدن العاهل المغربي...

(11 Host : L'histoire de L'empreur du Maroc Traduc. Damgaard et Gruignard p. 22.

(12) وردت في الفصل 20 كلمة الفريشك التي ترجمت إلى (Rafraichissment) وأغتنم هذه الفرصة لأجدد شكري لمديرة الأرشيف الدكتورة فرانسيسكا تييبّولو M.F. Tiepolo
بحث د. التازي أمام مجمع اللغة العربية بالقاهرة حول المعجم الدبلوماسي للمغرب - يبراير 1988.



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

[illegible]

ومائة وألف

رسالة 3 محرم 1179 = 22 يونيه 1765 من المغرب إلى البندقية

وقد شهد شهر دجنبر 1768 = شعبان 1182 وصول سفير للبندقية إلى المغرب قال عنه هوست إنه حمل عدداً من الهدايا كان منها خيمة رائعة صنعت في دمشق الشام علاوةً على عدد من التحف البندقية.(13)

وقد وقفتُ في أرشيف الدولة بالبندقية كذلك على رسالةٍ موجهة من السلطان مولاي اليزيد ابن سيدي محمد بن عبد الله إلى عظيم البلنسيان يخبره بوصول خطابٍ من حاكم فينيسيا مصحوباً بالعشرة آلاف المترتبة للمغرب على البندقية... ورد ذلك مع القنصل جيروم شياب... وهذا الخطاب مؤرخ بمهل ربيع الأول عام 1206 = 29 اكتوبر 1791.

وبعد جلوس السلطان المولى سليمان بن محمد بن عبد الله على العرش 1206 = 1792 تجدّدت الصلات بين أمير البلِسيان وبين العاهل الجديد، وهكذا أرسلت البندقية بأمير الأسطول كرسولٍ معزز بنائبه ليؤكد علاقات الود بين الطرفين ويعلن عن الرغبة في تجديد عقد المهادنة المبرم بين الدولتين... وقد كان جواب السلطان المولى سليمان بالإيجاب على هذه الرغبة سالكاً مَسلك سلفه، وقد عثرتُ على صورة الجواب الذي كان يحمل خاتم السلطان، وقد وجّه من مكناس إلى أمير البلنسيان وهو بتاريخ 26 صفر 1210 = 11 شتنبر 1795 وقد نقله الزميل الراحل السفير خير الدّين الزركلي عند ترجمته للسلطان المولى سليمان عن أرشيف الدولة بالبندقية (Vensia) وفيه يذكر طوماسو كوديلمير (Tommaso Condulmer)(14)

كما وقفت إضافةً إلى هذا على رسالة أُخرى تحمل طابع السلطان مولاي سليمان تؤكد الرسالة السابقة إلا أنها تضيف ستة شروط على الشروط التي تم الاتفاق عليها أيام السلطان سيدي محمد بن عبد الله...

وقد كان المفاوض المغربي في شأن تلك الشروط هو الكاتب الوزير السفير محمد بن عثمان الذي نجده يوقع الاتفاق بتاريخ 29 صفر عام 1210 = 14 شتنبر 1795 على هذا النحو :



13) هوست ص 13.

14) كتاب الأعلام ج 3، 191.

بسم الله الرحمن الرحيم   ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله أمير المؤمنين المتوكل على رب العالمين سليمان بن محمد كان الله له آمين



إلى أثيرنا الدوكي برينسبي دولة البلنسيان وعظيمها والمشار إليه في جميع أمورها أما

بعد فإنه ورد علينا كتابكم صحبة رسولكم كبير مراكبكم الكبيتان كماندور ... تعرفونا

منه ما أنتم عليه من محبتنا ومودتنا وابتغاء دوام المحبة والعشرة فقبلنا من الرسول ما ذكره النائب

في تجديد الصلح والمهادنة كما كان بين دولتكم ودولتنا ولما قرب مقدم رسولكم ونائبه إليك

بعثه نائبا عنه في مواجهتنا وتبليغ كتابكم إلينا وأقبلناه ببر واعتبار اعتناء بكم ولما

تقتضيه منزلتكم عندنا ولطول المعاشرة التي كانت لكم مع سيدنا الوالد رحمه الله ونحن معكم على

الصلح والمهادنة التامين كما كان ذلك مع سيدنا الوالد رحمه الله مع زيادة بر وإحسان إن شاء الله

والسلام كتب في حضرة مكناسة سادس وعشرين يوم صفر من عام 1210

رسالة السلطان مولاي سليمان إلى دوك البندقية، بتاريخ 26 صفر 1210
وقد وقفت على أصلها في أرشيف الدولة هناك بالبندقية

العلاقات المغربية مع جزيرة سردينية وموناكو

وقد كانت (سردينية) ضمن اللائحة التي صدرت عن السلطان سيدي محمد بن عبد الله بتاريخ 20 دجنبر 1777 والتي يسمح فيها بأن تدخل المراكب السردينية إلى شواطئ المملكة المغربية للتزود بما تحتاج إليه[15]

وبالإضافة إلى هذا نجد أرشيف الدولة في مدينة تورين (Turin) كما نجد هوست (Host) في كتابه التاريخي عن المغرب كلاهما يتحدث عن نصوص اتفاقية عقدت بين سردينية والمملكة المغربية سنة 1782[16] على نحو ما تمّ مع (بروسيا) وهامبورغ في نفس السنة... وقد حدث بعد هذا أن بعثت سردينية بطائفةٍ من الهدايا لملك المغرب كان من بينها خمسة عشرة أسيراً مغربياً يلبسون أحسن اللباس على ما يقول (هوست).

ولابد أن نذكر هنا أن في جملة السفراء المغاربة الذين توجهوا إلى سردينية من أجل افتداء الأسرى المغاربة والمسلمين على العموم نذكر عبد العزيز فنيش الذي تذكر بعض المصادر أنه أخ للطاهر فنيش...[17]

وفي أيام السلطان المولى عبد الرحمن وبالضبط سنة 1240 = 1825 سجل تاريخ العلاقات بين البلدين تعيين الكونت ديجينس (Des-Genys) كسفيرٍ للصاردو (Sardes) من قبل ملكهم طالباً عقد اتفاقية سلام بين الجانبين - وكانت مملكة موناكو وضعت آنذاك تحت حماية ملك سردينية - فأجاب العاهل المغربي لذلك وكلف الوزير المختار الجامعي بمفاوضة نائب الكونت القنصل جيرو لانو إيرميريو (Girolano Ermirio)، نظراً لمرض السفير فعقد معه «معاهدة من سبعة وعشرين بنداً على ما تذكر المصادر المغربية، وكلها يرجع إلى تمام الصلح ودوام الأمن والمجاملة في التجارات وسائر أنواع المخالطات، والثالث عشر منها

15) جاك كايي : الأوفاق الدولية، ص 223.

16) كايي ص 40 تعليق 2.

17) Ramon Laurido Diaz : Relaciones Del Alawi Sidi Mohammad Ben Abdellah Con El Imperio Turco en el Segundo Periodo de su Snltanato 1775 90. Hesp. Tamuda 1986 p. 231

يتضمن إلزام مراكب المسلمين أنْ تخضع لنظام الكرانطينة» إنْ تعيّن موجبها عند دخول مرسى من مراسي الصاردو، وكذلك لأهل صاردو بالمغرب على ما قال صاحب الاستقصا، ويؤكد ابن زيدان أنّ العاهل أمضى المعاهدة وأوجب العمل بها، ثم أورد نصها في كتابه (الإتحاف) بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير...(18)

وقد رأينا أن تاريخ تقييد العقد كان يوم 12 ذي القعدة 1240 = 28 يونيه 1825 بينما كان تاريخ المقابلة بين الأصل يوم 7 صفر 1241 = 21 شتنبر 1825، وكان الذي قام بالمقابلة المذكورة أحمد ابن سليمان برناط والعربي بن محمد الفلوس الحسني وتأخر تسجيلها من طرف القاضي محمد بن يحيى إلى فاتح المحرم 1266 = 17 نونبر 1849.

وبينما يحتوي النص العربي على 27 فصلا... وجدنا أن المصادر الإيطالية تقتصر على ثلاثة وعشرين فصلاً، ويظهر أن المصادقة تمت بعد المفاوضات على اختصار العدد... وكان تاريخ توقيعها على ما في هذه المصادر أيضاً هو 6 اكتوبر 1825 = 22 صفر 1241.(19)

علاقات المغرب مع مملكة الصقليتين : صقلية ونابولي...

لقد كانت جمهورية (نابولي) ضمن الدول التي تناولها المنشور الملكي الصادر بتاريخ 19 ذي القعدة 1191 = 20 دجنبر 1777 القاضي بمنحها حرية التجارة مع المغرب على نحو الروسيا وأمريكا...

وعلى نحو ما قلناه في العلاقات المغربية الإسبانية فقد فتح الفصل العاشر والأخير من اتفاقية أرانخويس (Arenjuez) بتاريخ 30 مايه 1780 المجال لملك الصقليتين للاستفادة من مكاسب الاتفاقية المغربية الاسبانية...

---

18) ج 5، ص 203 ـ الخزانة الحسنية مخطوط رقم ح د 1694 بعنوان : كناش شروط الأجناس.

19) Della Torre : Trattato... di Sardegna ed il marocco, p. 801

وقـد وصل السفير محمـد ابن عثمـان إلى نـابـل أواسـط شعبـان 1196 = غشت 1782 لتتميم المهمة حيث أقام في ضيافة المملكة النابولية على ما يحكيه في مخطوطته : (البدر السافر لهداية المسافر... [20]

ولقد وقفت في أرشيف الدولة في نابولي على رسالةٍ لاعتماد محمد بن عثمان، وقد حررت بمراكش بتاريخ 2 ذي الحجة 1195 = 19 نونبر 1781.

وقد تيسر للسفارة افتداء مائة أسير كانوا قد أعدوا للبيع، وكذلك استرجعت السفارة أحد المراكب السلطانية كان السلطان قد بعثه لأمير طرابلس حاملاً القمح فتلقته مراكب نابُلية وأخذته، وقد تمكن ابن عثمان من إقناعهم برد ما وجد في المركب سيما بعد انعقاد الاتفاقية بين المغرب والصقليتين.

وتوجد هناك صورة لرسالة التدخل التي سلمها السفير محمد بن عثمان للوزير في شأن المركب وهي محررة بخط يده في نابل بتاريخ 12 رمضان عام 1196 = 21 غشت 1782.

وقد زارت السفارة أثناء إقامتها بنابل بعض الأبناك التي يبلغ عددها سبعة على ما يفصله ابن عثمان الذي تحدث أيضا عن رؤيته للفيل الذي ورد على الملك من بلاد الهند، لقد قال له مروّض الفيل : «إن هذا الحيوان مع عظمته وقوته يخاف خوفاً شديداً من الفار أن يدخل في أذنه فيموت من ذلك !!».

وقد دعى السفير لمقابلة الأميرة ماري كارولين زوجة فيرناندو الرابع، وقد تفاءل السفير المغربي عندما أكدت له أنها ستساعده على أداء مهمته، وخطر بباله هذا البيت الشعري الذي يكشف عن دور المرأة في قضايا الوساطة :

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا !!

---

20) توجد منها نسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم ح 52، ونسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم 1315 لكن الأُولى أقدم من الثانية ومن المهم أن نشير إلى أن هذه الرحلة - التي أُعِدُّها للنشر - تضمنت ذيلاً نقدياً ممتعاً لبعض رفاقه في هذه السفارة، مما يعطي فكرة عن تمسك ابن عثمان بضرورة احترام الدبلوماسيين لواجبهم كممثلين لأرفع سلطة في بلادهم... د. التازي : صقلية في مذكرات السفير ابن عثمان - مطبعة فضالة 1978 ص 4.

الحمد لله وحده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله محمد بن عبد الله كان الله له آمين



إلى سلطان نابلس وصقلية وغيرهما فرديناند الرابع سلام على من اتبع الهدى أما بعد
فقد وجهنا إليكم باشدورنا الفقيه الأجل الأمير على سترنا كاتب أوامرنا السيد محمد
بن عثمان ليجعل معكم الصلح والمهادنة كما جعله مع والدكم محبنا السلطان
دون كارلوس الثالث حيث كان عندنا باشدورنا هذا قبل اليوم واتفق والدكم مع
الباشدور المذكور على أن تدخلوا معنا ومع والدكم في هذا الصلح وبعثنا إليكم الباشدور
المذكور ليجعل الصلح معكم لأنه كان على يده ويعرف شروطه وكل ما تفعلون معه
فنحن أمضيناه وقبلناه وكل ما يقوله لكم من كلامنا فاقبلوه منه فإننا فوضنا
إليه ثم نعلمكم ونبين لكم محبتنا فيكم وفي والدكم أن بلادنا كلها مثل بلادكم
ورعيتكم تأتي إليها مثل رعية والدكم مقبولين مكرمين وكل ما تريد من أرضنا وبلادنا
أعلمونا به مع الباشدور المذكور ونحن نحضر لكم كل ما تحبون إن شاء الله والسلام من مراكش
ثاني الحجة عام ١١٩٥

رسالة اعتماد ابن عثمان في نابولي 2 ذي الحجة 1195 = 19 نونبر 1781

وقد غادر ابن عثمان البلاد يوم 4 محرم 1197 = 10 دجنبر 1782 في اتجاه الساحل المغربي قبل أن تضطره العواصف البحرية للرسوّ في جزيرة صقلية...



كنيسة سان جيوفاني التي تحدث ابن عثمان عن أنها كانت مسجداً ـ عن مجلة (المشرق) الإيطالية شتنبر 1987.

* * *

وهكذ كللت سفارة ابن عثمان بالنجاح التام وعاد مزوداً بالتعويض الذي سلمته نابولي إلى العاهل المغربي مقابلة المركب المغربي الذي تم السطو عليه ـ وهو في طريقه لطرابلس ـ على ما أسلفنا...

ومن جانب المغرب هناك وثيقة ملكية وقفت عليها في أرشيف الدولة بنابولي وهي تحمل تاريخ متم ربيع الأول عام 1198 = 22 يبراير 1784 :

«... فقد قبلنا هذا الصلح وأمضيناه ووصلتنا مع البشطور المذكور هديتكم التي بعثتم معه مع قيمة المركب كما هو مذكور في الورقة التي في داخل الكتاب...[21]

فهل كان ذلك التاريخ آخر عهد ابن عثمان بالصقليتين ؟

لقد رشح ابن عثمان للسفارة مرة ثالثة أوائل سنة 1200 نونبر 1785 بقصد قضاء مهمةٍ في القسطنطينية العظمى.

وكما حدث في المرة السابقة عندما التجأت السفارة المغربية إلى صقلية فقد حدث هذه المرة أن اضطرت السفينة بعد إقلاعها من قرطاجنة وقضائها فترة طويلة بين تلاطم الأمواج إلى أن ترسو (بسرقوزة) للتزود بالماء يوم 10 شعبان 1200 = 8 يونيه 1786...

☆ ☆ ☆

واستمرت علاقات الود قائمة بين المملكة المغربية وبين ملك الصقليتين : نابولي وصقلية وهكذا نجد العاهل المغربي السلطان محمد بن عبد الله يهادي ملك الصقليتين بتاريخ 10 جمادى الأولى 1201 = 28 يبراير 1787 باثنين من عتاق الخيل وأربع كلاب سلوقية فيها اثنان مجلوبان من الصحراء المغربية...[22]

☆ ☆ ☆

وقد تجددت علاقات المغرب بمملكة الصّقليتين على نحو ما كانت عليه أيام الملك محمد الثالث ومن ثمت وجدنا معاهدةً تعقد بين المملكة المغربية وبين مملكة الصقليتين في عهد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام بن محمد بن عبد الله بتاريخ 19 صفر 1250 = 25 يونيه 1834 وهي تجدد المعاهدة السابقة على عهد الملك المذكور، وتضيف إليها بعض الزوائد، وقد ساق صاحب الإتحاف نصها.[23]

---

21) أغتنم هذه الفرصة لأشكر المشرفين على أرشيف الدولة في نابولي، وعلى الخصوص السيدة المديرة ماريا أنطونييطا مارتيلو أرباباكو - Mmaria Antonietta Martullo Arpago كما أشكر مساعدة الأستاذة كليليا سارنيلي سيركا Clelia Sarnelli Cerqua مدير المعهد الجامعي للدراسات الشرقية...

22) من وثائق مدريد المحفوظة بمكتبة تطوان...

23) الإتحاف ج 5 ص 214.

علاقات المملكة المغربية بحاضرة الفاتيكان

سنستعرض هنا بعض الملامح للعلاقات التي ربط المغرب بالفاتيكان : على عهد الملوك العلويين الأوئل :

أولاً : في إطار أداء الرهبان لمهمتهم إزاء الجالية المسيحية التي كانت تقيم في المغرب لسببٍ أو آخر...

ثانياً : في إطار الاستعانة بهؤلاء الفرايلية (Frailes) لقضاء الأغراض الدبلوماسية التي كانت تعنّ أحياناً والتي كانت مواضيعها تقتضي تكليف أولئك الرجال باعتبارهم «وسطاء خيرٍ» لدى هذه الجهة وتلك أيضاً من أجل فك أسيرٍ أو حل مشكل...

وقد وقفت في رومة وبالذات في المكان المعروف بـ«ساحة اسبانيا» في المؤسسة الخاصة بتاريخ نشاط الفرانسيسكان في بلاد المغرب على ثروةٍ ضخمةٍ تتمثل في تقارير رؤساء البعثات الدينية في كل جهة من جهات إفريقيا أو (بارْ باريا) كما قد تسمى،[24] وتتجلّى قيمة هذه التقارير في أنها تعطي صورةً دقيقةً للحالةِ السياسية التي كانت تعيش عليها البلاد، كما أنها تقدّم لنا نموذجاً عن مظاهر التسامح الذي كان يطبع العلاقات بين المسؤولين المغاربة وبين ممثلي الديانة المسيحية في الوقت الذي كان فيه أولئك المسؤولون أيضاً حريصين كلّ الحرص على الحفاظ التام على هيمنة العقيدة المحمدية في الوسط المغربي...

(24 Congregazione per l'evangelizzazione del Popoli o «de Propaganda Fide», Piazza di Spagna, 48, Secondo Piano : Archivio Storico.

وهكـذا فقـد كـان ممـا وقفت عليـه من معلـومـاتٍ هنـاك أن سنـة 1676 = 1087 هـ شـاهـدت إرسـال مبعوثين ليقـومـوا بتقـديم بعض المسـاعـدات الطّبية في بعض المدن المغربية : فاس وتطوان.... وقـد ورد الراهب جيرولومو (Girolomo) عـام 1679 = 1090 هـ على المغرب وأجرى محـادثـات مـع السلطـان مولاي اسماعيل الـذي زوده بجواز مرورٍ عبر المـدن المغربيـة التي يـوجـد فيهـا مسيحيون...

وبعد هـذه الجولـة عرض الراهب المـذكور على «البروبّـاكّـانـدا» (Propaganda) تنظيم شؤون البعثة البابوية في المغرب، حيث عين هذا الراهب مديراً لها ...

وبعد هذا عهد بأمر تسيير البعثة للراهب الاسبـاني دييكّو Diego الـذي نـال ثقة السلطان مولاي اسماعيل أكثر من سابقه الأمر الذي ساعـده على تشييـد بعض الكنـائس في مكنـاس وعلى تخصيص مقـابر للمسيحيين، وقـد تجلّى هـذا من خلال الظهائر العديدة التي صدرت عن الملوك العلويين الأوائل...[25]

وبالرغم من حـالـة الاضطراب التي عـاشهـا المغرب بعـد وفـاة السلطـان مولاي اسماعيـل 1139 = 1727 إلا أننـا مـع ذلـك سنجـد عـدداً من الظهـائر والمراسيم الملكيـة التي تعبّر عن مـدى التسـامـح الـذي ظـل الملـوك يتشبثـون بـه اقتـداءً بالسيـاسـة التي كـان ينهجهـا السلطـان مولاي اسماعيل...[26] يكتب لولـده الأمير مولاي عبد الكريم حول التوصيـة خيراً بـالفرايليـة «لاتترك من يقربهم ولا من يترامى عليهم...

وقد تحدثت المصادر البـابويـة التي وقفت عليهـا في رومـة عن إنشـاء دارٍ للضيافة لهم بطنجـة عـام 1763 وأخرى بـالصويرة عـام 1769 وثـالثـة بـالربـاط عوضاً عن التي كانت بسلا...

وبجلوس السلطان المولى سليمـان على عرش المغرب اتجهت العلاقـات نحو استعادة سحنتها القديمة، وهكذا عاد الحوار بين المملكـة المغربيـة وبين البعثـة البابوية وجدد الإذن بإقامة البعثة في طنجة وأسفي...

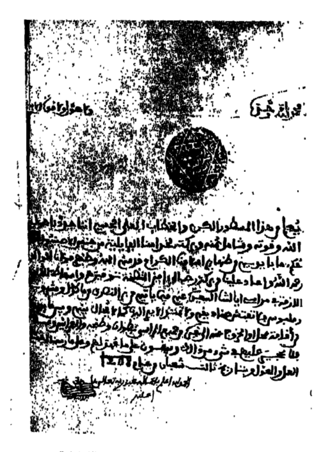
---

25) مجلة دار النيابة، العدد الثالث صيف 1984...

26) مجلة دار النيابة، خريف 1984.

ويكفي أن نشير إلى ظهير صدر عن السلطان مولاي سليمان بتاريخ ثالث شعبان 1208 (5 مارس 1794) في موضوع «خدامنا الفرايلية» وإعفائهم من سائر الكلف اللازمة في مراسي إيالتنا السعيدة...

ولقد رأينا أن البابا ليون الثاني عشر يعهد إلى ملك فرنسا شارل العاشر سنة 1826 ـ 827 بالقيام بمساعيه لدى المملكة المغربية لصالح الملاحة التابعة للبابوية.[27]



ظهير من السلطان المولى سليمان حول البعثة الفرايلية، وهي بتاريخ 3 شعبان 1208 = 6 مارس 1794

27) Jaques Caillé : Sur Les rapports du Maroc avec le Saintsiége. – Hesp – Tamuda 1969 p. 7

علاقات المملكة المغربية بالولايات المتحدة الأمريكية

القسم الأول

- ◻ أمريكا في حديث المغاربة.
- ◻ الخطوات الأولى نحو اتصال الطرفين.
- ◻ المراسلات بين الكونكريس وبين البلاط المغربي.
- ◻ الاتفاقية المغربية الأمريكية بمراكش.
- ◻ الرئيس جورج واشنطن يطلب وساطة المغرب مع تونس وطرابلس.
- ◻ الرئيس يهدي نسخةً من الدستور الأمريكي للعاهل المغربي.
- ◻ العلاقات المغربية الأمريكية على عهد السلطان مولاي سليمان.
- ◻ الأزمة المغربية الأمريكية.
- ◻ اجتماع العاهل المغربي في طنجة بالأميرال بريبل وانفراج الأزمة.
- ◻ رسالة للسلطان مولاي عبد الرحمان للسلك القنصلي.

العلاقات بين المملكة المغربية والولايات المتحدة الأمريكية... القسم الأول

«لقد عرف المغرب عن أمريكا قبل أن تعرف هي عن نفسها !!»

هكذا أجبتُ ذات يومٍ عن سؤالٍ وجّه إلى في أعقاب محاضرة عن العلاقات المغربية الأمريكية.

وقد كان سندي في هذا الجواب ماكنت قرأته عن اكتشاف المغاربة للقارة الأمريكية قبل كريستوف كولومب بألف سنة، من خلال نقوشٍ توجد في فكَيكَ وفي كُوكَابونيست...[1]

وكلُّنا يعرف عما قاله الجغرافي المغربي الشهير الإدريسي عند حديثه في كتابه نزهة المشتاق عن ليشبونة و «المغرّرين الثمانية» الذين ركبوا بحر الظلمات ليعرفوا مافيه وإلى أين انتهاؤه...

إن الذين يعرفون عن جولات الأُسطول المغربي على ذلك العهد لايمكنهم أن يجدوا هُوية لأُولئك غير الهوية المغربية...

وتستأثر بعض المخطوطات العربية بإفادة لابن خلدون تتحدث عن محاولة من جنوة ومن المغرب لا ستكشاف ما وراء المحيط على ما قرأناه في كتاب المقريزي : «درر العقود الفريدة...»[2]

---

1) John P. Gallagher And Frederick J. Pohl: 1000 Years Before Columbus, There Were Catholics In Connecticut, The Catholic Digest, August 1980 p. 49

مجلة البحث العلمي العدد 32 ذي الحجة 1401 = نونبر 1981.

د. عبد الهادي التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المجلد الثالث مطبعة فضالة ـ المحمدية 1407 = 1987 ص 202 ـ 203 ـ 204 ـ 205.

2) د. التازي : العلاقات بين المغرب وجنوة بحث قدم للملتقى الدولي في جنوة، دجنبر 1987.

وأمامنا طائفةٌ من المراسلات الدبلوماسية المتبادلة بين المغرب وأنجلترا عام 1008 = 1601 تتحدث عن إبرام حلفٍ ثنائي بين السلطان أحمد المنصور وبين الملكة إليزابيث الأُولى للنزول في أمريكا...[3]

وفي مذكراته عن زيارته للبلاد المنخفضة سنة 1021 = 1612 ـ 13 لم يفت الجَجَري المعروف بأفوقاي أن يسمي القارة الأمريكية بالدنيا الجديدة ويذكر سكانها الهنود وديانتهم قبل أن يصلها الأُروبيون.[4]

وعند حديث المؤرخين عن الأُسطول المغربي الذي ظل «أُسطورة البحار...» لم يفتهم أن يذكروا أواخر عهد دولة السعديين اقتحام قطع الأسطول لُجَج المحيط الأطلسي حتى «لاطيرنوف» (La Terre Neuve) الإقليم العاشر اليوم في كندا ![5]

وإذا ما تحدث الناس عن مصادر تاريخ اكتشاف أمريكا فسيكون عليهم أن يذكروا التقرير الذي رفعه محمد بن عبد الوهاب الغساني سفير السلطان مولاي اسماعيل لدى كارلوص الثاني ملك اسبانيا (1102 ـ 1609 ـ 1691) عندما تحدث بإسهاب عن المدّ الإسباني في القارة الأمريكية.[6]

ويكون على المؤرخين لنشأة الولايات المتحدة الأمريكية أن يقفوا طويلاً عند الصفحة الرائعة التي وردت في تقريرٍ دبلوماسي لسفير مغربي آخر عن فترة ميلاد الولايات المتحدة الأمريكية.

---

3) د. التازي : الموجز في تاريخ العلاقات الدولية، مطبعة المعارف الجديدة، الطبعة الأُولى 404 = 1984، ص 92 (S.I.H.M. ANG. T. 2 p. 202)

4) ناصر الدّين على الكافرين لأحمد بن قاسم الحجري الأندلسي تحقيق : محمد رزوق، منشورات كلية الآداب بالدار البيضاء ـ 1407 ص 95.

5) التاريخ الدبلوماسي للمغرب، المجلد 2 ص 56 ـ 57 ـ العلاقات المغربية الكانادية ـ العَلَم 24 يوليه 1981 (لُوبَّينيون 5 ينـاير 1982 /S.I.H.M. FRANCE 1 S. T. 1 p. 373 / 434 T. 3 p. 23 / 147 Not 1 196
Not 1 p. 220 t 4 p.627

6) رحلة الوزير في افتكاك الأسير، تحقيق الفريد البستاني، منشورات مؤسسة الجنرال فرانكو، العرائش 1940 ص 44.

ويتعلق الأمر بمحمد بن عثمان سفير السلطان سيدي محمد بن عبد الله لدى الملك كارلوص الثالث 1193 ـ 1779 الذي تحدث عن القصة التي تعرف في تاريخ النّضال الأمريكي بحفلة شاي بوسطن (Boston Tea Prty).[7]

وخارجاً عن إطار الحديث عن العلاقات السياسية التي سنتناولها... نرى من المفيد أن نذكر هنا أن محمد الثالث الذي نعرف عن اهتمامه ببناء الأسطول قرر (4 شوال 1200 = 31 يوليه 1786) أن ينشىء خطّاً بحريا يربط المغرب بأمريكا، ولمّا يمض على إمضاء الاتفاقية الثنائية بين البلدين أكثر من أربعين يوماً[8] وهو ما يؤكد لنا درجة الاهتمام بذلك «العالم الجديد»...[9]

وبعد نحوٍ من ثمانين سنة 1297 = 1880 ظهر تأليف في تاريخ المغرب يحمل اسم (الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى) لمؤلفه أحمد بن خالد الناصري[10] الذي اغتنم فرصة المصادفة التاريخية التي جمعت بين طرد المسلمين من الأندلس من جهة وبين امتداد الأطماع الأوروبية نحو «الدنيا الجديدة» من جهةٍ ثانية، اغتنمها ليقدم لنا قصة الإكتشاف...

---

7) الإكسير في فكاك الأسير لمؤلفه محمد بن عثمان المكناسي، تحقيق وتعليق محمد الفاسي منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ـ الرباط 1965.
د. التازي : تاريخ الولايات المتحدة في المصادر المغربية، مجلة المناهل العدد 12، شعبان 1398 يوليه 1978.

8) نذكّر هنا بأن الاتفاقية المغربية الأمريكية وقعت يوم أول رمضان عام 1200 = 28 يونيه 1786 كما نذكر بأن رسالة أولى مؤرخة يوم 4 شوال 1200 = 31 يوليه 1786 موجهة من العاهل إلى وزير الخارجية المغربية يطلب إليه مفاتحة السلك الدبلوماسي حول مشروعه لوصول قطع أسطوله لأمريكا.. كما نجد رسالة ثانية في الموضوع بتاريخ 3 شعبان 1202 = 9 يوليه 1788 د. التازي التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مطبعة المحمدية ج 1 1406 ـ 1986 ص 198. هوست : تاريخ سيدي محمد بن عبد الله ص 149.

9) تاريخ الضعيف، لمحمد الضعيف الرباطي 1165 ╒ 1233 هـ، 1752 = 1818 تحقيق وتقديم ذ. أحمد العماري، نشر دار الماثورات ـ الرباط 1406 = 1986 ص 326 ـ 327.
د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 1 ص 171 ـ 172 174.

10) الاستقصا : مطبعة دار الكتاب ـ الدار البيضاء 1955 ص 107 ـ 108.

1200-14

الحمد لله وحده



ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم



يعلم خديمنا القائد محمد بن عبد الهادي أن جميع النصارى الذين بمكناسة كلهم ويقول
لهم إن رجال بحريتنا كل سنة تكسى لهم المراكب وإن من أراد أن يكون جنسه عندنا في حكمه
وزيادة [illegible] عن علمه فليعطه لنا [illegible] ورجال البحر يكونون في مراكبنا كل مركب
يكون فيه عشرة من [illegible] رياس الملوكات العارفين بأمور البحر الكبير والبحر الصغير المعروفة
الثلاثة وهم يتولون أمور المراكب وكلهم رجال بحريتنا إنما يكونون تابعين لهم في كل شيء
البحر ويساعدونهم فيه وهؤلاء [illegible] رياس الذين يعطون لنا يسافرون في المراكب
كل ما كانوا يقبضونه في بلادهم في مراكب جنسهم نعطيه لهم نحن على قدره منه (؟)
ونحو ذلك وحين تتكلم بذلك مع [illegible] الذين بها أعلمنا بذلك وأعلم النصارى المذكورين
[illegible] وليأت لنا الجواب هذا الكاغيد
والسلام في 4 شوال عام 1200

ظهير 4 شوال 1200 = 31 يوليه 1781 حول إنشاء خط بري يربط المغرب بأمريكا !

ويمضي ردح من الزمان (1346 = 1927 ـ 1928) ليطلع علينا كتابُ تاريخٍ وأدبٍ معاً هو (فواصل الجمان في أبناء الزمان» للكاتب محمد غريط الذي يقدم لنا الرئيس الأمريكي جوهن أدامس[11] على أنه رجل عصامي...

وقد اهتم التأليف المغربي أيضاً بالجانب الجغرافي من القارة الأمريكية والولايات المتحدة على الخصوص ويتعلق الأمر بالأطلس الملوّن الذي ألفه أبو العباس أحمد شهبون الذي قدم معلوماتٍ مفيدة عن الولايات المتحدة في القسم الذي عنونه بصورة أرض الميريكان...[12]

فكيف تمت الخطوة الأولى من أجل اللقاء ؟

إني على مثل اليقين من أن القائد الطاهر فنيش سفير السلطان سيدي محمد بن عبد الله لدى لويز الرابع عشر (يناير 1778) حول المشروع المغربي المتعلق بالقضاء على الأسر ـ اجتمع في فرساي ـ بالبعثة الأمريكية التي كانت تشرف على المفاوضات الفرنسية الأمريكية، لأن رسالة الاعتماد التي كان يحملها فنيش كانت تنص على ما يلي، ـ والخطاب فيها لملك فرنسا ـ :

«... وجهنا لكم خديمنا القائد الطاهر فنيش ليتكلم في أمرٍ اقتضاه نظرنا السديد معكم و مع جميع قونصوات أجناس النّصارى الذين بإيالتكم من المصالحين معنا وغيرهم، علي يدكم، وهو أن كل أسير أسيرٍ أيّاً كان ففداؤه مسلم «رأس برأس...»

ولقد قام العاهل المغربي، في هذه الأثناء، بمبادرةٍ حيث نراه يصدر من مكناس منشوراً بتاريخ 19 ذي القعدة 1191 = 20 دجنبر 1777 يتعلق بالإذن لعددٍ من الدول في ممارسة نشاطها التجاري مع المغرب، وكان من ضمنها أمريكا... وقد اعتبرت هذه المبادرة اعترافاً بسيادة أمريكا واستقلالها...[13]

---

11) فواصل الجمان، الطبعة الأولى 1346 طبع على نفقة عبد العزيز بوطالب المطبعة الجديدة، فاس ص 251 ـ 252.

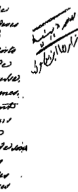
12) عبد الرحمن ابن زيدان : الدرر الفاخرة ـ المطبعة الاقتصادية، الرباط 1356 = 1937 ص 95 ـ 96.

13) رفع هذا المنشور إلى الدول بطنجة نائب القنصل الهولاندي ويبسطير بلونت (Webster Blount).
Jacques Caille: : Les Accords Internationnaux Du Sidi Mohammed Ben Abdellah 1960 p. 223

Messieurs

J'ai l'honneur de vous écrire d'ordre de
S.M.I. Q.D.G. pour vous aviser que vous devez
écrire en Europe que Sa Dite Majesté
dorenavant donne libre entrée dans ses ports
aux suivantes Nations, savoir à celle de
Russie, de Malthe, de Sardaigne, de Prusse,
de Naples, de Hongrie, de Livourne, de Genes,
de Allemagne, et des Americaines, donnant
ordre à ses Corsaires de laisser passer leurs
Navires librement, les quels pourront
prendre des provisions dans tout les ports de ses
Royaumes, et avoir les mêmes privileges
que les autres Nations avec les quelles
Sa Majesté a la paix. Vous observerez
que la presente lettre sera signé par Sa
Majesté sur le Couvert du dehors

J'ai l'honneur d'être



وبعيد هذا التاريخ كلّف سلطان المغرب تاجراً فرنسياً مقيماً بسلا بمهمة القيام بقنصل عن الدول التي لا قناصل لها ! وكان هذا الفرنسي إيتيان دو دِيبير كاي (Etienne d'Audibert Caillé) الذي عهد له بمهمة الاتصال بسائر الدول التي لاتمثيل لها بالمغرب،[14] وهي وظيفة فريدة من نوعها باعتبارها تسهر على حقوق وواجبات المتغيّبين والمتخلفين على ما أشرنا إليه في مقدمة الكتاب.

وقد قام السيد كايي بالكتابة يوم 6 شتنبر 1779، بتعليماتٍ من سلطان المغرب، برفع كتاب إلى الكونكريس بواسطة بنجامين فرانكلين بباريز، يخبرهم فيه بتسميته قنصلاً لهم..!

وقد دفعت تلك الدبلوماسية البطيئة بالجانب المغربي لاتخاذ موقف أكثر صرامة، من السفن الأمريكية التي تعبر الطريق في ظل «المؤقت الدائم» دون أن تؤدى الواجبات التي يخضع لها سائر الدول !!

وهكذا فقد حدث 16 اكتوبر 1784 أن أصدر العاهل أوامره بحجز سفينة أمريكية بطنجة كانت معروفة تحت اسم (Betsey) إلى أن تكون للولايات المتحدة اتفاقية مع المغرب !

14) وقفت في (الأرشيف الوطني) بواشنطن على ملف ضخم من الوثائق التي تتعلق بنشاط هذا الوكيل مع مختلف الدول وبخاصّة مع الولايات المتحدة الأمريكية كما وقفتُ في تأريخ هوست لسيدي محمد بن عبد الله على أن الراية التي كان يرفعها هذا الدبلوماسي على مكتبه كانت «بيضاء وفي وسطها نسر»، فهل معنى هذا أن شعار الخارجية المغربية كان على ذلك المنوال ؟!.

وبطلب من المستر ويليام كارْميشل (W. Carmichael) القائم بالأعمال الأمريكي في مدريد، تدخلت اسبانيا التي كانت لها علاقات طيّبة آنذاك مع المملكة المغربية...

ولا بدّ أن نسجل هنا المبادرة التي قام بها السلطان العظيم سيدي محمد بن عبد الله من أجل تشجيع الدبلوماسية الأمريكية لاتخاذ الخطوات اللازمة...

فقد بعث العاهل المغربي بتاريخ أول شعبان 1199 = 9 يونيه 1785 إلى عظيم اسبانيا كارلوس مع السفير الإسباني فرانسيسكو ساليناس إ. مانينو (Fransisco Salinas y Manino) يخبره بالإفراج عن تسعة من الأسرى الأمريكان كانوا وقعوا مع مركبهم في أيدي البحارة المغاربة... ويقول بالحرف :

يصلكم مع باشادوركم فرنشيشك صلنس إ. منن عشرة من نصارى صبانية مع تسعة من النصارى الماركانوس بمراكبهم وكل ما تجعل معهم من المهادنة والصلح قبلناه وأمضيناه...[15]

وقد ذكرت بعض المصادر المعاصرة نقلاً عن وثائق رددها الزعيم الأمريكي مالكولم إيكس (Malcolm x) إن العاهل المغربي كان يشترط لمسالمة الولايات المتحدة الأمريكية أن تعمل على الإفراج عما يوجد في أمريكا من الأسرى الأفارقة الذين كانوا يقعون تحت سطو المغيرين عندما يتقصدونهم على السّاحل الإفريقي....

وقد صدر يوم 5 اكتوبر 1785 أمرٌ من جيفرسون وأدامس بتعيين طوماس باركلي قنصل أمريكا في باريز للتفاوض مع المغرب، وزود بوثيقةٍ تتضمن مشروعاً للاتفاقية أعد من طرف المبعوثين المذكورين...

ولقد ورد ثوماس باركلي مصحوباً برسالتين اثنتين إلى ما كان يحمله من هدايا : الأولى من رئيس الكونكَريس الأمريكي والرسالة الثانية من كارلوس الثالث عظيم اسبانيا، وكلتاهما إلى السلطان محمد بن عبد الله، وقد اقتصر خطاب الملك الإسباني على تقديم المبعوث الأمريكي والتماس قبول وساطة

15) د. التازي : جانب المجاملات في العلاقات المغربية الأمريكية، محاضرة في الندوة التي نظمتها شعبة القانون العام بكلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية بالرباط 13 - 14 أبريل 1987، L. Opinion

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم
من عبد الله محمد بن عبد الله المتوكل على الله الله وليه ومولاه

إلى عظيم اصبانيه كارلوس طرصيرو [illegible]
اصبانيه صونص بيسا انتياش انيكي باش السلام
على من اتبع الهدى أما بعد فيصلكم مع باشادو
ركم فرنسيسك صنصامين عشرا من النصارى
ضبانيه مع تسعة من النصارى الماركانيين وكلما تفعل
معكم من المهادنة والصلح فعلناه وأمضيناه وكلما
بعثت عليه باشادوركم المذكور قضيناه له وزيادة ونحن
معك على المهادنة والصلح التامين والسلام وكتب
في أوائل شعبان المبارك عام تسعة وتسعين ومائة وألف
1199

عن نسخة تحتفظ بها الخزانة الوطنية بتطوان

اسبانيا بينما كانت رسالة الرئيس جورج واشنطن تخطب ود المغرب في عباراتٍ مليئةٍ بالعواطف والتقديرات...

وبعد الاتصالات الأُولى في طنجة وإبلاغ القائد فنّيش الخبر للسلطان بمهمة (باركلي)، أَذِن العاهل للمبعوث الأمريكي في القدوم إلى مراكش، وهناك تم أولاً استقباله من طرف السلطان حيث قدم إليه أوراق الاعتماد...

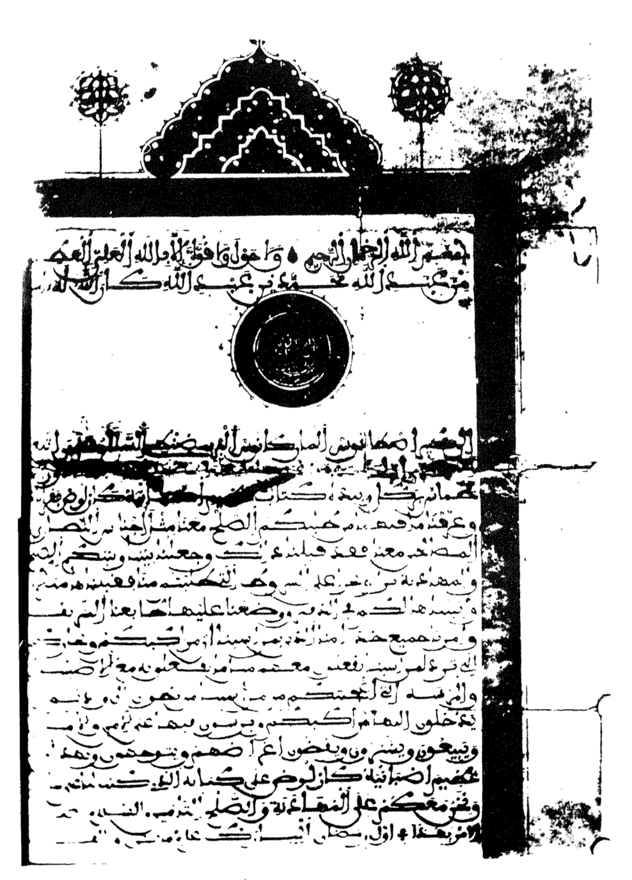
وبعد هذا تقدم بمشروع الاتفاقية التي أحالها السلطان على لجنة لمدارستها.

وقد كتب السلطان سيدي محمد بن عبد الله جوابين مؤرخين في نفس اليوم الذي ختمت فيه الاتفاقية الأمريكية المغربية أعني أول رمضان عام مائتين وألف (28 يونيه 1786) : كانت الأُولى إلى عظيم اسبانيا كارلوس الثالث ملك اسبانيا وصقلية والهند...

كما حرر العاهل المغربي رسالة ثانية إلى رئيس الولايات المتحدة يقول فيها بعد البسملة والحوقلة أيضاً :

من عبد الله محمد بن عبد الله كان الله له آمين.

إلى كبير اصطادوس الماركانوس البريزضنت، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فقد وصلنا كاتبك طوماس بركلي وبيده كتابك وكتاب عظيم اصبانيا كارلوص فقرأناهما وعرفنا ما فيهما من طلبكم الصلح معنا مثل أجناس النصارى المصالحين معنا، فقد قبلنا ذلك وجعلنا بيننا وبينكم الصلح والمهادنة براً وبحراً على الشروط التي طلبتم منا فقبلناها وأثبتناها لكم في الدفتر ووضعنا عليها طابعنا الشريف وأمرنا جميع خدامنا الذين بمراسينا أن مراكبكم وتجاركم التي ترد لمراسينا يفعلون معهم مثل مايفعلونه مع الاصبنيول، والمرسة التي أعجبتكم من مراسينا من تطوان إلى وادي نون يدخلون إليها مراكبكم ويرسون فيها على الأمن والأمان ويبيعون ويشترون ويقضون أغراضهم ويتوجهون، وبهذا أجبنا عظيم اصبانية كارلوص على كتابه الذي كتب لنا على شأنكم ونحن



بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

من عبد الله محمد بن عبد الله كان الله له

خطاب الملك محمد الثالث إلى الرئيس جورج واشنطون

معكم على المهادنة والصلح التأمّين والسلام، صدر الأمر بهذا في أول رمضان المبارك عام مائتين وألف.(16)

وبين أيدينا الآن نصوص المعاهدة التي كتبت بحضرة مراكش في الخامس والعشرين من شعبان المبارك عام مائتين وألف (23 يونيه 1786)، هذه المعاهدة التي تعتبر من أبرز الاتفاقيات الهامة في القرن الثامن عشر على عهد الدولة العلوية... وان القاء نظرةٍ على فصولها تشعر بالرغبة في الاستعانة بنصوص الترجمة الإنجليزية، ترجمت بأسلوبٍ لايخلو من معاناة على مانذكره في «الملاحق».

ومهما يكن فإن مقارنةً بين بعض النصوص وبعضها باللغتين لابد منها لمن يريد أن يقف على حقيقة الأمور سيما إذا عرفنا أن النص بالإنجليزية هو من إنشاء ثوماس جيفرسون محرر وثيقة الاستقلال...

(16) كان من هدايا جورج واشنطون ساعة جدارية على شكل صندوق شفاف يظهر منه عصفور كناري يعلن الساعات... وقد أهداها العاهل بدوره في نفس العام 1786 إلى دونامارية ملكة البرتغال على ما أشرنا إليه في العلاقات المغربية البرتغالية...

الولايات المتحدة تطلب وساطة المغرب...

وقد رأينا الكونكَريس - بعد أن عهد للمستر جوهن لامب (John Lamb) بالتفاوض مع داي الجزائر - يقوم برفع طلبٍ رسمي إلى الملك محمد الثالث بتاريخ 23 يونيه 1787 يضمنه التماس الرئيس الأمريكي جورج واشنطن بأن يقوم ملك المغرب بالتوسط لدى بأن تونس وباشا طرابلس مؤكداً أن الشعب الأمريكي سيظل مدينا للمغرب بما يحققه من تقدّم ورخاء...

وعن هذه الرسالة بالذات أجاب السلطان سيدي محمد بن عبد الله برسالته المشهورة إلى الرئيس جورج واشنطن بتاريخ 15 ذي القعدة 1202 (17 غشت 1788).

وقد جاء هذا الملتمس بعد فشل طلبٍ من أمريكا لسفير طرابلس في لندن أثناء حديثٍ طويل جرى بين أدامس وزير أمريكا المفوض، وبين الحاج عبد الرحمن أغا...

وفي هذه الأثناء كانت أمريكا تعيش ظروفاً عصيبةً، فإن التنظيمات الداخلية من جهة والاضطربات من جهة أُخرى لم تنته بعد...

لأَجل ذلك نلاحظ مرور فترة من الزمن دون أن يتمكن الرئيس الأمريكي من إجابة العاهل المغربي على رسالته بتاريخ منتصف ذي القعدة عام 1202 (17 غشت 1788)، وهكذا فلم يتيسر الجواب إلا بتاريخ فاتح دجنبر 1789.

لقد قال جورج واشنطن في الرسالة الجوابية :

إلى جلالة أمبراطور المغرب

صديقي الهمام العظيم

منذ تاريخ خطابنا الذي رفعه الكونغريس الأخير بواسطة رئيسه إلى جلالتكم، فضلت الولايات المتحدة تبديل حكومتها بأخرى جديدة تتفق والدستور الذي أتشرف بإرفاق نسخة منه مع هذا، وإذا لم يتوصل جلالتكم بالإعلامات

العادية ولا بعبارات الاعتبار من الولايات المتحدة رغم صداقتكم ومسلككم الشجاع تجاهها مما يبرر توقعكم، فخير عذر وعلة نرفعهما إلى جلالتكم هو الوقت الذي استغرقته تلك المهمة الشاقة، ثم الارتباك الشديد الذي تخلف عن هذه الثورة رغم سلميتها.

وما أن أجمعت الولايات المتحدة على تعييني على رأس السلطة التنفيذية العليا لهذه الأمة، حتى توصلت بخطاب جلالتكم المؤرخ 17 أغسطس عام 1788 الذي ظل بدون جواب بسبب سقوط الحكومة السابقة كما توصلت بالخطابات التي تلطفتم جلالتكم بتحريرها لصالح الولايات المتحدة إلى باشوات تونس وطرابلس، وارفع إلى ساحتكم شكر وامتنان الولايات المتحدة لهذه الالتفاتة الكريمة الدالة على صداقتكم لها.

ولنا أن نتأسف حقيقة على التصرفات العدوانية لتلك الإيالات تجاه هذه الأمة التي لم تمسسهم بسوء، تلك التصرفات التي لم يمكن دفعها ودياً.

وأراضينا لا تتوفر على مناجم ذهب أو فضة، وهذا الشعب الفتي ما كاد يبرأ من خراب ودمار حرب طويلة، ولم يمهل حتى يكوّن ثروة ما عن طريق الزراعة أو التجارة... إلا أن أرضنا سخية وشعبنا صناعي، ولنا أن نمني أنفسنا بأننا سنتمكن تدريجياً من أن نصبح مفيدين لأصدقائنا.

وكان للتشجيع الذي تفضلتم جلالتكم به على تجارتنا مع مملكتكم، والدقة التي راعيتموها في عقد المعاهدة معناً، والإجراءات المنصفة الكريمة التي اتخذت في قضية الكابتن بروكتور،[17] كل هذه الأشياء تركت أثراً عميقاً في الولايات المتحدة، ووكّدت احترامها وتعلقها بجلالتكم.

ويسرني في هذه المناسبة بأن أؤكد لجلالتكم، أنه طالما سأكون على رأس هذه الأمة، فلن أتوانى عن تشجيع كل وسيلة من شأنها أن تدعم الصداقة والانسجام القائمين - لحسن الحظ - بين أمبراطوريتكم وبيننا، بل وسأعتبر نفسي سعيداً، كلما تمكنت، من إقناع جلالتكم بالتقدير الكامل الذي أكنه لشجاعتكم وحكمتكم وأريحيتكم.

---

17) من وثائق الأرشيف الوطني للولايات المتحدة Roll 1 Caillé : les accards. p. 260 – 61.

ولما تجتمع الهيئة التشريعية (التي كانت تدعى بالكونكّريس سابقا)، خلال الشتاء المقبل، فسأعمل على أن لا تتعطل المراسلات المتبادلة بين بلدينا، وأن تسير بالكيفية التي تروق جلالتكم وترضي جميع مطالبها.

وأدعو الله تعالى بأن يبارك جلالتكم - أيها الصديق الهمام العظيم، ويشملكم دائماً بحفظه ورعايته.

حرر في مدينة نيويورك في غرة دجنبر عام 1789.

It gives me pleasure to have this opportunity of assuring your Majesty that, while I remain at the head of this Nation, I shall not cease to promote every measure that may conduce to the Friendship and Harmony which so happily subsist between your Empire and them, and shall esteem myself happy in every occasion of convincing your Majesty of the high sense (which in common with the whole Nation) I entertain of the Magnanimity, Wisdom, and Benevolence of your Majesty.

وعندما نَعَى طوماس جيفرسون سيدي محمد إلى أعضاء الكونكريس طلب إليهم التفكير في التدابير الواجب اتخاذها لضمان سير العلاقات الطيبة بين المغرب وأمريكا، وقد تكلم طويلاً عن الأهمية البالغة التي يعلقها على الصداقة مع المغرب مؤكداً بأن تجارة أمريكا مع الدول التي تقع على المحيط وعلى المتوسط لابدّ أن تتأثر بفاجعة موت محمد الثالث الذي كان اسمه يملأ الدنيا !

ولما تربع السلطان المولى سليمان على كرسي الحكم وصلت التقارير إلى الولايات المتحدة من قناصلها المعتمدين بالثغور المجاورة للمغرب بأن الحالة في المغرب رجعت إلى حالتها الطبيعية وأن مولاي سليمان أخذ بزمام الحالة وأن واجب أمريكا يقضي بأن تعجل بإرسال مندوب عنها جديد...

وهكذا عهد كاتب الدولة (Edmond Randolph) بتاريخ 28 مارس إلى الوزير المفوض الأمريكي في البرتغال الكولونيل (David Humphrie) بأن يقوم بالمساعي اللازمة مع المغرب من أجل الحصول من السلطان مولاي سليمان على تجديد الاعتراف بالاتفاقية الأمريكية المنعقدة في 1786...

وهكذا اعترف مولاي سليمان باتفاقية 1786، وذلك في رسالة بتاريخ أول صفر 1210 = 18 غشت 1795 موجهة منه إلى الرئيس الأمريكي كان مما جاء فيها : «**نحن على السلم والمهادنة معكم على نحو ما كان** بينكم وبين والدنا المقدس...».

ولقد تليت رسالة مولاي سليمان على أعضاء الكونكَريس فكانت بشرى بالنسبة للأعضاء وقد تم فعلاً تعيين قنصلٍ جديدٍ لأمريكا بالمغرب، ولم يكن هذا غير (Jaimes Simpson) الذي التحق بالعاصمة الدبلوماسية طنجة حيث تقيم البعثات السياسية...



. رسم لطنجة من فيينا مع تجديد الشكر للمشرفين على الأرشيف الوطني

الأزمة المغربية الأمريكية

بيد أن الأحوال لم تلبث أن تغيّرت فقد مرت العلاقات المغربية الأمريكية بظروف دقيقة بسبب الحرب التي شبت بين أمريكا من جهةٍ وبين طرابلس من جهةٍ أخرى...

وهكذا ففي أيام طوماس جيفرسون 1801 - 1809 وأثناء حصار طرابلس من قِبَل الأمريكان ورد سفير من طرابلس على بلاد المغرب سنة 1802 يطلب من السلطان مولاي سليمان مركباً مشحوناً بالقمح...

إن المغرب بحكم ارتباطه بأخوته وجيرته كان يعتمد على أن الشرط السادس من المعاهدة المغربية الأمريكية يتضمن إشعاراً صريحاً بأن المغرب يعتبر المسلمين - ولو كانوا من غير إيالته - في أمانه وعلى صلحٍ دائم معه !

ونتيجةً لرفض الضباط الأمريكان - للاستجابة المغربية قام المغرب - بإشهار الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية على ما تؤكده المصادر الأمريكية...

وهكذا نزلتْ إلى البحر السفينتان المغربيتان مبروكة وميمونة...

لكن العملية اكتشفت عندما كان الكابتن بينبريدج (Bainbridge) رئيس السفينة (فيلاديلفيا) يقوم بمطاردة المراكب الطرابلسية حيث واجهت (مبروكة) (فيلادلفيا) يوم 9 جمادى الأولى 1218 = 26 غشت 1803 ولقد لاحظ الكابتن أن (مبروكة) تجر معها مركباً من بوسطن ذا شراعين كانت أسرتْه، وهو يحمل اسم سيلْيا (Celia).[18]

لقد تبين أن الأمر صدر لرئيس السفينة المغربية ابراهيم لوباريس[19] من عامل طنجة أشعاش بالقبض على السفن الأمريكية...

---

18) كان هذا الكابتن رئيساً للسفينة (Betsy) التي كان العاهل المغربي أصدر أمراً بحجزها في مرسى طنجة...

19) جْلين تكر Glein Tueker : معارك طرابلس، تعريب عمر الديراوي أبو حجلة، مكتبة الفرجاني ص 301 - 302، حرب القرصلة، ترجمة منصور عمر الشتيوي، طرابلس، ص 156 - 157.

وبعد أن خلص المركب الأمريكي وأفرج عن ربابنته قام بينبريدج بحجز (مبروكة) وقادها تحت القوة إلى جبل طارق على ما تذكره الوثائق الأمريكية التي وقفت عليها في الأرشيف الوطني بواشنطن...[20]

وقد وقفتُ على رسالتين اثنتين باللغة الإنجليزية كلتاهما تحمل تاريخ 20 جمادى الثانية 1218 = 8 اكتوبر 1803 يتأكد أنهما حررتا والسلطان مقيمٌ بمدينة طنجة التي دخلها يوم الخميس[21] 18 جمادى الثانية 1218 خامس اكتوبر، وهما تخملان الطابع الملكي، الأولى إلى القنصل الأمريكي جواباً عن رسالة سابقة منه : يؤكد له فيها أن ماحدث لاينبغي أن يضر بصفو العلاقات بين بين المغرب وأمريكا ويضيف قائلاً : «إن الذين وردوا علينا من إخواننا المسلمين مستنجدين بنا كان من الصعب علينا أن نرد طلباتهم، وحتى لو فرضنا أن الطرابلسيين أعداء لكم، فحيث إنهم وصلوا إلى دارنا فقد كان عليكم أن لا تمسوهم رعايةً لجانبنا وعلى وجهنا، وإن الرايس الذي وقف إلى جانبهم إنما فعل ما تمليه عليه عاطفته..» وتختم الرسالة بإعطاء موعد لاستقبال السفير وقائد الأسطول...

أما الرسالة الثانية فهي موجهة إلى العامل الجديد في طنجة محمد بن عبد الصادق وهي تأمره بأن يشرف على الإفراج عن سائر المحتجزات الأمريكية، ويقوم بإرجاع الأغراض إلى أصحابها دون تضييع أو تفريط وأن تموِّن السفن الأمريكية بما تحتاج إليه من زاد قبل سفرها...

وفي اليوم الموالي لتاريخ الرسالتين المذكورتين بعد استقبال مولاي سليمان للأميرال بريبل (Prible) يوم 7 اكتوبر حرر ظهير شريف صادر عن السلطان مولاي سليمان حول تجديد اعترافه باتفاقية والده، وهو يحمل تاريخ 21 جمادى الثانية 1218 = 9 اكتوبر 1803 وهذا نصّه :

---

20) تصفه المصادر الأمريكية بأنه كان قنصلاً للمغرب في اسبانيا...

21) Survey of United States Relations With Morocco Nov. 1957. Historical Division Departe ment of State \ p. 25 – Luella – J. Hall, The United State and Morocco 1971, p. 61.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله.

ليعلم الواقف على هذا المسطور الشريف عن عُمَّالنا وولاة أمرنا ورؤساء مراكبنا أن جنس المركان لا زال على ما كان عليه من الصلح والمهادنة مع جانبنا العالي بالله، ومراكبه مؤمنة بحراً وبراً، وتجارة كذلك، ولم يتغير الصلح بيننا وبينه، وما كان أحدثه الحال مع مراكبنا فإنما هو من المراكب وقع ذلك، وأما الجنس المذكور فهو عندنا على ما كان عليه من التوقير والأمان عليه وعلى مراكبه، فنأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمر مراسينا ورؤساء مراكبنا بأن يعمل بمقتضاه ولا يحدو عن مذهبه، ومن خالفه نعاقبه أشدّ العقاب، صدر الأمر به في 21 جمادى الثانية عام 1218.

وبعيد هذا التاريخ 24 جمادى الثانية 1218 = 12 اكتوبر 1803 أي في اليوم الذي غادر فيه العاهل طنجة حررت رسالة من السلطان المولى سليمان إلى الرئيس الأمريكي طوماس جيفرسون، ومجلس الشيوخ الأمريكي: «ان ما وقع من وحشة - تقول الرسالة الملكية - بين سفننا وما وقع من ترامي رؤسائها بعضهم على البعض الآخر استدعى إصدار أمرنا لإحضار الجميع بمرسى طنجة حيث تحققنا بأن هذه القضية تافهة لا أهمية لها، وقد حلت المشكلة، وقد أخبرناكم بما وقع إعراباً عن تأكيد الصداقة والسلام معكم على نحو ما كان عليه الأمر في اتفاقية عام 1200، وإن العهود التي انعقدت بين البلدين ما تزال جارية...[22]

☆ ☆ ☆

وقد وقف الرئيس الأمريكي طوماس جيفرسون يخبر البرلمان يوم 20 شعبان 1218 = 5 دجنبر 1803 بأن كل المصاعب قد وقع التغلب عليها بصفة ودية، وأن العاهل المغربي قد جدد اعترافه بمعاهدة 1786، وبهذا دخلت حوادث الأمس في التاريخ !![23]

هناك نصّ في «تاريخ الضّعيف» حول الأزمة الأمريكية المغربية، أشرنا له في المجلد الأول من كتابنا وقد احتوى على عددٍ من العناصر التي افتقدناها في

22) يحكي شاهد عيان هو علي باي أن خطيب الجمعة في اليوم الموالي حمل بشدة على التجارة مع الأجانب اعتماداً على فتوى التسولي....

23) وقفت على نسخة من هذا التصريح في مطبوع خاص يحمل تاريخ 5 دجنبر 1803 وعنوانه : Message From The President of The United States... Amicable Adjustm ent of Differences Between The United States and The Emperar of Morocco. وبهذه المناسب أشكر الأستاذ و.رولمان W. Rolman

بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره يعرف منه بسبب النصراني

من يشهد كتاب الأمريكي الذي هو بيد خديمنا يتعين بحول الله

وقوته ونشاء الله بيده وبركاته أننا كتبنا له بكتب البحريات

التي توجد من عند سادتنا النصارى والتي توجد من النصارى والباشدرات

والقنصوات والتجار وغيرهم من النصارى الذين يردون علينا فيكون

هو الواسطة بيننا وبينهم ويقف في أمورهم لأجل خدمته لنا

ومن ناله بذلك على غيره من النصارى والسلام وكتب في أوائل

عام تسعة وتسعين ومائة وألف

تأكيد الصلح بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية، بتاريخ 21 جمادى الثانية 1218

المصادر الأروبية فعلاوةً على صحة التواريخ الواردة في كتاب الضُّعيف ودقة المعلومات التي استقى منها، نسمع حديثاً عن «الأوراق التي تشير إليها الرسائل المخزنية، والتي كانت البحرية الأمريكية تريد الوقوف فيها على الجهة التي زوّدت الرايس لوباريس بالتعليمات...

ويعتبر الضّعيف من المصادر القليلة التي تحدثت عن زيارة السلطان المولى سليمان لمدينة طنجة (اكتوبر 1803) إذا ما استثنينا تلك التي أشارت لهذه الزيارة عند حديثها عن باديا لوبليش Badia Leblich واجتماع هذا الأخير بالعاهل المغربي...[24]

لقد عادت العلاقات إلى طبيعتها الأولى حيث سجلنا رسالة بعثها السلطان المولى سليمان إلى الرئيس الأمريكي جيمس مونرو (James Monroe) جواباً على اعتماد القنصل الأمريكي الجديد الكبالير (جوهن مولوني (John Mullony) الذي عين مكان سيمبسون، وقد ورد في هذه الرسالة التي حررت بفاس يوم 16 رمضان 1236 = 17 يونيه 1821، نعت الرئيس الأمريكي برئيس الديوان...

ولما كان القنصل قد حمل معه هدية للعاهل من رئيس الولايات المتحدة فقد طلب إليه الملك أن يُبقى الهدية تحت يده حتى تسنح الفرصة لمقدمه... أو يرسل من يصدر له الإذن بتسلميها...[25] وقد ختمت الرسالة بأخبار القنصل بأنه سيجد طيّ هذه الرسالة نصّ جواب ملك المغرب على رسالة الرئيس الأمريكي جيمس مونرو...

وقد راجت أقوال عن هبة الولايات المتحدة الأمريكية مقراً لبعثتها.

وهكذا نجد الوثائق الأمريكية تسوق نص الرسالة التي بعث بها السلطان المولى سليمان إلى عامله بطنجة يقول فيها : نأمركم أن لا تأخذوا أي كراء من القنصل الأمريكي جوهن موڵلوني من أجل الدار التي يسكنها والتي يمكنه أن

---

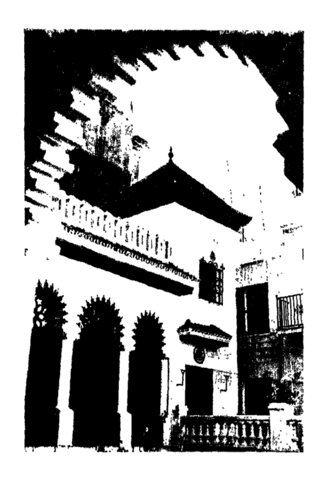
24) Badia Leblich : Viajes Por Marruecos / Edition Preperada Par Salvador Barbera Madrid I.E.A 1985 p. 169

25) كان من جملة الهدايا لمولاي سليمان ساعات ذهبية وصناديق موسيقى...

يتصرف فيها كما لو كانت له، ففي استطاعته أن يقوم بإصلاحها على أن يكون من ماله الخاص...»

وبهذا تكون هذه البناية أقدم هبة تملكتها الولايات المتحدة على وجه الكرة الأرضية.(26)

وان هذا العطاء هو الذي تؤيده وثيقة مغربية مصدّقة حررت بعد هذا التاريخ بنحو ربع قرن تذكر أن الدولة الأمريكية تملك «زينة الدار»...

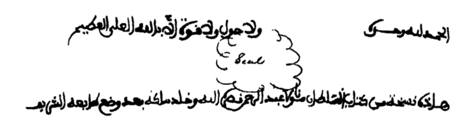


26) محمد بن الحسن الوزاني : جريد الرأي العام المغربية عدد 27 يوليه 1951 ـ محمد الفاسي دعوة الحق عدد 1967 ص 30. د. التازي : الحسن الأول ملك المغرب والرئيس الأمريكي كليفلاند محاضرة في الجامعة الصيفية ـ المحمدية ـ المغرب، ذي القعدة 1407 هـ = يوليه 1987م.

وعلى العادة المتبعة فقد وجّه السلطان المولى عبد الرحمن فور جلوسه على العرش 1238 = 1822 كتاباً إلى سائر القناصل المعتمدين بالعاصمة الدبلوماسية يؤكد فيه سيْره في سياسته الخارجية على نفس الخط الذي كان عليه عمه السلطان المولى سليمان، وقد جاء في هذا الكتاب على الخصوص ما يلي :

«إلى كافة قنصوات الأجناس المصالحين معنا الذين بطنجة وهو قونص الإنجليز وقونص الافرنصيص وقونص الاصبنيول وقونص البردقيز وقونص السويد وقونص دنمارك وقونص مركان وقونص سردانيه، سلام على من اتبع الهدى.

أما بعد فاعلموا أن الله تعالى قادنا أمر المسلمين بالمغرب والمهادنة التي كانت بين سلاطين أجناسكم وبين عمنا السلطان مولانا سليمان رحمه الله لازلنا عليها والشروط والمكتوبة بينهم وبينه لازلنا عليها ولا يرون بحول الله وقوته منا إلا ما يسرهم. فنأمركم أن تكتبوا لملوككم بما قررناه لكم، وعلى هذا يكون عملكم والسلام بتاريخ ربيع الثاني من عام 1238 الموافق لثالث عشر دجنبر العجمي 1822.


الحمد لله وحده

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

Seal

هذه نسخة من كتاب السلطان مولانا عبد الرحمن نصره الله وخلد ملكه بعد وضع طابعه الشريف

الى كافة قنصوات الاجناس المصالحين معنا الذين بطنجة وهم قونص الانجليز وقونص الافرنصيص
وقونص الاصبنيول وقونص البردقيز وقونص السويد وقونص دنامرك وقونص مركان
وقونص سردانيه سلام على من اتبع الهدى اما بعد فاعلموا ان الله تعالى قادنا امر
المسلمين بالمغرب والمهادنة التي كانت بين سلاطين اجناسكم وبين عمنا السلطان
مولانا سليمان رحمه الله لازلنا عليها والشروط المكتوبة بينهم وبينه لازلنا عليها ولا يروا
بحول الله وقوته منا الا ما يسرهم فنامركم ان تكتبوا لملوككم بما قررنا
لكم وعلى هذا يكون عملكم والسلام بتاريخ ربيع الثاني الموافق لثالث عشر
دجنبر العجمي من عام 1238

صلة المغرب مع :
دُوبْروفنيك ـ مالطة ـ اليونان
في صدر الدولة العلوية

- تصريح الملك محمد الثالث في أعقاب الأخبار التي وصلت عن سلوك بعض مراكب جمهورية دوبروفنيك مع الحجاج المغاربة...
- وساطة الباب العالي وانفراج الأزمة.
- علاقات المغرب بالجمهورية من خلال الأرشيف.
- السفارة المغربية في مالطة من أجل تحرير الأسرى.
- مذكرات ابن عثمان في مالطة...
- خطاب الباب العالي للسلطان مولاي سليمان في شأن التوصية خيراً بالجزر اليونانية التي انفصلت عن البندقية...

العلاقات بين المملكة المغربية وجمهورية دوبروڤنيك على عهد السلطان محمد بن عبد الله

بالرغم من أن جمهورية دوبروڤنيك (Dubrovnik)[1] أو (راكوزة) كما تسميها أحياناً الوثائق المغربية - كانت على هذا العهد محمية الباب العالي فقد حفظ التاريخ عدداً من الوثائق المتبادلة بينها وبين المغرب.[2] ويتعلق الأمر بصفة خاصة بالاتصالات التي جرت في أعقاب اتهام إحدى السفن التابعة للجمهورية بتقصيرها في واجب نقل الحجاج المغاربة إلى بلادهم وإنزالهم عوض ذلك بميناء طرابلس وتونس مخلةً بالشروط المتفق عليها بين المواطنين المغاربة وبين بحرية دوبرونيك !

وهكذا حرر السلطان محمد بن عبد الله تصريحاً بتاريخ 24 شعبان 1191 = 27 شتنبر 1778 باللغة الفرنسية بواسطة سومبيل (Sumbel)، يذكر فيه أنه يشعر القناصل الأجانب بأنه يعتبر نفسه في حالة حرب مع جمهورية راكوزة ويعطي الأسباب لذلك...[3]

---

1) تقع دوبروڤينيك (Dubrovnik) على ساحل البحر الأدرياتيكي جنوب سنجق البوسنة وسنجق الهرسك كما تسميها وثائق العثمانيين، عقب سقوطها في أيديهم عام 1463...
نياز محمد شكريج : الفتح العثماني وانتشار الإسلام ونشأة المؤسسات الإسلامية في البوسنة والهرسك (يوغوسلاڤيا) في القرنين الخامس عشر الميلادي.
رسالة تقدم بها الأستاذ شكريج إلى جامعة بغداد في تشرين الأول 1971 وحضرت مناقشتها..

2) يتحدث كتاب تاريخ الأتراك في شمال إفريقيا (ج 2 ص 43) عن رسالة بعث بها العاهل المغربي إلى البلاط العثماني مع السفير عبد الكريم أراغون، وكانت تتعلق بدوبروڤينيك.

3) توجد، رسالة بتاريخ 24 أبريل 1780 من العاهل المغربي إلى قابطان راكوزة يتحدث فيها السلطان عن أداء واجبه لبحري من نفس الجنسية.
Jacques Caille : A Propos d'un Document Inedit de Moulay Yazid Hesp p. 239 .

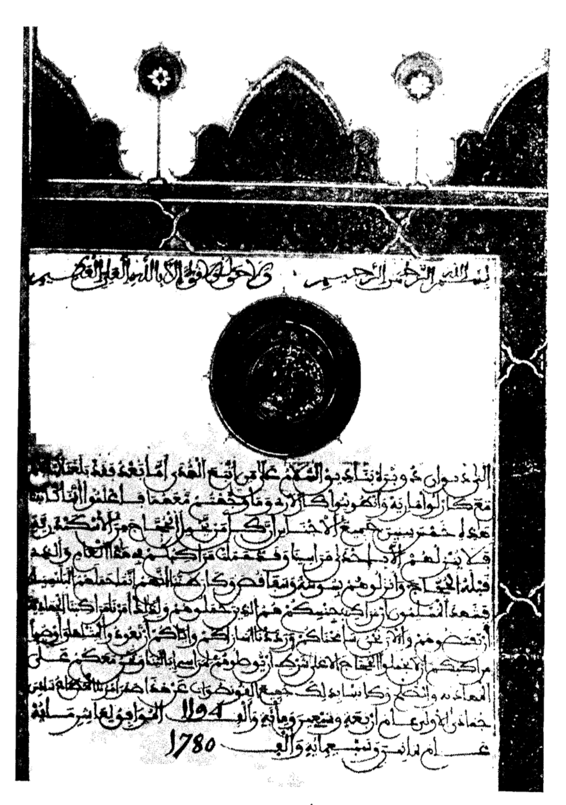
وقد ورد على المغرب في ربيع الأول 1184 = أبريل 1780 سفيران من جمهورية دوبروفينيك[4] هما قنصل قادس دوديرو (Dodero) والقابطان كازيلاري (Casilari) وهما مبعوثان من الباب العالي من السلطان عبد الحميد وكانا يحملان أنفس الهدايا...

وقد وصل الوفد إلى مراكش لمقابلة العاهل المغربي محمد الثالث حيث وصل الطرفان إلى اتفاق وصدر تصريحان بتاريخ 6 جمادى الأول 1194 = 10 مايه 1780 جعلا حداً للأزمة، وذلك بعد أن قدمت السفارة حُججاً معززة بشهادةٍ من شيخ تونس تدل على أن السفينة المتهمة ليست من دوبروفينيك !



رسم لمدينة دوبروفينيك

4) باسم قورقوت : الوثائق العربية في دار المحفوظات بمدينة دوبرفينيك سراييو 1960 يوغوسلافيا، الكتاب الأول ج 1 ـ 2 .



6 جمادى الأُولى 1194 = 10 - 5 - 1780

كتاب من محمد الثالث إلى ديوان دوبروفنيك يخبرهم أن كتابهم المتشفع الذي يحمله كارلو ماريه وأنطونيو كازيلارى... وأنه يتجاوز عن الهفوة التي ارتكبوها حيث أخذوا الحجاج المغاربة من الأسكندرية وعوض أن ينزلوهم بالمراسي المغربية أنزلوهم في سوسة وصفاقس... كانت المسامحة بعد سنتين من التوسلات، وكانت السلطات منذ خمس سنوات أخطرت سائر الدول بواجبها.

لكن المشاكل لم تلبث أن عادت للظهور وبالضبط بتاريخ 7 ذي الحجة 1194 = 14 دجنبر 1780 حيث أعلن العاهل أنه يعتبر نفسه في حالة حرب مع راكوزة..!!

والواقع أن بعض ربابنة السفن من الأُروبيين كانوا لا يترددون في الإقدام على مثل هذه المخالفات وقد حدث أن أنزلت سفينة من تلك السفن جماعةً أُخرى في مالطة حيث ظلّ المغاربة هناك يعانون من البرد والجوع...[5]

لكن الظروف لم تلبث أن عادت بالعلاقات إلى سابق عهدها بسبب بعض المبادرات التي جدّت من لدن دوبروفنيك...

وعندما أصبح المولى يزيد ملكاً على بلاد المغرب كتب بتاريخ 9 يوليه 1791 إلى بحريٍّ من دوبروفينيك يطلب إليه إرسال أحد الربابنة، وبتاريخ 6 دجنبر 1797 توجه السلطان المولى سليمان إلى بحريٍّ آخر من (راكوزة) يعيد إلى ذاكرته أنه تبعاً للقواعد المتفق عليها، فإن راكوزة كانت التزمت بأن تجعل عدداً من السفن تحت تصرف العاهل سيدي محمد بن عبد الله كلما دعت حاجة المغرب إلى ذلك...

وقد اتبعت هذه «القواعد» إلى شهر يبراير 1798 حيث نجد تسع سفن من (راكوزة) تذهب من الصويرة إلى الأسكندرية محملةً بالحجاج الذين قصدوا مكة...

وأخيراً ففي بداية القرن التاسع عشر سُمع عن طائفةٍ من المغاربة ذهبت إلى الديار الشرقية والحجاز بالذات بواسطة باخرةٍ من راكوزة على نحو ما يرويه سفيرٌ نمساوي ورد على مكناس عام 1805...

---

5) هناك دعاء يجري على أَلسنة العوام في المغرب «الله يعبّيك لمالطة لا فراش لا غطا !!» يدعون به على من يكرهون سلوكه وهو يشير دون شك لحالة معينة من حالات أولئك الأسرى الذين عادوا يحكون على ما حلّ بهم من محن... وربما كان للمثل علاقة بهؤلاء الحجاج الذين غرّر بهم بعد أصحاب السفن فأنزلوهم في مالطة عوض إنزالهم في طنجة على ما أشرنا إليه في المجلد الثاني ص 299.

وتحتضن دار المحفوظات عشرات الوثائق التي تتناول القضايا ذات الاهتمام المشترك بين المغرب ودوبروفنيك، وسنشير إلى بعضها مؤملين إيراد الباقي في «الملاحق»...

خطاب الملك محمد الثالث إلى ديوان دوبرونيك بتاريخ 6 جمادى الأولى 1194 = 10 مايه 1780... يبشرهم بأن سفارتهم لديه، المؤلفة من كارلو ماريه وأنطونيو كازيلاري قد أدت مهمتها وأنه يتجاوز عن الهفوة التي كانت قد نسبت إلى دوبرونيك بسبب إنزالهم الحجاج المغاربة في سوسة وصفاقص.

رسالة من الباب العالي إلى السلطان مولاي يزيد بن محمد أواخر محرم 1206 = 29 شتنبر 1791 تستوصيه خيراً بطائفةٍ من المواطنين الدوبريين باعتبارهم رعايا للباب العالي وقد عثرت على هذه الوثيقة في أرشيف رئاسة الحكومة باستانبول...

رسالة من السلطان مولاي سليمان إلى رئيس ديوان (الراكوزة) بتاريخ 13 محرم 1210 = 13 ـ 7 ـ 1795 يخبرهم بوصول سفيرهم بيطرة دجوان (Petar Dovanijer) حول المركب المغنوم ويخبر بأن المشكلة قد سويت حسب ما تقتضيه علاقات الودبين الجانبين.

كتاب بتاريخ 8 ذي القعدة 1205 9 يوليه 1791 ينعى فيه الأمير المولى يزيد والده السلطان سيدي محمد إلى ديوان دوبرونيك... وانه سيتبع سياسة والده المسالمة معهم وفي الوقت نفسه صرّح أمام السلك الدبلوماسي في طنجة بأنه سيراجع موقفه إزاء سائر الدول باستثناء دوبروفينيك وأنجلترا...

العلاقات بين المغرب ومالطة على عهد الدولة العلوية

منذ أن أخرج روجي العرب من مالطة سنة 1091م 1484 هـ أمست مشاركة لصقلية في مصيرها إلى أن كانت سنة 1530م 937 هـ حيث نرى شارل كينت يتنازل عنها لفائدة مضيفي سان جان الذين أخذوا لقب «الفرسان» والذين جنّدوا أنفسهم لمقاومة المجاهدين البحريين في المتوسط.

أواخر محرم 1206 = 29 شتنبر 1791

من رسالة الباب العالي إلى السلطان يزيد بن المولى محمد تستوصي خيراً بطائفة النصارى الموجودة في دوبروفينيك باعتبار أنهم تابعون للباب العالي ومن جملة رعاياه.



13 محرم 1210 = 30 - 7 - 1795

رسالة من السلطان مولاي سليمان إلى رئيس ديوان جمهورية (الراكوزة) يخبرهم بوصول سفيرهم بيطر دجوان (Petar Dovanijer) حول المركب المغنوم ومن كان به من الرحال... وقد تم الفصال في الموضوع رعياً لسابق معرفتكم بسيدنا الوالد..

ومن هنا وقع عدد من الأسرى في أيدي «الفرسان» فاحتفظوا بهم في مقابلة الإفراج عن أسراهم لدى الإيالات العثمانية في الجزائر وتونس وطرابلس والبلاد المشرقية...

ولما كان عهْدُ السلطان سيدي محمد بن عبد الله أخَذ على عاتقه الإفراج عن سائر المسلمين الأسارى من غير تمييز بين جنسياتهم، قرر توجيه سفارةً مغربية إلى حاكم مالطة للقيام بعملية الافتداء، ورصد لذلك أموالاً باهضة...

ولكنه قبل أن يبعث بالسفير محمد بن عثمان على رأس بعثة مغربية تتألف من السادة عبد الكريم بن قريش ومحمد المير السلاوي والطيب ابن جلول والتهامي البنائي، أرسل بالكاتب السيد محمد بن عبد الهادي[6] الحافي، ليقوم بعملية جرد الأسرى المسلمين، وكان السلطان محمد الثالث مهد لهذا بذكر مالطة ضمن الدول التي يسمح لها بالتجارة مع المغرب على نحو ما فعل مع الروسيا وأمريكا في منشوره بتاريخ 20 دجنبر 1777...

وقبل الإشارة إلى مقام سفارة ابن عثمان في مالطة نجمل هنا خبر الرسالة التي بعث بها الطاهر بن عبد الحق فنيش إلى وزير كارلوس الأعظم الكوندي دي فلوريدا بلانكا : إن المالطيين الذين احتُجزوا بالمغرب ادعوا أنهم كانوا يتوفرون على باسبورط كارلوس... والواقع يقول فنّيش : إن سيدي لم يكن

6) خص الأُستاذ ماريانو أريباس بّالاو هذا الدبلوماسيّ المغربي الرباطي بدراسةٍ جيدة مستوعبة حول مهمتيه الاثنتين في مالطة : الأُولى التحق به محمد بن عثمان عام ـ 1781، والثانية قام بها وحيداً عام 1789، وكلتا المهمتين تنصبّ على افتداء الأسرى المعذّبين في مالطة... وسيظهر من خلال حديث ابن عثمان عن الحافي أن هذا لم يكن في مستوى مهمته بينما يظهر من شهادة الإسبان أنه كان معروفاً بحسن السلوك وجمال المظهر الأمر الذي يفسّر معنى قول الكُتّاب : «المعاصَرة حجاب !!».
وقد نشرت هذه الدراسة في مجلة «القنطرة» الاسبانية م 5، ف 1، 2 مدريد 1984 ص 203 ـ 233، وقد عرّبتها الأُستاذة آمنة اللوه، الباحثة في معهد البحث العلمي، ويقرأ حول الحافي كذلك مقال في المجلة الإيطالية «دراسات مغربية» ـ نابولي 1974 ص 171 ـ 173.

عنده خبر بشيء، والدليل على ذلك أنني لما أخبرته بما وقع أجابني بما يؤكد ماقلته إلى آخر الرسالة الملكية التي أرخت يوم 17 شعبان 1194 = 18 غشت 1780.[7]

ودائماً وفي إطار تسوية مشكل المركب المالطي وقضية الأسرى المغاربة نجد رسالة أخرى بتاريخ 9 جمادى الأولى 1195 = 3 مايه 1781 من القائد محمد بن أحمد إلى حاكم مالطة وهو جواب عن رسالةٍ بعث بها الحاكم في أعقاب توصله برسالة القائد الطاهر فنيش...

إن الباشدور السيد محمد بن عبد الهادي الحافي في طريقه إلى مالطة وعندما يقضي الغرض الذي توجه له عندكم «يرجع ومعه المالطية الذين ضاعت بضاعتهم في مركب Dubro Veniciano[8] حيث سيرد لهم ما ضاع لهم لوجه باسبّورط الري كارلوص...

وقد توجه ابن عثمان سنة 1196 = 1782 للجزيرة المذكورة... مزوداً بالتعليمات الملكية من البداية في الابتداء بالنساء والصبيان والشيوخ وذوي الأعذار، وقد أمرهم بالمكث هناك حتى ترد عليهم خمس مراكب جهادية : يركب الأسرى في أربعة منها بينما تتوجه السفارة في المركب الكبير إلى نابولي بعد انتهاء مهمتها في مالطة التي يتكلّم أهلها «سبعة ألسُن» على ما يقول ابن عثمان !

وقد وعدهم الحاكم بإرضاء اقتراح العاهل المغربي وعيّن وكيله لديهم، وهنا شرعت السفارة في عمليات الافتداء...

وفي أثناء هذا راجت إشاعة في البلد مفادها أن السفارة جاءت لإحداث انقلاب في البلاد !! فإن الأسرى الذين كانوا مؤدّبين بالأمس مع السكان أمسوا يعاملون الناس بغلظةٍ وعنف..! وإن السفارة تنتظر ورود خمس مراكب بحرية ونجاز هذه المؤامرة !! كما نقرأه في «البدر السافر».

---

7) مجلة دراسات مغربية، المعهد الجامعي للدراسات الشرقية، نابولي، وبهذه المناسبة نجدد شكرنا لمديرة المعهد الزميلة الأستاذة كليليا سارنيلّي سيركا (C. Sarnellie).

8) هكذا تُرجم وأعتقد أن القصد إلى (دوبرفنيك) ـ يوغوسلافيا).

ويـذكر السفير ابن عثمـان في كتـابـه هـذا أن الحـاكم كـان يبعث إلى الدبلوماسيين المغاربة في مدة مقامهم لحضور الحفلات بقصره ويطلعهم على ما اشتمل عليه القصر، وقد رأى في إحدى القبب رخامةً مستطيلة في عرض نحو شبر وطولها قدر عرض القبة، مقسمة على عدد شهور السنـة، وكل قسمة معلّمة بخطوطٍ على عدد أيام الشهر وفيها الإبراج المصورة على أشكالها مثل السرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والحوت وغير ذلك... وفي أعلى السقف طاق قدر الأنملة تدخل منه الشمس عند الزوال في سائر الفصول وتستمر مع تلك الرخامة في سائر أيام السنة...[9]

وقد ودّعوا المدينة في سابع شعبان 1196 = 18 يوليه 1782 وساروا إلى المرسى مع الأعيان الذين هبُّوا لوداعهم وركبوا في السفينة التي قدموا عليها في اتجاه نابولي...

ولم ينس العاهل بقية الأسرى في مالطة، وهكذا توجه برسائل هامة إلى ملك اسبانيا حول الموضوع : وقفت على واحدة بتاريخ 20 شوال 1196 = 28 شتنبر 1782 تتحدث عن توسل بقية الأسرى بابن عثمان وهو يتأهب لمغادرة مالطة وقرار العاهل بإرسال الفداء إليهم...[10] كما وقفت على ثانية بتاريخ أواخر شعبان 1197 = 30 يوليه 1783 تتحدث عن أن المالطيين «رجعوا عن بيعهم الذي كانوا تعاقدوا عليه مع ابن عثمان وكانت الثالثة بتاريخ

---

9) تحدث جوهن ويندس J. Windus الذي ورد ضمن سفارة إنجليزية إلى مكناس عن قبة فلكية كانت بمكناس على عهد السلطان مولاي إسماعيل : «شاهدنا قبة عجيبة الصنع سقفها مصبوغٌ بالأزرق فيه نقط ذهبية تمثل النجوم وفي وسطها دائرة من الذهب تمثل الشمس...

A Journey To Mequinez... in the year 1721, London 1725

ابن زيدان : الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة. المطبعة الاقتصادية ـ الرباط 1356 = 1937 ص : 101.

10) من المهم أن نشير إلى ما نقله السفير المغربي ابن عثمان في كتابه «البدر السافر» عن ظروف الأسرى المغاربة في بعض البلاد الأوروبية : كانوا يعمدون إلى قطع من حديد يحمونها ويضعونها على لحم الأسير حتى يحترق ثم يضعون فوق ذلك قطعةً من الزفت ! وانهم كانوا يربطون يد أحدهم في مركب، بينما يربطون رجله في مركب آخر ويأمرون أصحاب المركبين فيشرّق أحدهما ويغرّب الآخر !!

10 جمادى الأولى 1201 = 28 يبراير 1787 وهي تطلب من ملك اسبانيا أن يتوجه لولده في نابولي حتى يقوم بالاتصالات مع حاكم مالطة... وقد عهد بالمهمة إلى عبد النبي بن وحود ومحمد الزرهوني.

علاقات المغرب باليونان

ونظراً للروابط التي كانت تجمع المملكة المغربية بالباب العالي فقد كانت القسطنطينية العظمى تستوصي خيراً بسائر الأقاليم التي كانت تقع حمايتها حتى لا يصلها أذى من قريب أو بعيد، وقد كان المغرب يستجيب لتلك التوصيات لأنه يراها محققة لأهداف الصلة الروحية التي تجمعه بالعثمانيين...

لقد قرأنا عن هذا في علاقات المملكة المغربية مع جمهورية دوبروفنيك...

وقد رأينا المغرب يستجيب لاستصراخ الباب العالي ضد حملات نابليون على مصر ويبعث بنجداته ومساعداته.. ورأيناه قبل هذا يقف إلى جانب الإيالات العثمانية في الشمال الإفريقي متى نزلت بها ضائقة...

وكان هذا نفس الموقف بالنسبة لجزر يُونيين السَّبْعة (Les iles Ionnienes) التي انفصلت عن البندقية ووضعت يدها في يد العثمانيين...

لقد كتب الباب العالي - وهو في غمرة صراعه لنابليون - إلى السلطان مولاي سليمان بن سيدي محمد بن مولاي عبد الله بتاريخ 8 ذي القعدة 1214 = (2 أبريل 1800 يخبره بشروط وأسس علاقات الباب العالي بالجزر السبْعة المذكورة ويطلب أن يشملها العاهل المغربي برعايته، وهذه الجزر هي المسماة : بقورفة (Corfu) وزانطا (Zanta) وكفالونية (Cèpholonie) ومادرة (Madouri) وباقسو (Paxi) وإتاكي (Ithaque) ونفوقة (Naf Paktos)[11]

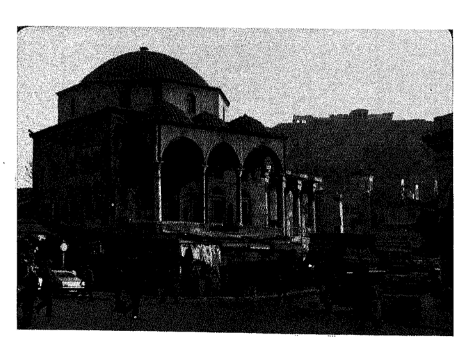
11) تقع (كورفو) على مدخل بحر الأدرياتيك ويقال عن (زانطا) إنها جزيرة الشعراء والموسيقيين، وتعتبر سيفالونية أوسع الجزر السبعة... ويقصد بمادرة جزيرة Lencade حيث توجد جزيرة صغيرة تحمل اسم (Mabouri) وقد افترضنا أنه يقصد بجزيرة باقسو إلى باكسي (Paxi) وهي جزيرة صغيرة ضمن جزيرة كورفو...

كما يتحدث الخطاب عن علاقات الباب العالي بجمهورية دوبروفنيك (Dubrovniku)...

ونظراً لأهمية هذه الرسالة من الناحية الوثائقية أقدم جانباً منها هنا، وقد وقفت عليها في أرشيف استانبول...

القسم الأخير من الرسالة بتاريخ 8 ذي القعدة 1214

والجدير بالذكر أن هذه الرسالة التاريخية من الباب العالي إلى السلطان مولاي سليمان كانت سابقةً للاتفاقية العثمانية مع الجمهورية الفرنسية التي أبرمت بتاريخ 23 صفر سنة 1217 = 25 يونيه 1802 والتي تقضي بأن تعود مصر إلى الدولة العثمانية مع كافة ما كان لها من الحقوق وأن تقام في جزائر اليونان جمهورية مستقلة تحت حماية الباب العالي - وكان ذلك بالاتفاق مع الروسيا - وتعهدت الدولة العلية بردّ ما صودر من أملاك الفرنساويين ببلادها ومنح فرنسا جميع امتيازاتها السابقة المضمونة لها بمعاهدة سنة 1740 وأن يكون لمراكبها التجارية حق الملاحة في البحر الأسود أسوةً بمراكب الروسيا.[12]



رسم أخذته لأحد المساجد القديمة في أثينة وقد تحول إلى متحف

13) تاريخ الدولة العلية العثمانية ص 186.

إنتهى المجلد التاسع
ويليه المجلد العاشر
ويبتدئ بالقسم الثاني
من العلاقات الدولية للمملكة المغربية
على عهد الدولة العلوية...

فهرس الصور والوثائق

الموضوع	صفحة

فهرس الموضوعات

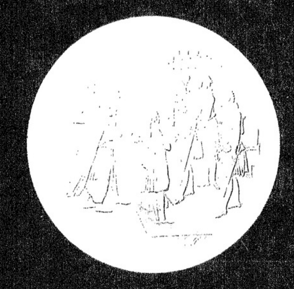


رقم الإيداع القانوني : 1986/25

تم طبع هذا الكتاب بمطابع فضالة ـ المحمدية

HISTOIRE DIPLOMATIQUE DU MAROC

(DES ORIGINES À NOS JOURS)



Tome 9

L'époque alaouite

1

Par

ABDELHADI TAZI

MEMBRE DE L'ACADÉMIE DU ROYAUME DU MAROC

1408 - 1988